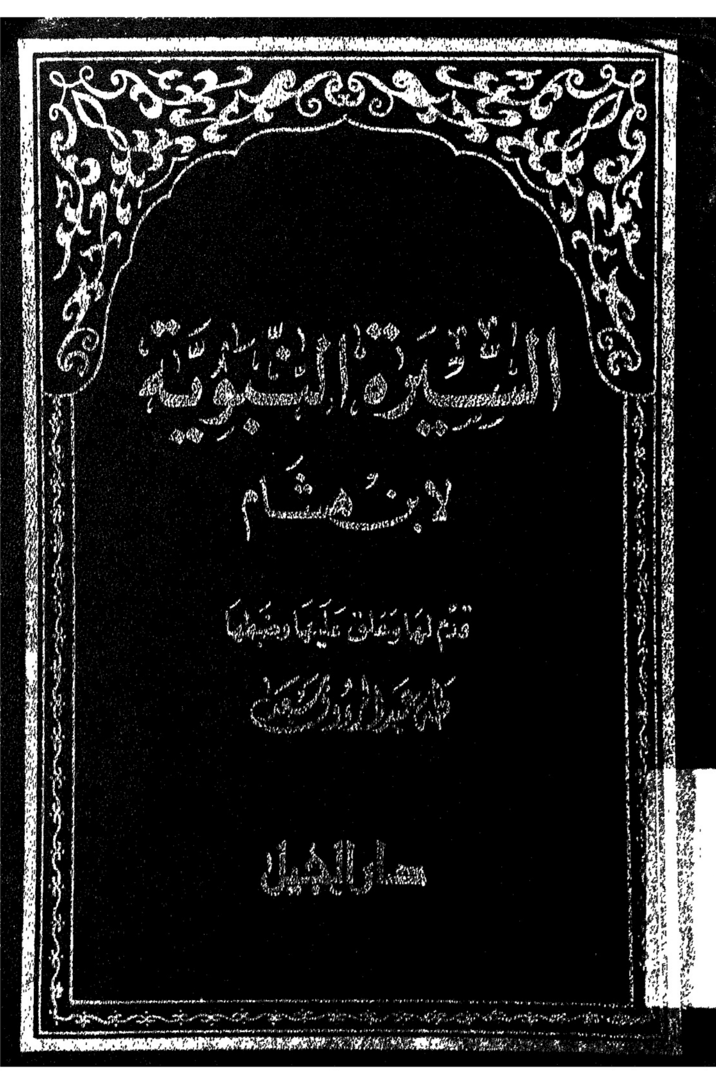

السيرة النبوية
لابن هشام
قدم لها وعلق عليها وضبطها
طه عبد الرءوف سعد
دار الجيل

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

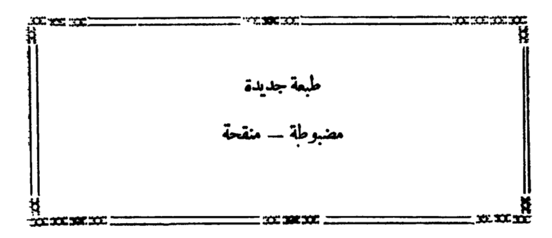
المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت



طبعة جديدة

مضبوطة — منقحة

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والصلاة والسلام عليك سيدى يارسول الله ، يامن بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وتركتنا على المحجة البيضاء .

سيدى يارسول الله ، كلما ادلهمت ظلمات الأنفس واضطربت سكينة الأفئدة وضاقت فجاج الأرض بما رحبت . . تتطلع القلوب المؤمنة إلى رحمة الله وتترقرق فى العيون دموع الرجاء ، وتختلج فى الصدور زفرات الندم ، وإذا بشعاع الأمل يشرق بسنا طلعتك فيهدى الحيارى مثلما اهتدت البشرية من قبل عندما نظرت الدنيا ترقب الأمل المشرق فى سمائها ، فتهادت أضواؤه تهادى الرجاء فى القلوب الحائرة وشع لألاؤه فارتسمت على صفحة الكون صورة الجلال وسطر فى أفق الحياة اسم محمد بن عبدالله ، وأقبل الروح الأمين بهدية السماء إلى العالمين « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » .

سيدى يارسول الله .. إن العالم اليوم أحوج مايكون إلى النظر فى سيرتك ، وماأشد حاجة المسلمين اليوم إلى الأسوة الحسنة فى روعة شخصيتك . . والاقتداء بما تركته بين أيدينا ،حتى لاتجرفنا تيارات الضلال ونزغات الهوى . .

فهل تأذن لى سيدى يارسول الله ياخير مرسل ويا أفضل الخلق أن أقف ببابك وأجول بنظرى وفكرى فى جنبات سيرتك ومغازيك أبغى الهداية والعبرة والموعظة الحسنة ، وأهدى هذه الطبعة من [السيرة النبوية لابن هشام] إليك سيدى أبا القاسم ، ياعلم الهدى ونبى الرحمة ، لعلها تكون يوم الحساب نورا يهدينى إلى الصراط المستقيم .

طه عبد الرءوف سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن مفهوم التاريخ عند العرب يتضح فيما جاء فى روايات الأنساب من ذكر لبعض أحداث وقعت وورد ذكرها فى ثنايا حديث النسابين ؛ ولعل هذه الفترة تكون قد سبقت مطلع الفجر الإسلامى، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح فى مبدأ الدعوة، وإن كان قد بدا لنا أن أحدا من الصحابة لم يعن بجمع الأخبار فذلك لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والفتوح ، والذى التفت إلى هذا هم فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون فى جمع مادتهم على سؤال من شاهدوا الغزوات من الصحابة ومن صاحب الأحداث التى وقعت للمسلمين فى عهد صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم .

ولكن الشكل التقليدى للتأريخ فى أبسط صوره ظهر على تلك الصورة فى العصر الأموى ، غير أن مؤرخى بنى أمية لم يعنهم من التاريخ إلا ما دعتهم إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكون فيها صالح لدولتهم ، وإن كان الدافع إلى ذلك فى أغلب الأحيان هو الرغبة فى العطاء .. ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخ شىء إلا ما تناثر فى بطون بعض كتب الأدب نقلا عن الرواة ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن فى عصر بنى أمية ، و لعل العباسيين قد تعمدوا إزالة آثار الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملة لرأى بنى العباس . على أن التاريخ الإسلامى فى حقيقة أمره لم يتمهد له السبيل إلا فى العصر العباسى حيث ظهرت بوادر التأليف فى التواريخ العامة والخاصة . وإن كان الواقع يهيب بنا أن نشير إلا أن أول كتاب ظهر وفيه لمحات تاريخية هو « القرآن الكريم » وقد تجلى ذلك فى استخراج العبرة من بعض الحوادث التى وردت فى آيات الله البينات .

وعندما أخذ علماء الإسلام فى جمع القرآن الكريم وتفسيره وجمع الأحاديث ووجدوا أنفسهم فى حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات وإيضاح حقائق الأحداث التى جرت ، وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث، فكان لابد من الرجوع إلى جمع السيرة النبوية أولا لأنها المنبت الخصب لذلك كله والمرجع الصادق فى هذا الشأن .

مفهوم السيرة : ويراد بسيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه التعرف على حياته منذ ظهور الإرهاصات التى مهدت لرسالته وماسبق مولده من سمات تلقى أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية ، ومولده ونشأته حتى مبعثه وماجاء بعدذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف ، ومالقى فى سبيل نشر الإسلام من معارضة، وماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف ، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان .

ولقد عرفت تلك الحروب بالغزوات والسرايا وإن غلب عليها لفظ المغازى (أى غزوات ومناقب الغزاة ، مفرده مغزى : بمعنى الغزو وموضعه وزمانه) .

الرواد من كتاب السير : من بين الأسماء الكثيرة التى عنيت بكتابة وجمع السيرة « عروة بن الزبير بن العوام » المتوفى سنة ٩٣ هـ . و « أبان بن عثمان بن عفان » (١٠٥ هـ) و « شرحبيل بن سعد » (١٢٣ هـ) و « ابن شهاب الزهرى » (١٢٤ هـ) فى كتابه « المغازى » و « عبدالله بن أبى بكر بن حزم » (١٣٥ هـ) و « موسى بن عقبة » (١٤١ هـ) فى كتابه المسمى أيضا بالمغازى ، وفى مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ، ومنها قطعة منتخبة طبعت فى أوربا سنة ١٩٠٤ م . و « معمر بن راشد » (١٥٠ هـ) و « محمد بن إسحاق بن يسار » (١٥١ هـ) و « زياد ابن عبدالله البكائى » (١٨٣ هـ) و « الواقدى » صاحب كتاب المغازى (٢٠٧ هـ) و « ابن هشام » (٢١٣ هـ) و « محمد بن سعد » صاحب كتاب الطبقات (٢٣٠ هـ) .

منهج السيرة : ابتدأت السيرة بسرد نسب النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وقد تطلب هذا إشارة إلى أنساب بعض أخيار العرب وأفاضلهم وذكر أخبارهم فى الجاهلية

وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم ، وذكر الأحداث الهامة التى وقعت بينهم كإعادة حفر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم ، ومولد الرسول عليه الصلاة والسلام ونشأته ومبعثه ومن استجاب لدعوته وآمن برسالته، وما لقيه النبى عليه الصلاة والسلام فى سبيل نشر الدعوة من أذى وتعنت وما قاساه من نصب وإرهاق ، وماعاناه المؤمنون من إيذاء الكفار لهم ، وهجرتهم الأولى والثانية إلى الحبشة فرارا بدينهم وعرض رسول الله عليه الصلاة والسلام نفسه على قبيلة ثقيف وغيرها من القبائل ليؤمنوا به ويتبعوا النور الذى أنزل معه، حتى كان من حسن طالع أهل يثرب أن شرح الله صدورهم للإيمان بدعوة رسوله فهاجر إلى المدينة هو والذين آمنوا معه ، وكذلك ذكر ما وقع فى المدينة بين الرسول وبين اليهود من مفاوضات ومحادثات ومعاهدات نقضوها فدارت عليهم دائرة السوء وتطهرت منهم أرض يثرب وأعز الله المسلمين .

ومن المدينة المنورة انطلقت جحافل جيوش المسلمين تدعو إلى الحق وترفع لواء الإيمان . . ومنها أرسلت الوفود تنادى بالسلام إلى الإسلام فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وبعد ذلك توالت أخبار أزواج النبى ثم مرض الرسول عليه الصلاة والسلام وتمريضه فى بيت عائشة رضى الله عنها وانتقاله إلى الرفيق الأعلى وأمر ثقيفة بنى ساعدة واتفاق رأى المسلمين على اختيار الصديق خليفة لرسول الله ، وما كان من أمر تجهيز الرسول عليه السلام ودفنه ورثاء حسان بن ثابت له.

ذلك هو النهج الذى سار عليه ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية . .

شراح السيرة لقد تناول السيرة بعد ابن هشام فريق - ممن شرح الله صدورهم للإيمان والعلم بما فى سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام : من نور يهدى به الله من عباده الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، فقام هؤلاء بتناول السيرة بالشرح والتوضيح والتحقيق أو الاختصار أو التهذيب، ونخص بالذكر من هؤلاء السهيلى (٥٠٨ / ٥٨١ هـ) و « أبا ذر الخشنى » (٥٣٥/٦٠٤ هـ) وهو : مُصْعب بن محمد بن

مسعود بن عبد الله بن مسعود الجيّانى الخُشَنى ، كان عالما بالعربية والحديث وعارفا بالآداب واللغات وأحد من قرض الشعر وكان له ناقدا ، وكان طويل الباع فى معرفة أخبار العرب وأحدأثها وأشعارها ،وهو صاحب كثير من المؤلفات المشهورة ويعنينا منها كتابه فى شرح الغريب من سيرة ابن اسحاق .

أما السهيلى ، فهو الذى قام بشرح سيرة ابن هشام فى كتابه «الروض الأنف» ومنهجه كما ورد فى مقدمة كتابه « إيضاح ماوقع فى سيرة ابن إسحاق التى لخصها عبد الملك بن هشام من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته .. » وأما تفصيل الحديث عن جوانب هذه الشخصية الفذة فلا يسعنا إلا أن نفرد لها مكانا نترجم فيه لها .

نسخ وطبعات السيرة : إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة، يوجد أغلبها فى معظم مكاتب أوربا،وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية ، أما النسخة الأصلية رواية ابن إسحق فقد كان « كربسيك karabacek » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردى الخاصة بالأرشيدوق « رينر . Rainer » والمحفوظة فى مكتبة مدرسة كوبريلى باستانبول (دفتر ١١٤٠) ، ولكن ظهر أنها نسخة من كتاب سيرة ابن هشام. ولا يزال كتاب المغازى باقيا حتى اليوم فى بطون الكتب مثل ماجاء فى كتاب الماوردى « الأحكام السلطانية » وفى الفقرات التى أوردها الطبرى فى تاريخه .

وقد طبعت السيرة عدة مرات . .

١ — طبعة جوتنجن ـ وهى أصحها ـ بألمانيا سنة ١٨٦٠ م . بعناية وستنفيلد المستشرق الألمانى فى مجلدين،مضبوطة بالشكل اللازم ،وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفى صدره ترجمة ابن إسحق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمرى من أهل القرن الثامن للهجرة ماقيل فى ابن إسحق ومناقبه وماقيل من الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .

٢ – وقد طبعت السيرة أيضا فى بولاق فى ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ .
٣ – طبعة المطبعة الخيرية فى مصر فى ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ .
٤ – طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠ م .
٥ – طُبِعَتْ على هامش كتاب « الروض الأنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م
٦ – وهناك طبعة على هامش زاد المعاد فى هدى خير العباد سنة ١٣٣٣ هـ.
٧ – طبعت فى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده طبعتين: الأولى سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م . والثانية سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م .
– طبعت فى مطبعة حجازى للمكتبة التجارية فى أربعة أجزاء سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م

ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة

٨٥ – ١٥١ هـ

نسبه ونشأته: كنيته أبو عبد الله - وقيل : أبو بكر - محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، وقيل : سيار بن كونان ، وفى « عيون الأثر » يقول « ابن سيد الناس » هو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار - ويقال : ابن يسار بن كوثان المدينى . كان جده يسار أول سبى دخل المدينة من العراق حيث سباه خالد بن الوليد وأسره عام ١٢ هـ (٦٣٣ م) فى كنيسة بعين التمر (وهى بلدة قرب الأنبار بالعراق) ، وأصبح من موالى قبيلة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى ، ومن ثم فيقال : يسار المطلبى بالولاء المدنى بالمقام . وفى المدينة شب محمد بن إسحاق ، وكرس جهده لجمع الأخبار والقصص المتعلقة بحياة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان له أخوان من رواة الحديث هما عمر وأبو بكر .

مكانته عند العلماء : محمد بن إسحاق ثبت فى الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تجهل إمامته فى المغازى والسير ، قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه

بابن إسحاق ، وذكره البخارى فى تاريخه ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق ، وقال شعبة بن الحجاج : ابن إسحاق أمير المؤمنين (يعنى فى الحديث) ، وذكر الساجى أن أصحاب الزهرى كانوا يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهرى ، ثقة منهم بحفظه ، وحكى عن يحى بن معين وأحمد بن حنبل ويحي بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .

قال المرزبانى : ومحمد بن إسحاق أول من جمع من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفها .

أساتذته وتلامذته : رأى ابن إسحاق أنس بن مالك وسعيد بن المسيب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن على بن الحسن ابن على بن أبى طالب ، وأباسلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعا مولى ابن عمر ، والزهرى وغيرهم ..

وحدث عنه أئمة العلماء منهم يحي بن سعيد الأنصارى ، وسفيان الثورى ، وابن جريج ، وشعبة ، والحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعى ، وسفيان ابن عيينة ومن بعدهم .

ومن رواة سيرته الراويتان الثقتان : يونس بن بكير (١٩٩ هـ) وزياد بن عبد الله البكائى .

مؤلفاته : يبدو أن ابن إسحاق كان قد دون سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى كتابين :

١ - أحدهما هو « كتاب المبتدأ » أو « مبتدأ الخلق » أو « كتاب المبدأ وقصص الأنبياء » ؛ وهو تاريخ النبى حتى الهجرة، ورواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله ابن نمير النفيلى المتوفى (٢٣٤هـ) .

٢ ـــ والآخر « كتاب « المغازى » وهو أهم مؤلفاته؛ ولعل هذا الكتاب هو الذى كان يعتمد عليه الماوردى فى كتاب الأحكام السلطانية .

ولابن إسحاق مؤلف آخر هو

٣ ـــ « كتاب الخلفاء » وقد رواه عنه الأموى ، وقد كان لظهور كتاب المغازى» أثره على شهرة هذا الكتاب فيبدو أنه قد قلل من شأنه وأطفأ من بريقه .

رحلاته العلمية عندما اصطدم ابن إسحاق بأئمة الحديث أصحاب الرأى السائد فى المدينة حينذاك وعلى الأخص بمالك بن أنس . ترك ابن إسحاق وطنه ورحل إلى مصر ثم إلى العراق ، ولما كان مع العباس بن محمد بالجزيرة سمع منه أهلها ، وكان قد أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه المغازى فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب ، وأتى الرى فسمع منه أهلها كذلك، فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة، وأتى بغداد فأقام بها إلى أن لقى ربه .

مطاعن على ابن إسحاق والرد عليها : قال الشاذكانى : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع ، وكان قدريا ، وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازى يتشيعون كابن إسحاق وأبى معشر ...

ويرد على ذلك « ابن سيد الناس فى عيون الأثر » بقوله : أما مارمى به ابن إسحق من القدر والتشيع فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن .

وأما قول ابن نمير: أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة، فلو لم ينقل توثيقه وتعديله، لتردد الأمر فى التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه .

وأما قول يحيى : إن ابن إسحاق ثقة وليس بحجة فحسبه التوثيق . . .

وإنما طعن مالك فيه - وإن كان ذلك مرة واحدة - فلأن ابن إسحاق كان يزعم أن مالكا من موالى ذى أصبح وكان مالك يزعم أنه من أنفسها ، فوقع بينهما لذلك

مفاوضة ، فلما صنف مالك « الموطأ » قال ابن إسحاق : ائتونى به فأنا بيطاره (طبيب بعلله) ، فنقل ذلك إلى مالك فقال : دجال من الدجاجلة يروى عن اليهود . وكان بينهما مايكون بين الناس ، حتى عزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ وأعطاه مالك عند الوداع خمسين دينار ونصف ثمرته تلك السنة، وعاد إلى مايجب نحو ابن إسحاق؛لأنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم منه .

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبى - صلى الله عليه وسلم- من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير ، إلى غير ذلك من الغرائب من أسلافهم ، وماكان ابن إسحاق فى تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم .

وأما رواية ابن اسحاق عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهى زوج هشام بن عروة ابن الزبير ومازعمه ؛أن هشاما ذكره فقال العدو لله الكذاب يروى عن امرأتى ؟ ! من أين رآها ؟! فليس ذلك بمستنكر فقد كان أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يروون عن أزواجه،فما منع ذلك أحد ، وقد يكون ابن إسحاق قد استأذن عليها فأذنت له؛ فروى عنها من وراء ستار ، أوكان معهما مُحرم ، وهى محجبة . ولعل هشام بن عروة لم يقل ذلك أصلا . .

وفاته : توفى ابن إسحاق ببغداد سنة ١٥١ﻫ وقد قيل سنة ١٥٠ ﻫ أو ١٥٢ﻫ أو ١٥٣ ﻫ وهناك رأى يقول أن وفاته كانت سنة ١٤٤ ﻫ وهو مستبعد والأول أصحها .

ودفن - رضوان الله عليه - فى مقبرة باب الخيزران عند قبر أبى حنيفة بالجانب الشرقى ، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد لأنها مدفونة بها .

ترجمة : ابن هشام - الذى اشتهرت باسمه السيرة

هو :أبو محمدعبد الملك بن هشام بن أيوب الحيرى المُعافرى البصرى ، والمعافرى نسبة إلى المعافر بن يعفر ، قبيل كبير ينسب إليه خلق كثير بعضهم باليمن وعامتهم بمصر .

وقد اختلف فى نسبته فقيل : قحطانى ، وقيل : عدنانى ، ولكن شهرته بالحميرية تجعلنا نرجح أنه حميرى من قحطان .

ولد بالبصرة وتلقى العلم فيها وتاريخ ولادته مجهول . رحل إلى مصر وأقام بها .

وقد اشتهر بحمل العلم ، وتقدم فى علم النسب والنحو وله كتاب فى أنساب حمير وملوكها أسماه كتاب (التيجان) وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبّه ، طبع فى حيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ ، ويذكر أيضا من تآليفه شرح أخبار الغريب فى السيرة .

وابن هشام هو الذى جمع سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المغازى والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها، وهى الموجودة بين أيدى الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام وبها اشتهر .

توفى - رحمه الله - فى الفسطاط بمصر عام ٢١٣ هـ ، وقال أبو سعيد عبد الرحمن ابن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر الذى جعله للغرباء القادمين على مصر: إن عبد الملك بن هشام توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٨ هـ (مايو ٨٣٤)م .

ترجمة السهيلي ــ أحد شراح السيرة

٥٠٨ - ٥٨١ هـ / ١١١٤ - ١١٨٥ م

هو : أبو القاسم وأبو زيد ، عبدالرحمن بن الخطيب ، أبي محمد عبدالله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن ، أصبغ بن حسين ، بن سعدون بن رضوان بن فتوح ، وهو الداخل إلى الأندلس ، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: هكذا أملى على نسبته : الخثعمي السهيلي الإمام المشهور .

وذكره الزركلي في الأعلام قال : عبدالرحمن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي .
والخثعمي نسبة إلى خثعم بن أنمار وهي قبيلة كبيرة وهو رأي مختلف فيه .والسهيلي نسبة إلى سُهيل وهي قرية بالقرب من مالقة (مدينة كبيرة بالأندلس) سميت باسم الكوكب (سهيل) لأنه لا يُرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطل عليها .

ولد في مالقة سنة ٥٠٨هـ الموافقة لسنة ١١١٤ م وكف بصره وعمره سبع عشرة سنة .

نشأ ببلدته يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف ، ثم نبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه وأحسن إليه وأقبل بوجهه غاية الإقبال عليه ، فأقام بمراكش نحو ثلاثة أعوام يصنف كتبه إلى أن توفي بها .

وهو مشهور في علم النحو وفنون الأدب ، وحافظ عالم باللغة والسير ، وأشعاره كثيرة وتصانيفه ممتعة ، قال ابن دحية : أنشدني السهيلي وقال : إنه ماسأل الله تعالى (بهذه الأبيات) حاجة إلا أعطاه إياها ، وكذلك من استعمل إنشادها (وهي من بحر الكامل) ومطلعها :

يا من يرى مافي الضمير ويسمع ... أنت المعَدُّ لكل ما يُتوقع
يامن يُرجَّى للشدائد كلها ... يامن إليه المُشتكَى والمفزع
يامن خزائن رزقه في قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري أدفع

مالى سوى قرعى لبابك حيلة إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع
حاشا لجدك أن تُقنّط عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع

وقيل : إن الفرنجة أغاروا على سهيل وخربوه وقتلوا أهله وأقاربه ، وكان غائباً عنهم فاستأجر من أركبه دابة وأتى به إلى سهيل ، فوقف بإزائه فقال :

يادار أين البيض والآرام أم أين جيران علىّ كرامُ ؟!
راب المحبَّ من المنازل أنه حيٌّ فلم يرجع إليه سلام
لما أجابنىَ الصدى عنهم ولم يولج المسامعَ للحبيب كلامُ
طارحت وُرق حمامها مترنما بمقال صبٍّ والدموع سِجام
يادار مافعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تُضام

والسهيلى الإمام المشهور صاحب كتاب (الروض الأنف)(*) أشهر كتاب فى شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كتاب ذاخر بفوائد العلوم والآداب من أنساب وفقه ونحو ، وقد استخرجه كما يقول من نيّف على مائة وعشرين ديوانا سوى ما أنتجه من صدره ونفحه من فكره ، وكان بدء إملائه هذا الكتاب فى شهر المحرم من سنة ٥٦٩ هـ وكان الفراغ منه فى جمادى الأول من ذلك العام .

وللسهيلى غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها :

١ ـ التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام .
٢ ـ نتائج الفكر .
٣ ـ الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير القرآن الكريم .
٤ ـ مسألة رؤية الله تعالى فى المنام ورؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم .
٥ ـ مسألة السر فى عور الدجال .
٦ ـ شرح آية الوصية .
٧ ـ شرح الجمل ولم يكتمل ، ومسائل غير هذه كثيرة مفيدة

وتوفى ـ رحمه الله ـ بحضرة مراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر فى السادس والعشرين من شعبان سنة ٥٨١ هـ الموافقة لسنة ١١٨٥ م

(*) انظر الطبعة الجديدة بتحقيقنا : الصادر عن مكتبة الكليات الأزهرية .

(مراجع المقدمات والتراجم)

١ - الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلى
٢ - بغية الملتمس للضبى
٣ - بغية الوعاة للسيوطى
٤ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورج زيدان
٥ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمن
٦ - تاريخ بغداد - أو مدينة السلام للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ
٧ - تراث الإنسانية (سلسلة) المجلد الأول العدد العاشر
٨ - دائرة المعارف الإسلامية
٩ - الروض الأنف للسهيلى
١٠ - ضحى الإسلام لأحمد أمين
١١ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس
١٢ - الفلاكة والمفلكون
١٣ - الفهرست لابن النديم
١٤ - المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية
١٥ - معجم الأدباء لياقوت الحموى
١٦ - المُغرِب فى حُلىَ المغرب أو وشى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس . . . الذى صنفه بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة : ستة من أهل الأندلس أولهم أبو محمد الحجارى وآخرهم على بن موسى بن سعيد الذى وجد الكتاب مخطوطا بيده
١٧ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
١٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان

السِّيرَة النَّبَوِيَّة

لابن هشام

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

طبعة جديدة

مضبوطة — منقحة

روجعت على مجموعة من الطبعات القديمة

١٩٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وبه نستعين }

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكى

من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : هذا كتاب سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . واسم عبد المطلب : شَيْبة (1) بن هاشم . واسم هاشم : عمرو (2) بن عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة (3) بن قصى (4) ، بن كلاب (5) .

---

(1) هكذا ذكر ابن إسحاق : أن اسمه شيبة - وهو الصحيح - وسمى بذلك لأنه ولد وفى رأسه شيبة . وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة ؛ فإنما قصد فى تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سن الحنكة والرأى ، كما سموا بهرم وكبير .

وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لدة عُبيد بن الأبرص الشاعر المشهور .

ويقال : إنه أول من خضب بالسواد . وقد ذُكر أن اسمه عامر . (انظر الروض الأنف بتحقيقنا طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص ٧ ج ١) .

(2) عمرو : اسم منقول من أحد أربعة أشياء : من العَمر الذى هو العُمر . أو من العَمر : الذى هو من عمور الأسنان . أو العُمر الذى هو طرف الكم . أو العَمر الذى هو القُرط .

(3) المغيرة : منقول من الوصف ، والهاء فيه للمبالغة ، أى أنه مغير على الأعداء . أو : مغير ، من : أغار الحبل إذا أحكمه .

(4) قصى : واسمه زيد ، وهو تصغير قَصىّ أى بعيد ؛ لأنه بعد عن عشيرته فى بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة مع زوجها ربيعة بن حرام .

(5) كلاب : وهو منقول إما من المصدر الذى هو معنى المكالبة ، وإما من الكلاب جمع =

ابن مرة (١) ، بن كعب (٢) بن لؤى(٣) ، بن غالب ، بن فهر (٤) ، بن مالك ، بن النضر، بن كنانة ، بن خزيمة (٥) ، بن مدركة ، واسم مدركة : عامر ، بن الياس (٦) ، بن مضر (٧) ،

= كلب . لأنهم يريدون الكثرة . وقد قيل لأبى الرقيش الأعرابى : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح ، فقال : إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا . يريد أن الأبناء عدة الأعداء وسهام فى نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

(١) مرة : وهو منقول من وصف الحنظلة والعلقمة . ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة ؛ فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة . أو قد يكون من المسمين بالنبات فقد ذُكر : أن المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت .

(٢) كعب : وهو منقول من الكعب الذى هو قطعة من السمن ، أو من كعب القدم ، يقولون : ثبت ثبوت الكعب . وكعب هو أول من جمع يوم العروبة ، ولم تسم العروبة إلا مذ جاء الإسلام وقيل هو أول من سماها الجمعة . فكان يجمع قريش فى هذا اليوم ويذكرهم بمبعث النبى — صلى الله عليه وسلم — ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه .

(٣) لؤى : هو تصغير اللأى ، وهو الثور الوحشى كما ذكر ابن الأنبارى ،

(٤) فهر : قيل : إنه لقب ، والفهر من الحجارة الطويل ، واسمه قريش وقيل بل اسمه فهر ، وقريش لقب له .

(٥) خزيمة : تصغير خزمة ، وهى المرة الواحدة من الخزم ، وهو شد الشىء وإصلاحه .

(٦) الياس. قال فيه ابن الأنبارى : إلياس بكسر الهمزة وجعله موافقا لاسم إلياس النبى، وقيل فى اشتقاقه إنه إفعال ، من قولهم : رجل أليس وهو الشجاع الذى لا يفر . قال العجاج:

أليس عن حوباته سخى

أما غير ابن الأنبارى فقال : إنه الياس ، سمى بضد الرجاء ، واللام فيه للتعريف والهمزة همزة وصل.

(٧) مضر : قال فيه القتبى . هو من المضيرة وهى شىء يصنع من اللبن فسمى مضر لبياضه، فقيل : مضر الحمراء ، لأن العرب تسمى الأبيض أحمر .

ابن نزار [١]، بن معد [٢] بن عدنان [٣]، بن أُدّ [٤].

ويقال أدَد، بن مُقَوَّم، بن ناحور، بن تَيرَح، بن يعرب، بن يشجب [٥]، بن نابت، ابن إسماعيل [٦]، بن إبراهيم [٧] ـ خليل الرحمن ـ ابن تارح ـ وهو آزر [٨] ـ بن ناحور، بن ساروغ، بن راعو، بن فالخ [٩]، بن عيبر [١٠]، بن شالخ [١١]، بن أرفخشذ [١٢]، بن سام، ابن نوح [١٣]، بن لمك، بن مَتُّوشَلَخ [١٤]، بن أخنوخ وهو إدريس النبي ـ فيما يزعمون ـ والله أعلم. وكان أول بني آدم أعطى النبوة، وخط بالقلم ـ ابن يَرْد [١٥]، بن مهليل [١٦]،

---

(١) نزار: واشتقاقه من النزر وهو القليل، وكان أبوه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه وهو نور النبوة نحر وأطعم وقال: إن هذا كله نزر لحق هذا المولود.

(٢) معد: أخذ من المعَد وهو القوة.

(٣) عدنان: فعلان من عدن إذا أقام.

(٤) أد: ويقال: أدد. قال ابن السراج: هو من الوُد وانصرف.

(٥) ناحور: من النحر، وتيرح: من الترحة. ويشجب: من الشجب.

(٦) إسماعيل: تفسيره: مطيع الله.

(٧) إبراهيم: معناه: أب راحم.

(٨) قيل معناه: يا أعوج.

(٩) ويقال فيه: فالغ.

(١٠) عيبر: ويقال فيه عابر. وذكر الطبري: أن بين فالغ وعابر أبا اسمه قينن أسقط اسمه من التوراة لأنه كان ساحراً.

(١١) شالخ: معناه الرسول أو الوكيل.

(١٢) أرفخشذ: تفسيره المصباح مضيء.

(١٣) نوح: واسمه عبد الغفار ويقال إنه سمي «نوحا» لنوحه على ذنبه.

(١٤) متوشلخ: وتفسيره مات الرسول لأن أباه كان رسولا ومات ومتوشلخ في بطن أمه.

(١٥) يرد: وتفسيره الضابط.

(١٦) مهليل: وقيل مهلائيل: وتفسيره: الممدح.

ابن قَيْنن (١) ، بن يانش (٢) ، بن شيث (٣) ، بن آدم (٤) ، صلى الله عليه وسلم .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى (٥) ، عن محمد بن إسحاق المطلبى (٦) ، بهذا الذى ذكرته من نسب محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آدم عليه السلام ، ومافيه من حديث إدريس وغيره . قال ابن هشام : وحدثنى خلاد بن قرّة بن خالد السّدوسى ، عن شَيْبان بن زهير بن شقيق بن ثور ، عن قتادة بن دِعامة ، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ ابن تارح ـ وهو آزر ـ بن ناحور بن أسرغ بن أرغو ابن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن مَتّوشلخ بن أخنوخ بن يرد ابن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

منهج ابن هشام فى عرضه للسيرة : قال ابن هشام: وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن ولدَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من ولده ، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة؛ للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتارك بعض ما ذكره ابن إسحق فى هذا الكتاب ، مماليس لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيه ذكر ، ولانزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولاتفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، ومستقص ـ إن شاء الله تعالى ـ ماسوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

---

(١) قينن : وقيل : قينان ، وتفسيره المستوى .

(٢) يانش : وقيل : أنوش ، وتفسيره الصادق .

(٣) شيث : وهو بالسريانية : شاث ، وتفسيره : عطية الله .

(٤) آدم : وفيه ثلاثة أقوال : أنه اسم سريانى . أو هو أفعل من الأدمة وهى السمرة . أو أخذ من لفظ الأديم ، لأنه خلق من أديم الأرض .

(٥) هو : أبو محمد زياد بن عبد الله البكائى الكوفى وهو محدث مشهور .

(٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار من المحدثين خاصة فى المغازى والسير . توفى ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة هجرية انظر تاريخه مفصلا هو وابن هشام فى مقدمة الكتاب .

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام :

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبى قال :

ولد إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – اثنى عشر رجلا : نابتا – وكان أكبرهم – وقيدر وأذبُل ، ومنشا ، ومِسمَعا ، وماشى ، ودِمَّا ، وأذر ، وطيما ، ويطورا ، ونبش ، وقَيذُما ، وأمهم : بنت مُضاض بن عمرالجرهمى . قال ابن هشام : ويقال : مِضاض، وجرهم ابن قحطان – وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبها – ابن عامر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح .

قال ابن إسحاق : جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ، ويقطن هو : قحطان بن عيبر بن شالخ .

عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته : قال ابن إسحاق : وكان عمر إسماعيل – فيما يذكرون – مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات – رحمة الله وبركاته عليه – ودفن فى الحِجْر(١) مع أمه هاجر – رحمهم الله تعالى .

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجر وآجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق الماء ، وأراق الماء ، وغيره . وهاجر من أهل مصر .

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها : قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عبد الله بن لهيعة، عن عمر مولى غُفْرة(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – قال :

« الله الله فى أهل الذمة أهل المدَرة السوداء، السُّحْم الجِعاد(٣)، فإن لهم نسباً وصهراً » .

---

(١) الحجر : هو حجر الكعبة وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام حينا ضاقت بهم النفقة وحجرت على الموضع ليعرف أنه من الكعبة .

(٢) غُفْرة : أخت أو بنت بلال رضى الله عنه .

(٣) المدرة : البلدة . والسحم : السود . والجعاد : يقال فلان جعد الشعر إذا كان فيه تكسير .

قال عمر مولى غُفْرة : نسبهم : أن أم إسماعيل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم . وصهرهم، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تسرر فيهم [١] .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل : هاجر ، من "أم العرب" قرية كانت أمام الفَرَما [٢] من مصر .

وأم إبراهيم [٣] : مارية [٤] سرية النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ التي أهداها له المقوقس من حفن [٥]، من كورة أنْصِنا [٦].

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى : أن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السلمى ، حدثه : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : «إذا فتحتم مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فإن لهم ذمة ورحما» . فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى : ما الرحم التي ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لهم ؟ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

أصل العرب : قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

---

(١) تسرر الرجل : اتخذ أمة لفراشه .

(٢) الفرما : مدينة شرق مصر كانت ميناء كبيراً . وتعرف الآن بتل الفرما .

(٣) هو إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) مارية ومعناها : البقرة الفتية إذا كان اللفظ مخففا ، والملساء إذا كان اللفظ مشددا وهى التى أهداها إلى النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس واسمه جُريج بن ميناء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إليه حاطب بن أبى بلتعة وجبرا مولى أبى رهم الغفارى ، فقارب الإسلام وأهدى معهما أيضا بغلته؛ التي يقال لها : دُلْدُل ـــ القنفذ العظيم ـ وأهدى إليه قدحا من قوارير كان يشرب فيها . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ١٧

(٥) حفن : قرية بصعيد مصر وهى التى رفع عنها معاوية الخراج بواسطة الحسن بن على رضى الله عنهم حفظا لوصية رسول الله ورعاية لحرمة صهره صلى الله عليه وسلم .

(٦) أنصنا : قرية بصعيد مصر ، يقال إنها كانت مدينة السحرة وشهرتها قائمة على وجود شجر اللبخ بها .

قال ابن إسحاق : عاد بن عَوص بن إرَم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر ابن إرم بن سام بن نوح ، وطَسْم وعملاق وأمَيم بنو لاوَذ بن سام بن نوح . عرب كلهم . فولد نابتُ بن إسماعيل : يشجب بن نابت ، فولد يشجبُ : يعربَ بن يشجب : فولد يعرب : تيرَح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحور بن تيرح ، فولد ناحور : مقوم بن ناحور ، فولد مقوم أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد . قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أُد .

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان .

قال ابن هشام : فصارت عك فى دار اليمن ، وذلك أن عكا تزوج فى الأشعريين ، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة . والأشعريون : بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هَمَيسَع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويقال : أشعر : نَبْت بن أدد . ويقال : أشعر : بن مالك ، ومالك : مَذحج بن أدد ابن زيد بن هميسع . ويقال : أشعر : بن سبأ بن يشجب .

وأنشدنى أبو مُحرز خلف الأحمر ، وأبو عبيدة ، لعباس بن مرداس ، أحد بنى سُليم ابن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، يفخر بعك :

وعك بن عدنان الذين تلقبوا   بغسان حتى طُرِّدوا كل مطرد

وهذا البيت فى قصيدة له . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن ، كان شِرباً لولد مازن بن الأسد[١] ابن الغوث ، فسموا به . ويقال : غسان : ماء[٢] بالمُشلل قريب من الُجحفة ، والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد ، بن الغوث ، بن نبت ، بن مالك ، بن زيد ، ابن كهلان ، بن سبأ ، بن يشجب ، بن يعرب ، بن قحطان .

---

(١) ويقال فيه الأزد أيضا .

(٢) واشتقاق غسان — اسم ذلك الماء — من الغس وهو الضعيف وبعد هذا البيت :

يا أخت آل فراس إننى رجل   من معشر لهم فى المجد بنيان

ذكر نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصارى ، والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابنَىْ حارثة ، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرىء القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأسد ، ابن الغوث :

إما سألت فإنا معشر نجب　　　الأسْدُ نسبتنا والماء غسان

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن ، وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغوث . ويقال : عُدثان بن الديث بن عبد الله بن الأسد بن الغَوث .

قال ابن إسحاق : فولد معدبن عدنان أربعة نفر : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد، وكان قضاعة بِكْر معد الذى به يكنى ـ فيما يزعمون ـ وقنص بن معد ، وإياد بن معد .

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ـ وكان اسم سبأ : عبد شمس ـ وإنما سمى سبأ ؛ لأنه أول من سَبَى فى العرب ـ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير . وقال عمرو بن مرة الجهنى(١) ، وجهينة بن زيد ، بن ليث ، بن سَوْد ، بن أسلم ، بن الحاف ، بن قضاعة :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر　　　قضاعة بن مالك بن حِمير

النسب المعروف غير المنكر　　　فى الحجر المنقوش تحت المنبر(٢)

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر : قال ابن إسحاق : وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم ـ فيما يزعم نساب معد ـ وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة . قال ابن إسحاق :

---

(١) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

له حديثان أحدهما فى أعلام النبوة ، والآخر : « من ولى أمر الناس ، فسد بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة ، سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة» انظر الروض الأنف بتحقيقنا حـ١ ص ٢٣ .

(٢) الهجان الكريم . الأزهر : المشهور ويقال : إن هذا الشعر لأفلح بن اليعبوب كما ذكر ذلك ذو الحسبين عن الزبير . ويقال أن أول هذا الرجز قوله :

يأيها الداعى ادعنا وأبشر　　　وكن قضاعيا ولا تنزر

حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص ابن مَعد . قال ابن هشام : ويقال : قَنَص .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بنى زُرَيق أنه حدّثه : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين أُتى بسيف النعمان ، ابن المنذر (١) ، دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى — وكان جبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب — فسلحه إياه ، ثم قال : ممن كان يا جبير : النعمان بن المنذر؟ فقال : كان من أشلاء قنص بن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لخم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فالله أعلم أى ذلك كان .

لخم بن عدى : قال ابن هشام : لخم : بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ابن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : لخم : بن عدى بن عمرو بن سبأ . ويقال : ربيعة بن نصر (٢) بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

---

(١) وإنما أتى بهذا السيف حين افتتحت المدائن ، وكانت بها خرائب كسرى وذخائره فأخذت نفائسه ومن جملتها خمسة أسياف . أحدها : سيف كسرى أَبَرْوَيز . والثانى سيف كسرى أنوشروان وثالثها : سيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه حين غضب عليه وقتله . ورابعها : سيف خاقان ملك الترك ، وخامسها : سيف هرقل وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم .

(٢) ويقال فيه : نصر بن ربيعة . وهو فى قول نساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث ابن نمارة بن لخم . وقال الزبير : نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عُجم بن عمرو بن نمارة ابن لخم .

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى، أنه رأى جرذاً يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيَصرّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه ، أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غضبة عمرو ؛ فاشتروا منه أمواله ، وانتقل فى ولده وولد ولده . وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان . فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا . ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا[1]، ثم ارتحلوا عنهم ، فتفرقوا فى البلدان ، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر : الشام ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب ، ونزلت خزاعة : مَرّاً ، ونزلت أزد : السَّراة السراة ، ونزلت أزد : عمان عمانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، ففيه أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له . بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » .

والعرم : السد ، واحدته : عرمة ، فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال الأعشى : أعشى بنى قيس ، ابن ثعلبة ، بن عُكابة ، بن صعب ، بن على ، بن بكر ، ابن وائل ، بن هِنب ، بن أفصى ، بن جديلة ، بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد .

قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة ، واسم الأعشى : ميمون بن قيس ، ابن جندل ، بن شراحيل ، بن عوف ، بن سعد ، بن ضُبَيعة ، بن قيس ، بن ثعلبة :

وفى ذاك للمؤتسى أُسوة ومأرب عَفىّ عليها العرم
رخام بنته لهم حمير إذا جاء مَوّارُهُ لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤهم إذ قُسم

---

(١) وهو قوله :

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طُرّدوا كل مطرد

فصاروا أيادىَ ما يقدرو ن منه على شرب طفل فُطم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى ـ واسم ثقيف : قَسِى بن منبِّه ، بن بكر ، بن هوازن ، ابن منصور ، بن عكرمة ، بن خصَفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت فى قصيدة له . وتروى للنابغة الجعدى ، واسمه: قيس بن عبد الله، أحد بنى جعدة ، بن كعب ، بن ربيعة ، بن عامر ، بن صعصعة ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن . وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة : قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته ، وفظع بها ، فلم يدع كاهناً ، ولا ساحراً ، ولا عائفاً[١]، ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ؛ فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لايعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريدهذا فليبعث إلى سطيح[٢] وشقّ[٣]، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

---

(١) العائف : من يزجر الطير .

(٢) وسمى سطيحا : لأنه كان جسدا ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس ، إلا إذا غضب انتفخ فجلس . ويذكر أن وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولاعنق ويذكر عن وهب ابن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنىّ لك هذا العلم؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى — عليه السلام — فهو يؤدى إلىّ من ذلك مايؤديه .

(٣) وسمى بذلك لأنه كان نصف إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة، وعين واحدة . وولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة وهى بنت الخير الحميرية امرأة عمرو بن عامر فدعت بشق وسطيح قبل أن تموت فتفلت فى فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها فى كهانتها.

واسم سطيح : ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدى، بن مازن غسّان .

وشق : بن صعب ، بن يشكر، بن رُهْم ، بن أفرَك ، بن قَسر، بن عَبْقَر ، بن أنمار ، ابن نزار . وأنمار أبو بَجيلة وخثعم .

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة بنو أنمار ، بن إراش ، بن لحيان ، ابن عمرو ، بن الغوث ، بن نبت ، بن مالك، بن زيد، بن كهلان ، بن سبأ . ويقال : إراش بن عمرو ، بن لحيان، بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم يمانية .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق ، فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ، فاخبرنى بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .

قال : أفعل . « رأيت حُممة ، خرجت من ظُلمة ، فوقعت بأرض تَهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة »[١] .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا ياسطيح ؛ فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرّتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبْين إلى جُرَش[٢] ، فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ، أفى زمانى هذا ، أم بعده ؟ قال لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرَم ذى يَزَن[٣] ، يخرج

---

(١) الحمة : الفحمة المحرقة والظلمة : الظلام، يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان وأرض تهمة أى منخفضة وقوله : « أكلت منها كل ذات جمجمة » ولم يقل : كل ذى جمجمة لأن القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح .

(٢) بنو حبش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة. وأبين هكذا رويت بفتح الهمزة وذكرها سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصبع . وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير، أو من ابن حمير سميت به البلدة. وذكر الطبرى: أن أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان. وجرش : مدينة باليمن .

(٣) المعروف أن اسمه : سيف بن ذى يزن، ولكن جعله إرما، إما لأن الإرم هو العلم =

عليهم من عدن ، فلا يترك احداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي ، يأتيه الوحي من قبل العلي ، قال: ومن هذا النبي ؟

قال : رجل من ولدغالب بن فهربن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم . والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ماقال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان . فقال : نعم ، رأيت حممة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحد .

إلا أن سطيحاً قال : « وقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان(١) ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني، أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام، ليس بدني ، ولا مدن(٢) ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

= فمدحه بذلك ، وإما شبهه بعاد إرم في عظم الخلقة، قال الله تبارك وتعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد » .

(١) الطفلة : الناعمة الرخصة . والبنان : الأصبع .

(٢) المدن : الذي جمع الضعف مع الدناءة .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أمض .

قال ابن هشام : أمض . يعنى شكاً : هذا بلغة حمير . وقال أبو عمرو . أمْض أى : باطل .

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه ، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرَّزاذ فأسكنهم الحيرة .

رأى آخر فى نسب النعمان بن المنذر : فن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان بن المنذر ، فهو فى نسب اليمن وعلمهم : النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر ، بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر .

استيلاء أبى كرب تُبّان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد[1] أبى كرب — وتبان أسعد هو : تبع الآخر ، ابن كَلْكِى كَرِب بن زيد ، وزيد هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار[2] ابن أبرهة ذى المنار[3] ابن الرَّيش — قال ابن هشام : ويقال : الرائش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظلْم ، ابن زيد

(١) اسمان جعلا اسماً واحداً ، ويصح جعل الإعراب فى الجزء الأول من الاسم وإضافة الاسم الثانى إليه ويجوز جعل الإعراب فى الجزء الثانى من الاسم . وتبان : من التبانة وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبن وطبن .

(٢) وسمى ذا الأذعار ، لأنه أوغر فى ديار المغرب وسبا أمة ذات شكل غريب ؛ فذعر الناس منهم فسمى بذلك .

(٣) وسمى بذلك لأنه رفع نيراناً فى جبال ليهتدى بها فى إحدى غزواته .

ابن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن الْعَرَنْجَجِ . والعرنجج : حمْير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يَشْجُب ، بن قحطان .

قال ابن هشام : يَشجب : بن يعرب بن قحطان .

قال ابن إسحاق : وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة ، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

ليت حظى من أبى كرب أن يسد خيرُه خبلَه[1]

تبان يغضب على أهل المدينة : قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مر بها فى بدأته ، فلم يهج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقُتل غيلة ، فقدمها ، وهو مجمع لإخرابها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها[2] ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بنى النجار ، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر ، بن مالك ، بن النجار . واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو ، ابن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

عمرو بن طلة ونسبه : قال ابن هشام : عمرو بن طَلّة : عمرو بن معاوية ، بن عمرو ، ابن عامر ، بن مالك ، بن النجار ، وطلة : أمه : وهى بنت عامر بن زريق ، بن عامر بن زريق ، ابن عبد حارثة ، بن مالك ، بن غضْب ، بن جشَم ، بن الخزرج .

---

(١) الخبل : الفساد . وقد نسب هذا البيت إلى الأعشى ولكن البرق نسبه إلى عجوز من بنى سالم ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع . فدخل سراً ، فقال لقومه : قد جاء تبع فقالت العجوز البيت .

(٢) يذكر القتبى أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف بذلك يهود واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

قصة مقاتلة تبار لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له : أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق له يَجُدُّه (١) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره (٢)، فزاد ذلك تبعاً حنقا عليهم ، قال : فاقتتلوا ، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرُونَه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام !!

فبينا تبع على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بنى قريظة ـ وقريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو ـ وهو هدل (٣) ـ بنو الخزرج بن الصريح بن التومان (٤)، بن السِّبط بن اليسع ، بن سعد ، بن لاوىّ ، بن خير ، بن النجَّام ، بن تنحوم ، بن عازر ، بن عِزْرَى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يصهر ، بن قاهث ، بن لاوىّ ، بن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحاق ، بن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلى الله عليهم ـ عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، وأتبعهما على دينهما ، فقال خالد ابن عبد العُزّى بن غَزِيّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة :

أصحا أم قد نهى ذُكَرَه ... أم قضى من لذة وطره (٥)

---

(١) العذق : النخل ، ويجده : يقطعه .

(٢) أبر النخل : لقحه وأصلحه .

(٣) هدل : بفتح الدال والهاء ، كأنه مصدر : هدل هدلا إذا استرخت شفته ، وذكره الأمير بن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه : هدل بسكون الدال .

(٤) التومان : على وزن فعلان . كأنه من لفظ التُّوَم ، وهو الدر .

(٥) الذكر : جمع ذكره . والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالألف وقلما يجمع فعلى على فُعَل وإنما يجمع على فعال ، فإن كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى ، وشبه ألف التأنيث بهاء التأنيث ، فله وجه : قد يحملون الشىء على الشىء إذا كان فى معناه .

أم تذكرتَ الشباب ، وما ذِكرك الشباب أو عُصُره(١)
إنها حرب رَباعيَةٌ مثلها آتى الفتى عِبَرَه(٢)
فاسألا عمران ، أو أسدا إذ أتت عَدْواً مع الزُّهَرَة(٣)
فيلق فيها أبو كَرِبٍ سُبَّغ أبدانها ذَفِرَه(٤)
ثم قالوا : من نؤم بها أبني عوف ، أم النُّجَره ؟(٥)
بل بني النجار إن لنا فيهم قتلى ، وإنَّ تِرَه(٦)
فتلقتهم مُسايفة مَدُّها كالغيبة النَّثِرَة(٧)
فيهم عمرو بن طلة مـلَّـى الإله قومه عُمرَه(٨)

(١) أو عُصُره ، أراد أو عَصْره وهما لغتان كما قال ابن جنى ليس شيء على وزن فعُل يمتنع فيه فُعُل . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٣٧ .

(٢) حرب رباعية . مَثل . أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ، كما يقال : حرب عوان ؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

(٣) يريد صبحهم بغلس : وهى ظلمة آخر الليل قبل مغيب الزهرة : وهى نجم معروف شديد اللمعان .

(٤) سبغ : كاملة . والأبدان : الدروع . وذَفِرة من الذَّفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدَّفر ، فإنه فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا أم دَفْر .

(٥) النجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار ، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزوج ، وسمى النجار ؛ لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب .

(٦) فيهم قتلى وإنَّ تره : أظهر إن بعد الواو . أراد : إن لنا قتلى وترة ، والترة : والوتر انظر تفصيل ذلك فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٣٨ .

(٧) مسايفة : أى كتيبة مسايفة . والغيبة : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ، وهى التى لا تمسك الماء .

(٨) ملى . من قولهم . تمليته حيناً . أى عشت معه حيناً وهو مأخوذ من الملاوة والملوين وفى القاموس . ملاك الله حبيبك تملية : متعك به ، وتملى عمره . استمتع فيه ، والملا : الصحراء ، والملوان : الليل النهار .

سيد سام الملوك ومن رام عمرا لايكن قَدَرَه

وهذا الحىّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم ، فنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حنقا على سبطين حلاّ يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته [1] .

تبع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ،فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسفان ، وأمج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر ، أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده . فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ماأراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك . مانعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت مادعوك إليه ، لتهلكن ، وليهلكن من معك جميعا ، قال : فماذا تأمرانى أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده مايصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتذل له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله ، وبالدماء التى يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك ـ أو كما قالا له ـ فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها الناس

---

(١) على الرغم من زعم ابن هشام أن هذا البيت مصنوع فقد ذكره ضمن قصيد مطول فى كتاب التيجان .أوله :

ما بال عينك لا تنام ، كأنما كحلت مآقيها بسم الأسود

ويطعم أهلها ، ويسقيهم العسل ، وأرى فى المنام أن يكسوَ البيت ، فكساه الخصف[١] ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المعافر[٢]، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل[٣] ، فكان تبع ـ فيما يزعمون ـ أول من كسا البيت[٤]، وأوصى به وُلاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مئلاتا ـ وهى المحايض[٥] ـ وجعل له بابا ومفتاحا، وقالت سبيعة بنت الأحب[٦]، بن زبينة ، بن جذيمة ، بن عوف، بن معاوية، بن بكر ابن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خَصَفة ، بن قيس ، بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظم عليه حرمة مكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تبعا وتذلله لها ، وما صنع بها :

---

(١) الخصف : جمع خصفة وهى شىء ينسج من الخوص والليف ، والخصف أيضا : الثياب الغليظة .

(٢) المعافر : ثياب يمنية .

(٣) الملاء : جمع ملاءة ، وهى الملحفة . والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن .

ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها .

(٤) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر الدارقطنى : أنها نتيلة بنت جناب أم العبّاس بن عبد المطلب ، كانت قد أضلت العباس صغيراً . فنذرت : إن وجدته أن تكسوَ الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته . وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير .

(٥) لم يرد النساء الحيض ؛ لأن حائضا لا يجمع على محائض . وإنما هى جمع محيضة ، وهى خرقة الحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مئلاة ، وجمعها : المآلى .

(٦) وقال أبو عبيدة : بنت الأجب — بالجيم — وقد قالت هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار ، وبين بنى على بن سعد بن تميم حتى تفانوا .

أبُنَىّ : لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بنَىَّ ولا يغرنك الغَرور
أبنى : من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
أبنى : يضرب وجهه ويَلُحْ بخديه السعير
أبنى : قد جربتها فوجدت ظالمها يبور (١)
الله أمنها ، وما بنيت بعَرْصَتها قصور
والله آمن طيرها والعُصم تأمن فى ثبير(٢)
ولقد غزاها تبع فكسا بنيتها الحبير(٣)
وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشى إليها حافيا بفنائها ألفا بعير
ويظل يُطعم أهلها لحم المهارى والجزور(٤)
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير(٥)
والفيل أُهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك فى أقصى البلا د وفى الأعاجم والخزير(٦)
فاسمع إذا حُدثت ، وافـ ـهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

---

(١) يبور : يهلك .
(٢) العصم : الوعول تعتصم فى الجبال . وثبير : جبل بمكة .
(٣) بنيتها : الكعبة . والحبير : نوع موشى من ثياب اليمن .
(٤) المهارى : الإبل النجيبة .
(٥) الرحيض : المنق والمصفى .
(٦) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم .

قال ابن إسحاق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث : أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ؛ فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكِمنا إلى النار قال : نعم . قال: وكانت باليمن – فيما يزعم أهل اليمن – نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرهم[1] من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك ، كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محدث أن الحبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة، وتنكص عنهما ، حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفقت [2] عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

هدم البيت المسمى رئام[3] :قال ابن اسحاق: وكان رئام بيتا لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويُكلَّمون منه ،إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه – فيما يزعم أهل اليمن – كلبا أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم – كما ذكر لى – بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

---

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم ليجدوا .

(٢) أصفقت : اجتمعت .

(٣) رئام : فعال من رئمت الأنثى ولدها ترأمه رئما ورئاما : إذا عطفت عليه ورحمته ؛ فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته .

مُلك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كرب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطأ بهم أرض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم ـ كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه . فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَين الحميرى فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رعين (١) :

ألا من يشترى سهراً بنوم   سعيد من يبيت قرير عين(٢)

فإما حمير غدرت ، وخانت   فمعذرة الإله لذى رعين

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمراً ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

لاهِ عينا الذى رأى مثل حسان قتيلا فى سالف الأحقاب (٣)

قتلته مقاول خشية الحبس غداة قالوا : لبَابِ لبَاب (٤)

ميتكم خيرنا وحيكم ربٌ علينا ، وكلكم أربابى

---

(١) ذو رعين : تصغير رعْن ، والرعن : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين .

(٢) معناه : أَمَنْ يشترى ، وحسن حذف ألف الاستفهام لتقدم همزة ألا . وفى البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، لحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه .

(٣) لاه : أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير . ولكنه جاز فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء :

لِهِنّك من برق على كريم

أراد : والله إنك . انظر هذا الموضوع مفصلا فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٤٣ .

(٤) المقاول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيْل وأصله قيل مثل سيد واستعمل باليـــاء فى إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأن معناه : الذى يقول ويسمع قوله .

قال ابن إسحاق : وقوله : لَبَاب لَبَاب : لا بأس لا بأس بلغة حمير . قال ابن هشام : ويروى لِبَاب لِبَاب .

هلاك عمرو وتفرق حمير : قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة[1] من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه ، أو ذا رحمه بغياً على مثل ماقتلت أخاك عليه ، إلا ذهب نومه ، وسلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، حتى خلص إلى ذى رعين ، فقال له ذو رعين : إن لى عندك براءة ، فقال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعت إليك ، فأخرجه فإذا البيتان ، فتركه ، ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فمرج[2] أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

خبر لخنيعة وذى نواس

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له : لَخْنيعة[3] ينوف ذو شَنَاتر[4] ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمير للخنيعة .

تُقَتِّلُ أبناها وتنفى سراتها ... وتبنى بأيديها لها الذل حمير

تدمر دنياها بطيش حلومها ... وماضيعت من دينها فهو أكثر

كذاك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتى الشرورَ فتخسر

فسوق لخنيعة : وكان لخنيعة امرءا فاسقا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه فى مَشْرَبة له قد صنعها لذلك . لئلا يُملك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسوا كا ، فجعله فى فيه ، أى : فيعلمهم أنه قد فرغ منه ، حتى بعث إلى زُرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان ، وكان صبيا صغيراً حين قتل حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ،

---

(١) الحزاة : المنجمون .

(٢) مرج : اختلط .

(٣) قال ابن دريد : هو من اللخع ، وهو استرخاء الجسم .

(٤) الشناتر الأصابع واحدها شُنْتُر .

غرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً ، فخبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس ، فوجأه [١] حتى قتله ، ثم حز رأسه ، فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها ، ووضع مسواكه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطب أم يباس فقال : « سل نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس » قال ابن هشام : هذا كلام حمير . ونخماس : الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا فى إثر ذى نواس حتى أدركوه ؛ فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ، إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

ملك ذى نواس : فملكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأخدود ، وتسمى : يوسف ، فأقام فى ملكه زمانا .

سبب وجود النصرانية بنجران : وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر .

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فيميون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

حديث فيميون [٢] : قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس ، عن وهب ابن منبه اليمانى أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلا صالحاً مجتهداً زاهداً فى الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل بين القرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه ، وكان بنّاء يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً . وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسى . قال : وكان فى قرية من قرى الشام

---

(١) وجأه : ضربه .

(٢) فيميون . وقال عنه السهيلى فى الروض الأنف فيمئون . وذكر أن النقاش قال : إن اسمه يحى ، وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ولزم السياحة .

يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئاً كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد اتبعه صالح ، وفيميون لايدرى ؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التنين - الحية ذات الرءوس السبعة[١] - فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه ، فعِيلَ عَوْلُه ؛ فصرخ : يا فيميون ! التنين قد أقبل نحوك ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يا فيميون ! تعلم والله أنى ما أحببت شيئاً قط حبك وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفى ، وإذا دُعِى إلى أحد به ضر لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنه لا يأتى أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبى[٢] ، ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ؛ فدعا له فيميون ؛ فقام الصبى ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون ! قال : نعم . قال : ما زلت أنظرك ، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم علىّ فإنى ميت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف ، وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدوا عليهما ، فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى

(١) أى القرون السبعة .

(٢) انتشط الثوب : رفعه بسرعة .

باعوها بنجران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلى النساء ، ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها يوماً .

فابتاع فيميونَ رجل من أشرافهم ، وابتاع صالحاً آخر ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجد فى بيت له أسكنه إياه سيده - يصلى ، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه ما يرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده ، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون ، فتطهر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجَعَفَتْها[1] من أصلها فألقتها ؛ فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن مُنَبِّه عن أهل نجران .

خبر عبد الله بن الثامر

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد ابن كعب القرظى ، وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران : القرية العظمى التى إليها جِمَاع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم ، فوحد

(١) جعفتها : أسقطتها .

الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ـ وكان يعلمه ـ فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي ! إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدالله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح [1] فجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قِدْح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أي ابن أخي ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبد الله ، أتوحد الله ، وتدخل في ديني ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشفى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفي ، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيُطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلطت عليّ فقتلتني ، قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا في يده ، فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك .

---

[1] القداح : السهام .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظى ، وبعض أهل نجران عن عبد الله ابن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل؛ فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود[1]، فحرق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم : « قُتِلَ أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

تفسير الأخدود : قال ابن هشام : الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه : أخاديد . قال ذو الرمة ـ واسمه : غيلان بن عقبة ، أحد بنى عدى بن عبد مناف ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر :

من العراقية اللاتى يُحيل لها بين الفَلاةِ وبين النخل أخدود

يعنى : جدولا . وهذا البيت فى قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد ، وأثر السوط ونحوه : أخدود ، وجمعه أخاديد .

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس ، عبد الله ابن الثامر رأسهم وإمامهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حُدّث : أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حفر خَرِبة من خَرِب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دَفْن منها قاعداً ، واضعا يده على

---

(1) روى ابن سنجر عن جبير بن نُفَير قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب اليمن ، وقسطنطين ابن هلانى ــ وهى أمه ــ حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم فى النار ، فكانت برداً وسلاما عليهم .

ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أُخرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : ربى الله ، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ، ففعلوا (١) .

فرار دوس ذى ثعلبان من ذى نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له دَوْس ذو ثُعْلبان على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشى ينصر دوسا : فقدم دوس على النَّجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط — ومعه فى جنده أبرهة الأشرم — فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثعلبان .

نهاية ذى نواس : وسار إليه ذو نواس فى حمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وجه فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضَحْضاح (١) البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْره (٢) ، فأدخله فيه ،

---

(١) يصدق ذلك قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء ... » وما وجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة ، كحمزة ابن عبد المطلب — رضى الله عنه — فإنه وجد حين حفر معاوية العين صحيحا لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه ، فدميت . وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح . وطلحة ابن عبيد الله ، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها فى المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . وحدثنى من لا أشك فى قوله أنه رأى كثيرا من الشهداء فى حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة .

(٢) الضحضاح من الماء : الذى يظهر قعره .

(٣) الغمر : الماء الكثير .

وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها(١) .

فقال رجل من أهل اليمن ـ وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

« لا كدَوْس ولا كأعلاق رَحْلِه »(٢)

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذى جدن الحميرى فى هذه القصة : وقال ذو جدن الحميرى :

هونك(٣) ليس يرد الدمع ما فاتا　　لا تهلكى أسفاً فى إثر من ماتا

أبعد بَيْنُون لا عين ولا أثر　　وبعد سَلْحِين يبنى الناس أبياتا؟!

بينون وسلحين وغمدان : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها .

وقال ذو جدن أيضاً :

دعينى ــ لاأبالك ــ لن تطيقى(٤)　　لَحاكِ الله ! قد أنزفْتِ ريقى(٥)

لدى عزف القيان إذ انتشينا　　وإذ نُسقى من الخمر الرحيق(٦)

---

(١) هذا ما ذكره ابن إسحاق وهناك رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة: صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يداً واحدة عليهم فأبوا إلاأن يحمى كل واحدمنهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه ، فكتبوا إلى النجاشى بذلك فقبل ، ثم كتب ذو النواس إلى كل موضع ببلاده أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فوجه النجاشى جيشاً إلى أبرهة وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ويسبى ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة .

(٢) الأعلاق : النفائس .

(٣) هونك : ترفقى ، وقد روى عن ابن إسحق من غير رواية ابن هشام : هونكما لن يرد . وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا .

(٤) أى لن تطيقى صرفى بالعذل عن شأنى .

(٥) أى أيبست ريقى فى فمى ، وقلة الريق من الحصَر ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش .

(٦) الرحيق : الخالص .

وشرب الخمر ليس عليّ عارا ... إذا لم يَشكُني فيها رفيق
فإن الموت لا ينهاه ناه ... ولو شرب الشفاء مع النَّشُوق(١)
ولا مترهب فى أسطوان ... يناطح جُدره بَيْض الأنوق(٢)
وغمدان(٣) الذى حُدثت عنه ... بَنوه مُسَمّكا فى رأس نيق(٤)
بِمَنْهَمَة ، وأسفله جُرُون ... وحُر المَوْحَل اللَّثق الذليق(٥)
مصابيح السليط تلوح فيه ... إذا يمسى كتوماض البروق(٦)
ونخلته التى غُرست إليه ... يكاد البُسْر يَهصر بالعذوق(٧)

(١) أى لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل نشوق يجعل فى الأنف للتداوى به، مانهى ذلك الموت عنه .

(٢) مترهب يجوز أن يكون معطوفا على لفظ (ناه) فيكون المعنى : لا ينهى الموت ناه ولا مترهب أى ولا دعاء مترهب . ويجوز أن يكون مرفوعاً على الفاعلية . أى . ولا ينجو منه مترهب .

والأسطوان : على وزن أفعوال والنون فيها أصلية ؛ جمعه : أساطين ، وليس فى الكلام أفاعين والأسطوان جمع أسطوانة ، وهى السارية ويقصد هنا المكان الذى يختلى فيه الراهب . والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض .

(٣) غمدان : هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة .

(٤) مسمكا : مرفعاً : من قوله سمك السماء ، والنيق : أعلى الجبل .

(٥) المنهمة : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهامى ويقال للنجار أيضاً : نهامى فتكون المنهمة أيضاً على هذا موضع نجر . والجرون . جمع جرن ، وهو النقير ، من جرن الثوب : إذا لان . روى أبو الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى أيضا، وفى حاشية كتاب الوقشى أنها الحجارة السوداء . وحر : الخالص من كل شىء . والموحل : من الوحل . وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى : وحر الموجل وفسرها بأنها حجارة مُلس لينة . واللثق من اللثق وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ، والزليق الذى يزلق فيه . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٥٨ . (٦) السليط : الدهن .

(٧) يهصر : يميل . العزوق : جمع عذق بفتح العين وهى النخلة .

فأصبح بعد جدته رَماد وغيّر حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكينا وحذر قومه ضنق المضيق

قول ربيعة بن الذئبة الثقفي في هذه القصة : وقال عبد الله بن الذئبة الثقفي في ذلك —
قال ابن هشام : الذئبة أمه، واسمه : ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطيْط بن جشم ابن قسى .

لعمرك ما للفتى من مفر مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صُحْرَةَ لعمرك ما إن له من وَزَرْ(١)
أبعد قبائل من حمير أبيدوا صباحا بذات العِبَر(٢)
بألف ألوف وحُرَّابة كمثل السماء قبيل المطر(٣)
يصم صياحهم المقْرَبات وينفون من قاتلوا بالذفر(٤)
سَعالِيَ مثل عديد الترا ب تيبس منهم رطابُ الشجر(٥)

---

(١) الصحرة : المتسع ؛ أخذ من لفظ الصحراء . والوزَر : الملجأ ، ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه ، وقد قيل من الوزْر ؛ لأنه يحمل عن الملك أثقالا ، لأن الوزْر : الثقل .

(٢) ذات العبر : أي ذات الحزن ، يقال : عبر الرجل إذا حزن ، ويقال لأمه العُبْر ، كما يقال لأمه الثُّكل .

(٣) الحرابة : ذوو الحراب ، وقوله كمثل السماء أي كمثل السحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر .

(٤) المقربات : الخيل العتاق التي لا تسرح في المراعي ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو .

والذفر : الرائحة الشديدة ، أي ينفون من قاتلوا بريحهم وأنفاسهم ، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة وقيل غير ذلك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٦٠ .

(٥) سعالي : الجن ، والمفرد سعلاة ويقال : بل هي الساحرة من الجن .

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى في هذه القصة : وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى[1] فى شىء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى[2] ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعزها ، وما زال من مُلكها عنها :

أتوعدنى كأنك ذو رُعَيْن ـ بأفضل عيشة ـ أو ذو نواس
وكائنْ كان قبلك من نعيم وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسى
فأمسى أهله بادوا ، وأمسى يُحوَّل من أناس فى أناس

نسب زبيد ومراد . قال ابن هشام : زبيد بن سلمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج . ويقال : زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ، ويقال : زبيد بن صعب ابن سعد . ومراد : يحابر بن مذحج .

لماذا قال عمرو بن معدى كرب هذا الشعر : قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، قال : كتب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى سلمان بن ربيعة الباهلى ، وباهلة بن يعصر ابن سعد بن قيس بن عيلان . وهو بإرمينية يأمره أن يفضّل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب

---

(١) عمرو بن معدى كرب ـ رضى الله عنه ـ صحابى ، يكنى : أبا ثور تضرب الأمثال بفروسيته وبسالته . ومعنى معدى كرب : وجه الفلاح ، المعدى هو : الوجه ، والكرب هو : الفلاح .

(٢) ليس من مراد ، وإنما هو حليف لها، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة ابن مذحج ونسبه فى بجيلة ثم فى بنى أحمس ، وأبوه مكشوح اسمه : هُبيرة بن هلال . ويقال: عبد يغوث ابن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مكشوحا، لأنه ضرب بسيف على كشحه (ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) .ويكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسى الكذاب هو وذَادَوَيْه وفيروز ، وكان قيس بطلا شجاعا قتل مع على — رضى الله عنه — يوم صفين وله فى ذلك اليوم وفى حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد .

الخيل المَقَارِف(١) فى العطاء ،فعرض الخيل، فر به فرس عمرو بن معدى كرب، فقال له سلمان: فرسك هذا مُقرِف ، فغضب عمرو ، وقال : هجين عرف هجيناً مثله ، فوثب إليه قيس فتوعده ، فقال عمرو هذه الأبيات .

تصديق قول شق وسطيح . قال ابن هشام :فهذا الذى عَنى سَطيح الكاهن بقوله : « ليهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جُرَش » ، والذى عنى شِقّ الكاهن بقوله : « لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفلة البنان ، وليملكن ما بين أَبْيَن إلى نجران » .

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى،حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلق الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئاً ، فابرز إلىّ ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ؛ فخرج إليه أبرهة — وكان رجلا قصيراً لحيما ، وكان ذا دين فى النصرانية — وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له، يقال له : عَتْوَدَة(٢) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يأفوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمى : أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى(٣) أبرهة أرياط .

غضب النجاشى على أبرهة : فلما بلغ النجاشى غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى ، ثم حلف :لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته . فحلق أبرهة رأسه

---

(١) المقارف : جمع مقرف الذى دانى الهجنة ، وهو الذى أمه عربية وأبوه ليس بعربى فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم . انظر ذلك مفصلا فى الصحاح مادة قرف .

(٢) العتودة : الشدة فى الحرب .

(٣) وداه : تحمل ديته .

وملأ جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشى ، ثم كتب إليه :

« أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدكَ ، وأنا عبدك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ؛ ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فىَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

« **القليس » أو كنيسة أبرهة** : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس(١) بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشى : أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى ، غضب رجل من النَّسأة ، أحد بنى فُقَيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

النسأة : والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إنما النسىء زيادة فى الكفر يُضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله » .

---

(١) القليس : وهى الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، وقلس طعاما : أى ارتفع من معدته إلى فيه . وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخرة وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس وكان من موضع الكنيسة على فراسخ ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس وكان أراد أن يرتفع بها حتى يشرف منها على عدن . انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٦٣ .

قال ابن هشام : ليواطئوا : ليوافقوا ، والمواطأة : الموافقة، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه ، والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد ، نحو قول العجاج ــ واسم العجاج(١) : عبد الله بن رؤبة أحد بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مر بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مضر بن نزار .

فى أثعبان المنجنون المرسل(٢)

ثم قال : مد الخليج فى الخليج المرسل

وهذان البيتان فى أرجوزة له

أول من ابتدع النسىء : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلت منها ماأحل ، وحرمت منها ماحرم : القَلَمَّس(٣)، وهو حذيفة بن عبد بن فُقَيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد ابن حذيفة، ثم قام بعد عباد : قَلَع بن عباد، ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثُمامة ، جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام(٤)، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم . فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر

---

(١) وكنيته : أبو الشعثاء وسمى العجاج بقوله : حتى يعج عندها من عججا المرجع السابق ص ٦٥ .

(٢) الأثعبان ما يندفع من الماء من مثعبه ، والمثعب : المجرى . والمنجنون : الدولاب التى يستقى عليها . نفس المرجع هامش صفحة ٦٢ .

(٣) وسمى القلمس لجوده ؛ إذ أنه من أسماء البحر .

(٤) وجد السهيلى خبراً عن إسلام أبى ثمامة فقد حضر الحج فى زمن عمر ،فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس : إنى قد أجرته منكم ، فخفقه عمر بالدرة وقال : ويحك : إن الله أبطل أمر الجاهلية .

فحرموه ؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم . فإذا أرادوا الصَّدَر(١) قام فيهم فقال : «اللهم إنى قد أحللت لك أحد الصفرين ، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل(٢)» . فقال فى ذلك عمير بن قيس ، جِذْلُ الطِّعان (٣) ، أحد بنى فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لقد علمتْ معد أن قومى كرام الناس أنّ لهم كراما(٤)
فأى الناس فاتونا بوِتْر وأى الناس لم تُعْلِك لجاما(٥)
ألسنا الناسئين على معدّ شهور الحل نجعلها حراما ؟

---

(١) الصدر هنا : الرجوع من الحج .

(٢) كان نسؤهم على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» ، وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة — والله أعلم — إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم —

(٣) وكان عمير من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ، ويستراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل «عود ينصب للبهم الجرباء لتحتك به» .

(٤) أى : آباء كراما وأخلاقا كراما .

(٥) أى : لم نَدَعهم ونسكفهم ، كما يقدع الفرس باللجام . تقول : أعلكت الفرس لجامه : إذا رددته عن تنزعه ، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه ، فهو مقدوع .

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرم . (١)

الكنانى يحدث فى القليس : قال ابن إسحاق : فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيْس فقعد(٢) فيها — قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها — قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب فجاء ، فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل .

خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذو نفر وأصحابه ، وأُخذ له ذو نفر ، فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

---

(١) وقال غير ابن هشام : إن أولها ذو القعدة لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم ، ومن قال المحرم أولها، احتج بأنه أول السنة . وتظهر فائدة هذا الخلاف فيمن نذر صيام الأشهر الحرم . فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم ، ثم برجب ، ثم بذى القعدة ، وذى الحجة . وعلى القول الآخر : يبدأ بذى القعدة حتى يكون آخر صيامه فى رجب من العام الثانى .

(٢) قعد : أى أحدث فيها — وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وأن ذلك للمذاهب « للتوضئين » .

خثعم تجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم[1] عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمى فى قَبِيلَىْ خثعم: شهران وناهس[2]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نفيل أسيراً، فأُتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم: شهران وناهس بالسمع والطاعة، فخلى سبيله.

وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف.

نسب ثقيف[3]: واسم ثقيف: قسى بن النَّبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان

قال أمية بنُ أبى الصلت الثقفى[4]:

قومى إياد لو أنهم أَمَم — أو: لو أقاموا فتهزل النَّعَم[5]
قوم لهم ساحة العراق إذا — ساروا جميعاً والقط والقلم[6]

---

(١) خثعم: اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده، وقيل: إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا.

(٢) يقال إن خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب غير أن أكلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا فى خثعم، وانتسبوا إليهم.

(٣) اختلف النسابون فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم إلى ثمود أيضاً. وفى حديث رواه معمر بن راشد فى جامعه: «أن أبا رغال من ثمود».

(٤) واسم أبى الصلت: ربيعة بن وهب.

(٥) الأمم: القريب. أولو أقاموا: أى بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق.

(٦) القط ما قط من الكاغد والرق وذلك أن الكتابة كانت فى تلك البلاد التى ساروا إليها. وقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

وقال أمية بن أبى الصلت أيضا :

فإما تسألى عنى — لُبَيْنَى وعن نسبى — أخبرك اليقينا

فإنا للنبيت أبى قسى لمنصور بن يَقْدُم الاقدمينا .

قال ابن هشام : ثقيف : قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والبيتان الأولان والآخران فى قصيدتين لأمية .

ثقيف تهادن أبرهة : قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم .

اللات : واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى لضرار بن الخطاب الفهرى :

وفرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت فى أبيات له .

أبو رغال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمَّس [1] ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك ، فرجمت قبره العرب ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس..

---

(١) المغمس : بفتح الميم الثانية على زنة اسم المفعول فكأنه من غمست الشىء إذا غطيته وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه (شجر له شوك) فقد روى على بن السكن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس، وهو على ثلث فرسخ من مكة.

أما على رواية كسر الميم الثانية بزنة اسم الفاعل فهو مشتق من الغميس وهو الغمير وهو نبات أخضر ينبت فى الخريف .

الأسود بن مقصود يهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود(١) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به ؛ فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ،فجاءه ، فقال له ماأمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله مانريد حربه ، ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — عليه السلام — أو كما قال — فإن يمنعه منه ، فهو بيته وحرمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك .

أنيس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ،وكان له صديقا ،حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ؟ ! ماعندنا غَنَاء فى شيء مما نزل بك ، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك،فتكلمه بما بدالك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبى . فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس

---

(١) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمرو بن عِلّة . ويقال فيه : عُلَـةُ على وزن عمر — ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاهلكت كلها إلا (محمود) فيل النجاشى لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة .

الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذن عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذن له عليك فيكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

الإبل لى والبيت له رب يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟ ! قال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك .

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حناطة ، يَعمرَ بن نُفاثة بن عدى بن الدُّئل بن بكر بن مناة ابن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر — وخوَيلد بن واثلة الهذلى — وهو يومئذ سيد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك ، أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له .

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز [1] فى شعَف الجبال [2] والشِّعاب [3]

---

(١) التحرز : التمنع .

(٢) شعف الجبال : رءوسها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

تخوفا عليهم من مَعَرَّة(١) الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمّ إن العبد يمـ ـنع رحله فامنع حِلالك (٢)
لا يغلبن صليبهم ومِحالهم غدواً مِحالك (٣)
إن كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فأمر ما بدا لك (٤)

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى :

لاهُمَّ أخز الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليدْ (٥)

---

(١) معرة الجيش : شدته .

(٢) لاهم : أصلها : اللهم . والعرب تحذف منها الألف واللام . وكذلك تقول فى : والله إنك : « لاهنك » ، وذلك لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة . بل قد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال : « إجنك » أى « من أجل أنك » . والحلال فى هذا البيت : الحلول فى المكان والحلال مركب من مراكب النساء . والحلال أيضا : متاع البيت وجائز أن يستعيره هنا .

(٣) غدوا : غدا ، والمحال : القوة والشدة .

(٤) روى السهيلى بعد هذا البيت بيتا آخر هو :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

(٥) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل . والمائة منها : هنيدة ، والمائتان : هند . قال بعضهم : والثلاثمائة أمامة . وأنشدوا :

تبين رويدا ما أمامة من هند

وكأن اشتقاق الهجمة من الهجيمة ، وهو : الثخين من اللبن ، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صرفا ثخينا ، ويقال للقدح الذى يحلب فيه إذا كان كبيرا : مَهجَم . والتقليد : أى أن القلائد فى أعناقها .

بين حِراء وثبير فالبِيد يحبسها وهي أولات التطريد*[1]
فَضَمّنها إلى طماطم سود أخفره يارب وأنت محمود*[2]

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها ، والطماطم : الأعلاج [3].

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها .

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبى[4] جيشه — وكان اسم الفيل محمودا — وأبرهة مجمع لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب [5] حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك[6] محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا فى رأسه بالطبرزين[7] ؛

---

(١) حراء وثبير : جبلان بالحجاز .

(٢) أخفره : أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه .

(٣) الأعلاج : جمع علج — الرجل من كفار العجم .

(٤) يقال : عبى الجيش بغير همزة وعبأ المتاع بالهمز ، وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليل .

(٥) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل ، وهو : خثعم ، كذلك نسبه البرقى . ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض .

(٦) الفيل لا يبرك ، ويحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر الله . أو يكون فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح . ويقول السهيلى فى الروض الأنف : أنه سمع من يقول : إن فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل .

(٧) الطبرزين : آلة من الحديد .

ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن [1] لهم فى مَرَاقّه [2] فبزغوه [3] بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان [4] ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعدس [5] ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، — وليس كلهم أصابت — وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضا :

ألا حُييت عنا يا رُدَيْنا نعمنا كم مع الإصباح عينا [6]
ردينة لو رأيت — ولا تَرَيْه لدى جنب المحصب ما رأينا
إذاً لعذرتنى وحمدت أمرى ولم تأسَىْ على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علىّ للحبشان دينا

(١) المحاجن : جمع محجن — عصا معوجة .

(٢) المراق : أسفل البطن .

(٣) بزغوه : أدموه .

(٤) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور .

(٥) فى الشكل فقط وليس فى المقدار إذ ذكر البرقى أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل . وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين .

(٦) ردينا : اسم امرأة ، كأنها سميت بتصغير ردنة وهى القطعة من الردن (الحرير) . ونعمنا كم : أى : نعمنا بكم .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة [1] : كلما سقطت أنملة ، أتبعتها منه مدة تَمُثُّ [2] قيحاً ودما، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر : الحرمل والحنظل والعُشَر ذلك العام .

الله – جل جلاله – يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش . قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول» . وقال : « لإيلاف قريش إيلافهم . رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

تفسير مفردات سورتى الفيل وقريش : قال ابن هشام : الابابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه [3] ، وأما السجيل، فأخبرنى يونس النحوى وأبو عُبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب ، قال رؤبة بن العجاج :

ومسَّهم ما مس أصحاب الفيلْ ترميهم حجارة من سجيلْ
ولعبت طيربهم أبابيل

---

(١) الأنملة : طرف الأصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع ، أى : ينتثر جسمه قطعة قطعة .

(٢) تمث : ترشح .

(٣) ذكر ابن هشام أنها لا واحد لها من لفظها : وقال غيره : واحدها : إبَّاله ، وإبول : وزاد ابن عزيز : وإبّيل .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له .

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سَنْج وجِلّ يعنى بالسنج : الحجر ، وبالجل : الطين ، يعنى الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . والعصف : ورق الزرع الذى لم يُقصّب، وواحدته عصفة . قال : وأخبرنى أبو عبيدة النحوى أنه يقال له : العُصافة والعَصيفة . وأنشدنى لعلقمة بن عَبَدة أحد بنى ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقى مَذانب قد مالت عصيفتها حَدُورُها من أتِىّ الماء مطموم(١)

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيِّروا مثلَ كعصف مأكول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو (٢) .

وإيلاف قريش : إلفهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خرْجتان : خرجة فى الشتاء ، وخرجة فى الصيف . أخبرنى أبو زيد الأنصارى : أن العرب تقول : ألِفت الشىء إلفا ، وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد . وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

من المؤْلفات الرمل أدماء حُرة شعاع الضحى فى لونها يتوضح

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال مطرود بن كعب الخزاعى :

المنعمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت فى أبيات له، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى . والإيلاف أيضاً : أن يكون للإنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُميت بن زيد ، أحد بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد :

---

(١) مذانب : مسايل . حدورها : ما انحدر منها ويروى جدورها : أى الحواجز التى تحبس الماء . والأتى : الماء يأتى من بعيد . والمطموم : الماء المرتفع .

(٢) تفسيره : أن الكاف تكون حرف جر ، وتكون اسما بمعنى مثل وهى هنا حرف . انظر ذلك مفصلا فى الروض الأنف للسهيلى بتحقيقنا جـ ١ ص ٧٥ .

بعام يقول له المؤلفو ن هذا المُعيم لنا المُرْجِلُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن يصير القوم ألفا ، يقال آلف القوم إيلافا . قال الكميت بن زيد :

وآل مُزَيقياء غداة لاقَوْا بنى سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ، يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصير مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس » .

ما قيل فى قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العربُ قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم ، فقالوا فى ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

شعر عبد الله بن الزبعرى : فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عدى بن قيس بن عدى بن سُعيد (٢) بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر :

تَنَكَّلوا عن بطن مكة ، إنها كانت قديما لا يُرام حريمها

لم تخلق الشِّعرى ليالى حُرِّمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها

---

(١) المؤلفون : جمع مؤلف . والمؤلف صاحب الألف من الإبل . والمعيم : من العيمة أى تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام (يشتاق) إلى اللبن . وترجله : فيمشى راجلا ، لعجف الدواب وهزالها .

(٢) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزبعرى إلى عدى بن سُعيد بن سهم . والصواب : سعد بن سهم ، وإنما سُعيد : أخو سعد .

سائل أمير الجيش عنها ما رأى   ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم   ولم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم   والله من فوق العباد يقيمها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبعرى بقوله :

. . . بعد الإياب سقيمها

أبرهة ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأسلت: وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخَطْمِى ، واسمه : صيفى. قال ابن هشام : أبو قيس : صيفى بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة ابن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعه يوم فيل الحبو   ش إذ كلما بعثوه رَزَم[1]
محاجنهم تحت أقرابه   وقد شرّموا أنفه فانخرم[2]
وقد جعلوا سوطه مِغْوَلاً   إذا يمموه قفا كُلِم[3]
فولى وأدبر أدراجه   وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا   فلفهم مثل لف القُزُم[4]
تحض على الصبر أحبارهم   وقد ثأجوا كثؤاج الغنم[5]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت .
قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

---

(١) رزم : ثبت فى مكانه ولزمه لا يبرحه .

(٢) المحاجن : جمع محجن . عصا معوجة . والأقراب : جمع قرب . الخصر . شرموا أنفه : شقوه .

(٣) المغول : سكين كبير . وكلم : جرح .

(٤) القزم : صغار الغنم ، ويقال : رذال المال .

(٥) ثأج : صاح .

فقوموا فصلوا ربكم ، وتمسَّحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب[١]
فعندكم منه بلاء مُصَدَّق ... غداة أبي يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تُمسى ورَجْلُهُ ... على القاذفات فى رءوس المناقب[٢]
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم ... جنود المليك بين ساف وحاصب[٣]
فولَّوا سراعا هاربين ولم يؤب ... إلى أهله مِلْحِبْشِ غير عصائب[٤]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . وقوله : « غداة أبى يكسوم » : يعنى : أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

شعر طالب بن أبى طالب : قال ابن إسحاق : وقال طالب[٥] بن أبى طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس ... وجيش أبى يكسوم إذ ملئوا الشِّعْبا[٦]
فلولا دفاع الله لا شىء غيره ... لأصبحتم لا تمنعون لكم سَربا[٧]

قال ابن هشام . وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

---

(١) صلوا : ادعو . والأخاشب : جبال مكة .
(٢) القاذفات : أعالى الجبال . والمناقب : الطرق فى رءوس الجبال .
(٣) الساف : الذى غطاه التراب . والحاصب : الذى أصيب بالحجارة .
(٤) ملحبش : أى من الحبش . والعصائب : الجماعات .
(٥) أكبر أولاد أبى طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على — رضى الله عنه — بعشرة أعوام . ولم يذكر أنه أسلم .
(٦) داحس : الفرس الشهيرة التى كانت حرب داحس والغبراء بسببها . والشعب : الطريق فى الجبل .
(٧) السرب بفتح السين المال الراعى ، وبالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضا .

شعر أبى الصلت الثقفى . قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت[1] بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبى الصلت ابن أبى ربيعة الثقفى :

إن آيات ربنا ثاقبات لا يُمارى فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم بمهاة شعاعها منشور[2]
حُبس الفيل بالمغمس ، حتى ظل يحبو كأنه معقور
لازما حلقة الجران كما قُطِّر من صخر كبكب محدور[3]
حوله من ملوك كندة أبطا ل ملاويث فى الحروب صقور
خلّفوه ثم ابذعروا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بور[4]

شعر الفرزدق : قال ابن هشام : وقال الفرزدق ـ واسمه همام بن غالب أحد بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم — يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو الحجاج بن يوسف ، ويذكر الفيل وجيشه :

---

(١) واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج .

(٢) المهاة : اسم من أسماء الشمس ؛ سميت بذلك لصفائها . والمها من الأجسام : الصافى الذى يرى باطنه من ظاهره . والمهاة : البلورة . والمهاة : الظبية .

(٣) الجران : العنق . وقطّر : رمى على قطره وهو الجانب . وكبكب : اسم جبل . والمحدور : الذى حدر من جبل أى وقع .

(٤) الحنيفة : يريد الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف — صلى الله عليه وسلم — وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية ، أى : عدل عنهما . فسمى حنيفاً . أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه .

فلما طغى الحجاج حين طغى به ... غِنىً قال : إنى مُرتقٍ فى السلالم[1]
فكان كما قال ابن نوح : سأرتقى ... إلى جبل من خشية الماء عاصم[2]
رمى الله فى جثمانه مثل ما رمى ... عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم ... هباء، وكانوا مُطْرِخمِّى الطراخم[3]
نُصرتَ كنصر البيت إذ ساق فيله ... إليه عظيم المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

شعر ابن قيس الرقيات : قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرقيات . أحد بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة — وهو الأشرم — والفيل :

كاده الأشرم الذى جاء بالفيـ ... ـل فولى وجيشُه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنـ ... ـدل حتى كأنه مرجوم[4]
ذاك من يغزه من الناس يرجع ... وهو فل من الجيوش ذميم[5]

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

---

(١) غنى : أى استغناء .

(٢) ابن نوح : واسمه : يام . وقيل : كنعان .

(٣) المطرخم : الممتلىء كبرا . والطراخم : جمع المطرخم .

(٤) قوله : « حتى كأنه مرجوم » وهو قد رجم ، فكيف شبهه بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة، وهل يجوز أن يقال فى مقتول : كأنه مقتول ؟ فنقول : لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر ، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها ، شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون ، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه ، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك ، وإنما أمطروا حجارة فمن ثم قال : كأنه مرجوم . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٨١ .

(٥) الفل : المنهزم .

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر : فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذى يزن الحميرى(١) وكان يكنى بأبى مرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه .

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر (٢) ـ وهو عامل كسرى (٣) على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وفادة فى كل عام ، فأقم حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم (٤)

---

(١) وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو : حمير بن سبأ .

(٢) النعمان : اسم منقول من النعمان الذى هو الدم .

(٣) وكسرى هذا هو : أنو شروان بن قُبَاذ ، ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات

(٤) القَنْقَل الذى شبه به التاج هو مكيال عظيم . قال الراجز يصف الكمأة :

مالك لا تجرفها بالقنقل   لا خير فى الكمأة إن لم تفعل

وفى الغريبين للهروى: القنقل: مكيال يسع ثلاثة وثلاثين مناً ، والمنوزن رطلين ، وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين اسْتُلب من يزدجرد بن شهريار، تصيَّر إليه من قِبل جده أنو شروان المذكور ، فلما أُتى به عمر رضى الله عنه ، دعا سراقة بن مالك المُدْلِجى ، فحلاه بأسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : « قل : الحمد لله الذى نزع تاج كسرى ، ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوّتنا » وإنما خص عمر سراقة بهذا ؛ لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قال له : « يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وإسواره فى يديك » أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم .

ـ فيا يزعمون ـ يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ، فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك .

معاونة كسرى لسيف : قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطىء رأسه ؟ ! فقيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لهمى، لأنه يضيق عنه كل شىء .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغربة، فقال له كسرى : أى الأغربة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى ، ويكون ملك بلادى لك ، قال : بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأورّط جيشا من فارس بأرض العرب، لاحاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك منه سيف خرج ، فجعل ينثر ذلك الورق للناس ، فبلَّغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة ـ يرغبه فيها ـ فجمع كسرى مرازبته (١) ، فقال لهم : ماذا ترون فى أمر هذا الرجل، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قدحبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته ، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل .

انتصار سيف : واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا فى ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن (٢)، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له : رجلى مع رجلك حتى نموت جميعاً ، أو نظفر جميعاً . قال له وهرز : أنصفت . وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وهرز ابنا له ، ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم ، فقُتل ابن وهرز ، فزاده ذلك

---

(١) مرازبته : وزراؤه .

(٢) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب .

حنقا عليهم . فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم ، قال وهرز : أرونى ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بنت الحمار؟! ذلّ وذل ملكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا ، فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإنى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وتَّرَ قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه ، فعُصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النُّشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس ، وانهزموا ، فقتلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل وهرز ، ليدخل صنعاء [1] ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايتى منكسة أبدا ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصبا رايته .

شعر سيف بن ذى يزن فى هذه القصة : فقال سيف بن ذى يزن الحميرى :

يظن الناس بالملكيـ ـن أنهما قد التأما [2]

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها .

قال ابن الكلبى : وسميت : صنعاء لقول وهرز حين دخلها . صَنْعَة صنعة ، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها ، قال ابن مقبل يذكر أوال :

عمد الحُداة بها لعارض قرية وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ سفين الهند رَوَّح من أوالا

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلق بقنا ردينة ، أو جذوع أوال

وقد قيل إن صنعاء اسم الذى بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

(٢) التأما : اصطلحا .

ومن يسمع بلأمهما ... فإن الخطب قد فَقُما(١)
قتلنا القيل مسروقا ... وروَّينا الكثيب دما(٢)
وإن القَيْلَ قيل النا ... س وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعاً حتى ... يفيء السبي وَالنَّعما(٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له . وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له .

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق . وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصلت .

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن ... ريَّم فى البحر للأعداء أحوالا(٤)
يمم قيصر لما حان رحلته ... فلم يجد عنده بعض الذى سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الأحرار يحملهم ... إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا(٥)
لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن أرى لهمُ فى الناس أمثالا

---

(١) فقم : ازداد واشتد (٢) القيل : الملك (٣) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء .

(٤) ريَّم فى البحر . أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافى ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت ، وريَّم ليس من رأم ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرج ، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا ، ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان من الرَّيم الذى هو الدرج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب : خيَّم مكان ريم ، فهذا معناه : أقام . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٨٤

(٥) عمرى . أراد : لعمرى وقد قال الطائى :

عمرى لقد نصح الزمانُ ، وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

وأسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر : «وقلقل يبغى العز كل مقلقل» وهى شدة الحركة .

بيضاً مرازبة ، غُلْبا أساورة　　　أسْداً تُرَبِّب فى الغيضات أشبالا(١)

يرمون عن شُدُف كأنها غُبُط　　　بزمخر يُعجل المرىَّ إعجالا(٢)

أرسلت أُسداً على سود الكلاب فقد　　　أضحى شريدهم فى الأرض فُلّالا

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقاً　　　فى رأس غُمدان داراً منك محلالا(٣)

واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم　　　وأسبل اليوم فى برديك إسبالا(٤)

تلك المكارم لاقعبان من لبن　　　شِيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا

قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتا قوله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدى . واسمه : حِبَّان بن عبد الله بن قيس(٥) ، أحد بنى جعدة بن كعب

---

(١) غلبا : شدادا. والأساورة : الرماة. والغيضات:جمع غيضة الشجر الكثير الملتف .

(٢) « يرمون عن شُدُف كأنها غبط» الشدَف : الشخص ، ويجمع على شُدُف، ولم يرد هنا إلاالقسى ، وليس شدُف جمعا لشدَف، وإنما هو جمع شدوف، وهو النشيط المرح يقال : شدف ، فهو شدف ، ثم تقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها ، فيرمون عن شدف أى : يدفعون عنها بالرمى ، ويكون الزمخر : القسى ، أو النبل . والغبط : الهوادج ، والزمخر : القصب الفارسى .

(٣) غمدان أسسه : يعرب بن قحطان،وأكمله بعده ، واحتله : واثل بن حمير بن سبأ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده .

(٤) شالت نعامتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة .قدمه تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافياً ، قال الشاعر :

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم　　　ألا إنما البأساء للمتنعم

(٥) ويروى أن اسمه : قيس بن عبد الله ، وقيل إن اسمه : حبان بن قيس بن عبد الله ابن وحْوَح، والوحوح فى اللغة : وسط الوادى ، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة ، وهو أحد النوابغ ، وهم ثمانية ذكرهم البكرى . والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها فى الجاهلية ، وقدومه على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنشاده إياه ، ودعاء النبى — صلى الله عليه وسلم — ألا يَفْضُضّ الله فاه مشهور .

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فى قصيدة له .

شعر عدى بن زيد : قال ابن إسحاق : وقال عدىّ بن زيد الحِيرىّ ، وكان أحد بنى تميم . قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى من العباد من أهل الحيرة (١) :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ولاة مُلك جزل مواهبها
رفعها من بنى لدى قزع الـمزن وتندى مسكا محاربها (٢)
محفوفة بالجبال دون عرى الـكائد ما تُرتقى غواربها (٣)
يأنس فيها صوت النُّهام إذا جاوبها بالعشى قاصبها (٤)
ساقت إليه الأسباب جند بنى الـ أحرار فرسانها مواكبها

---

(١) العِباد ، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كُلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له ، فقال : أنتم العِباد فسموا بذلك ، وقد قيل غير هذا . وفى الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ؛ لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبدالقيس ، والله أعلم . والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر ابن عُصَيّة بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . وقد دخل بنو امرىء القيس بن زيد مناة فى العِباد . فلذلك ينسب عدى إليهم .

(٢) قزع المزن : السحاب المتفرق .

(٣) دون عُرى الكائد ، يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع فى نسخة أخرى : عَرى بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى — سبحانه وتعالى — كيده متين .

(٤) صوت النهام ، يريد ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر فى القصب .

وفَوَّزت بالبغال توسق بالـحتف وتسعى بها توالبها[١]
حتى رآها الأقوال من طرف الـمَنْقَل مخضرة كتائبها[٢]
يوم ينادون آل بربر والـيكسوم لا يفلحن هاربها[٣]
وكان يوم باقى الحديث وزا لت إمة ثابت مراتبها[٤]
وبُدل الفيْج بالزرافة والأيا م جون جمٌ عجائبها[٥]
بعد بنى تبع نخاوِرَة قد اطمأنت بها مرازبها[٦]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ،وأنشدنى أبو زيد الأنصارى ، ورواه لى عن المفضل الضبى . قوله :

يوم ينادون آل بربر واليكسوم

---

(١) فَوَّزَت بالبغال أى : ركبت المفاوز. تُوسق بالحتف ، أى : أوسق البغال الحتوف ، وتوالبها : جمع تولب، وهو ولد الحمار، والتاء فى تولب بدل من واو ، كما هى فى توءم وتولج وفى توراة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التولب من الوالبة ، وهى ما يولده الزرع ، وجمعها : أوالب .

(٢) من طرف الـمَنْقَل أى : من أعالى حصونها، والمنقال : الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلىقرية ، فكأن المنقل من هذا ، والله أعلم . مخضرة كتائبها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء .

(٣) ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والحبشة من ولد حام . وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق .

وقد قيل فى جالوت إنهمن الخزر، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمعلهم بربرة ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال . ما أكثر بربرتهم ! فسموا بذلك ، وقيل غير هذا .

(٤) الإمة : النعمة .

(٥) الفيج : المنفرد فى مشيته ، والزرافة الجماعة من الناس .

(٦) النخاورة : الكرام . والمرازبة : الوزراء .

وهذا الذى عنى سطيح بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » ، والذى عنى شق بقوله : « غلام ليس بدنى ولا مُدَن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن » .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة مكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

أمراء الفرس باليمن : قال ابن هشام : ثم مات وهرز ، فأمَّر كسرى[1] ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المَرْزُبان ، فأمَّر كسرى ابنه التَيْنُجان بن المرزبان على اليمن ، ثم مات التينجان ، فأمَّر كسرى ابن التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبي — صلى الله عليه وسلم .

محمد (صلى الله عليه وسلم) يتنبأ بموت كسرى : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبي . فسِر

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر ، وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله : « ألم . غُلبت الروم فى أدنى الأرض » ، وهو الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سلم ما فى يديك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور — النبى صلى الله عليه وسلم — بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذي كتب إليه النبي — صلى الله عليه وسلم — وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز ، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سَلَب ملكه ، وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ، وجد مستخفياً فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى ، وذلك بمرو من أرض فارس .

إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلىّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا، »(١) فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر ، وقال : إن كان نبياً ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال ابن هشام : قتل على يدى ابنه شيرويه، وقال خالد بن حِق الشيبانى :

وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم أنًى ، ولكل حاملة تِمام(٢)

إسلام باذان : قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت الرسل من الفرس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى من نحن يارسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : فمن ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم: « سلمان منا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فهو الذى عنى سطيح بقوله : « نبى زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى » . والذى عنى شق بقوله : «بل ينقطع برسول مُرسل، يأتى بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل »

---

(١) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء عشر من جمادى الأول سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ؛ وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن مُنَبِّه بن سَيْج ابن ذُكبار ، وطاووس وذادَوَيْه وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسى الكذاب ، وقد قيل فى طاووس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان، وهو مولى بحير بن ريسان ؛ وقد قيل : مولى الجعْد ، وكان يقال له : طاووس القراء لجماله .

(٢) تمخضت : حملت، والمنون : المنية ، وهو أيضاً من أسماء الدهر ، وهو من منلت الحبل إذا قطعته ، وأنى : أى حان .

كتاب الحجر الذي في اليمن : قال ابن إسحاق : وكان في حَجَر باليمن – فيما يزعمون – كتاب بالزبور كتب في الزمان الأول : «لمن مُلك ذِمار(١) ؟ لحمير الأخيار(٢) ، لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار(٣)، لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار(٤)، لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار » .

وذمار : اليمن أو صنعاء ، قال ابن هشام : ذمار : بالفتح ، فيما أخبرني يونس .

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى — أعشى بني قيس ابن ثعلبة في وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذات أشفار(٥) كنظرتها حقا كما صدق الذئبيُّ إذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ، قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له .

---

(١) حكى ابن هشام عن يونس ذمار بفتح الذال، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضا ؛ لأنه اسم بلد ، وإذا افتحت الذال ، فهو مبني مثل : رقاش وحذام .

(٢) وقوله : لحمير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدم في حديث فيميون وابن الثامر .

(٣) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد وإخراب البلاد، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن ؛ وذهب من الصدور الإيمان.يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة» . وقد رواه ابو داود بسند ضعيف .

(٤) وقوله : لفارس الأحرار؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدوا الإتاوة لذي سلطان من سواهم فكانوا أحراراً لذلك .

(٥) يريد : زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقبل البيت :

قالت : أرى رجلا في كفه كتِف أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

فكذبوها بما قالت ، فصبَّحهم ذو آل حسان يزجي الموتَ والسَّلعا

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثني خَلاَّد بن قُرَّة بن خالد السدوسي عن جَنَّاد ، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد ساطِرون[1] ملك الحضر . والحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطىء الفرات، وهو الذي ذكر عدي بن زيد في قوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة يُجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور

لم يَهَبْه ريب المنون فبان المـ ـلك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

والذي ذكره أبو دُواد الإيادي[2] في قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ ـر على رب أهله السَّاطِرون[3]

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنها لخلف الأحمر ، ويقال : لحماد الراوية .

سابور يستولي على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر، فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطرون[4] يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدست إليه : أتتزوجني

---

(١) الساطرون بالسريانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضَّيْزَن بن معاوية . قال الطبري : هو جُرْمُقاني ، وقال ابن الكلبي : هو قضاعي من العرب الذين تنخوا بالسواد ، فسموا : تنوخ ، أي : أقاموا بها ، وهم قبائل شتى . ونسبه ابن الكلبي ، فقال : هو ابن معاوية ابن عبيد، ووجدته بخط أبي بحر : عُبيد بضم العين بن أجرَم من بني سَليح بن حلوان ابن الحاف بن قضاعة ، وأمه : جَيْهَلَة ، وبها كان يعرف ، وهي أيضا قضاعية من بني تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية .

(٢) واسم أبي داود : جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شَرْقيّ .

(٣) وبعد هذا البيت :

صرعته الأيام من بعد مُلك ونعيم وجوهر مكنون

(٤) وتسمى النضيرة

إن فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لايبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب، فدخل سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه [١] ، وسار بها معه فتزوجها ، فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ؛ فقال لها سابور : أهذا الذى أسْهَرَكِ ؟! قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟! أنت إلىّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فرُبطت قرون رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس ، حتى قتلها [٢] ، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قول أعشى قيس فى قصة الحضر :

ألم تر للحضر إذ أهله	بنُعْمَى ، وهل خالد مَن نَعِم
أقام به شاهبور الجنو	د حولين تضرب فيه القُدُم [٣]

(١) وقال المسعودى: دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه .

وقال الطبرى : دلته على طلسم كان فى الحضر ، وكان فى علمهم أنه لايفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زُرقاء ، ثم ترسل الحمامة ، فتنزل على سوُر الحضر ، فيقع الطلسم ، فيفتح الحضر .

(٢) قال ابن إسحاق المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف ، وجعله غير سابور بن أزدشير ابن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس، وأذل ملوك الطوائف ،حتى دان الملك له ، والضيزن : كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، وهو ذو الأكتاف ؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمَّون فى كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

(٣) شاهبور : معناه ابن الملك .

فلما دعا ربه دعوة أناب إليه فلم ينتقم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قول عدي بن زيد : وقال عدى بن زيد فى ذلك :

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيِّدٌ مناكبها(١)

ربيّة لم تُوَق والدها لِحَيْنها إذ أضاع راقبها(٢)

إذ غبقته صهباء صافية والخمر وهّل يهيم شاربها(٣)

فأسلمت أهلها بليلتها تظن أن الرئيس خاطبها

فكان حظ العروس إذ جشر الصـــبح دماء تجرى سبائبها(٤)

---

(١) أيد : شديدة .

(٢) رَبِيَّة لم تُوقّ والدها . يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت ، إلا أن القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها ربت فى نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمز ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ؛ لأنها كانت طليعة حيث اطلعت، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيئة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

ربا شماء لا يأوى لقلتها — البيت

وقوله أضاع راقبها، أى أضاع المربأة الذى يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظُها .

(٣) والخمر وَهّل . يقال : وهِل الرجل وهلا ووَهَلا إذا أراد شيئاً، فذهب وهمه إلى غيره . ويقال فيه : وهم أيضا بفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه : غلط ، وأوهم بالألف معناه : أسقط .

(٤) جشر : ظهر ووضح . سبائبها : السبائب جمع : سبيبة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السّب وهو : الخمار .

وخُـرب الحضر ، واستُبيح ، وقد   أحرق فى خدرها مشاجبها[1]

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفرار : مضر[2] بن نزار ، وربيعة بن نزار ، وأنمار بن نزار .

قال ابن هشام : وإياد بن نزار . قال الحارث بن دوس الإيادى ، ويروى لأبى دُوَاد الإيادى ، واسمه : جارية بن الحجاج :

وفُتُوٌّ حسن أوجُهُهم   من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت فى أبيات له .

فأم مضر وإياد : سَوْدَة بنت عك بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار : شُقَيقة بنت عك ابن عدنان ، ويقال : جُمْعة بنت عك بن عدنان .

أولاد أنمار : قال ابن إسحاق : فأنمار[3] : أبو خثعم وبجيلة . قال جرير بن عبدالله البجلى

---

(١) مشاجبها . المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تعلق منه الثياب .

(٢) فأما مضر فقد تقدم ذكره فى عمود نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرنا أنه أول من سن حُداء الإبل ، وسببه ـ فيما ذكروا ـ أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان أحسن الناس صوتاً ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنقت الإبل ، وذهب كَلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب ، وذلك أنها تُنشّط بحدائها الإبل ، فتسرع .

(٣) وأما أنمار فسمى : بالأنمار جمع نَمِر ، كما سموا بسباع وكلاب ، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل وهو : خثعم ، وولدت له عبقر فى خمسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهْم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار . ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم ، فلم يُنْسب إليها .

وكان سيد بجيلة ، وهو الذى يقول له القائل :

لولا جرير هلكت بجيله نعم الفتى ، وبئست القبيلة !! (١)

وهو ينافر(٢) الفُرافِصة(٣) الكلبى إلى الأقرع بن حابس التميمى :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إنك إن تَصْرع أخاك تُصرعُ(٤)

قال :

ابنَىْ نزار انصرا أخاكما إن أبى وجدته أباكما

لن يُغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت ، فلحقت باليمن .

قال ابن هشام: قالت اليمن : وبجيلة : أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم : يمانية .

---

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجى قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر ، وهو ، الشُّلَيْل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة .

(٢) ينافر : أى يحاكم . قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر ، وكانوا إذا تنازع الرجلان ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلاّمة، فمن فضَّل منهما قيل : نفره عليه أى : فضَّل نفره على نفر الآخر : فمن هذا أخذت المنافرة . وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نِفار أو جَلاء

(٣) الفرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل فُرافصة فى العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

(٤) الأشهر فى الرواية : إن يُصرع أخوك ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ، لأنه فى نية التقديم عند سيبويه . وهو على إضمار الفاء عند المبرد .

ولد مضر : قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس بن مضر ، وعيلان (١) ابن مضر . قال ابن هشام : وأمهما : جرهمية (٢) .

أولاد الياس : قال ابن إسحاق : فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقمعة بن الياس ، وأمهم : خندف (٣) ، امرأة من اليمن .

قال ابن هشام : خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعَدَت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة (٤) .

---

(١) وأما عَيْلان أخو الياس، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه ، فَرُق بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له .

(٢) وذكر ابن إسحاق أم الياس ، وقال فيها : امرأة من جُرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هى الرَّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى ، وقد قدمنا ذلك فى نسب النبى — صلى الله عليه وسلم .

(٣) وخندف التى عُرف بها بنو الياس . وهى التى ضربت الأمثال بحزنها على الياس ، وذلك أنها تركت بنيها ، وساحت فى الأرض تبكيه : حتى ماتت كمداً ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره

قال الزبير : وإنما نسب بنو الياس لأمهم ؛ لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا: هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببنى خندف .

(٤) وفى الخبر زيادة ، وهو أن الياس قال لأمهم — واسمها ليلى ، وأمها : ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها : حِمَى ضرية، وقد أقبلت تُخَنْدف فى مشيتها: — مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندفة : سرعة فى مشى ، وقال لمدركة :

وأما قَمَعة فيزعم نساب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قمعة بن الياس .

حديث عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحي يجر قصبه في النار : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

حُدثت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « رأيت عمرو بن لُحَىّ يجر قُصْبَه (١) فى النار فسألته عمن بينى وبينه من الناس ، فقال : هلكوا » .

قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة . قال ابن هشام : واسم أبى هريرة . عبدالله بن عامر ، ويقال اسمه : عبدالرحمن ابن صخر — يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعى : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى بن قَمَعَة بن خِندف يجر قصبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا بك منه . فقال أكثم : عسى أن يضرنى شَبَهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبحر البَحيرة (٢) وسيَّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحَمَى الحامى » .

= وأنت قد أدركتَ ماطلبتا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ماطبختا

وقال لقَمَعة وهو عُمير :

وأنت قد قعدت فانقمعتا

(١) قصبه : أمعاؤه .

(٢) وقد روى أيضاً أن أول من بحر البحيرة : رجل من بنى مُدلج كانت له ناقتان ، فجدع آذانهما ، وحرم ألبانهما . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « فرأيته فى النار يخبطانه =

أصل عبادة الأصنام فى أرض العرب : قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو ابن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق — وهم ولد عملاق . ويقال : عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح — رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ماهذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَل ، فقدم به مكة ، فنصبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه(١).

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَح فى البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلف الخُلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على

= بأخفافهما ، ويَعَضّانه بأفواههما . وقال عليه السلام : «قد عرفت أول من سيَّب السائبة ، ونصب النَّصب : عمرو بن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قُصْبه» ، رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا .

(١) وكان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ؛ لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : إنه اللاتّ الذى : يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى : صخرة اللات ، ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يمت ، ولكن دخل فى الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى : اللات ، ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ؛ فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتُّخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها .

ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدْى البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » . فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى (١) .

أصنام قوم نوح • وقد كانت لقوم نوح أصنام قدعكفوا عليها ، قص الله ـــ تبارك وتعالى ـــ خبرها على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقال : « وقالوا : لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولاتذرن وَدًّا ولا سُوَاعا ، ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ، وقد أضلوا كثيراً (٢) » .

---

(١) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لاشريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحى ، فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما مَلَك ، فإنه لابأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

(٢) وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : « ولاتَبَرَّجْنَ تبرج الجاهلية الأولى » وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا . وقدذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعدُ ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتُنُوسِخ العلم عُبِدت » . وذكر الطبرىهذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع ، وكذلك يعوق ونَسْر ، كلما هلك الأول صورت صورته ، وعُظِّمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة . وهذه أسماء سريانية=

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، اتخذوا سواعا، فكان لهم برهاط [١] . وكلب بن وبرة من قضاعة ، اتخذوا وَدًّا بدُومَة الجندل [٢] .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصارى :

ونَنسى اللات والعُزى ووَدًّا ونسلُبها القلائد والشُّنُوفا [٣]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

قال ابن هشام : وكلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

عباد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنْعم من طيء ، وأهل جُرَش من مَذحج اتخذوا يغوث بجرش .

قال ابن هشام . ويقال : أنعَم . وطيء بن أدد بن مالك ، ومالك : مذحج بن أُدَد ، ويقال ؛ طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن .

= وقعت إلى الهند ، فسمَّوا بها أصنامهم التى زعموا أنها صور الدرارى السبعة ، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ؛ وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا فى عهد نوح .

(١) رهاط : من أرض ينبع .

(٢) ودومة هذه — بضم الدال — ذكروا أنها سميت بدُومى بن إسماعيل كان نزلها ، ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ، ودَوْمة — بفتح الدال — أخرى مذكورة فى أخبار الردة، كذا وجدته للبكرى مقيدا فى أسماء هذه المواضع . راجع الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١٠٣

(٣) الشنوفا : مفرده شنف ــ القرط .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نمط الهمدانى (١) :

يريش الله فى الدنيا ويَبرى ولا يبرى يعوقُ ولا يريش (٢)

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : اسم همدان : أوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار . ويقال : همدان ابن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عباد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكُلاع من حمير ، اتخذوا نسراً بأرض حمير .

عباد عميانس : وكان لخولان صنم يقال له : عُميانِس بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عميانس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه . وهم بطن من خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله — تبارك وتعالى — فيما يذكرون : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون » .

قال ابن هشام : خوْلان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ويقال : خولان بن عمرو ابن مُرة بن أدد بن زيد بن مِهسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مَذحِج .

---

(١) وهو : أبو ثور ، يلقب : ذا المشْعَار ، وهو من بنى خارف ، وقد قيل : إنه من يام بن أصى ، وكلاهما من همدان .

(٢) هو من رِشتُ السهم وبريته ، استعير فى النفع والضر . قال سويد :

فَرِشْنى بخير طالما قد بَرَيْتَنى وخير الموالى من يريش ولا يبرى

عباد سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبنى مِلْـكان(١) — بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر — صنم ، يقال له : سعد : صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى ملكان بإبل له مُؤَبَّلة ؛ ليقفها عليه، التماس بركته — فيما يزعم — فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تُركَب ، وكان يُهراق عليه الدماء نفرت منه ، فذهبت فى كل وجه ،وغضب ربها الملكانى ، فأخذ حجراً فرماه به ، ثم قال . لا بارك الله فيك ، نفّرت علىّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ، ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد ، فلا نحن من سعد (٢)

وهل سعد إلا صخرة بتَنُوفَة ... من الأرض لاتدعو لغى ولارشد(٣)

دوس وصنمهم : وكان فى دوس صنم لعمرو بن حُمَمة الدوسى .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله .

ودوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : دوس بن عبدالله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

---

(١) مِلكان بن كنانة بكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شىء فى العرب فهو مِلكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلَكان فى قضاعة ، وملكان فى السَّكُون ، فإنهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة هو : ابن جَرْم بن زَبّان بن حُلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ، وملكان السّكون هو : ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السّكون ابن أشرس من كندة .

(٢) ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل : أن تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو ، وذكر سيبويه قولهم : لا نَوْلُك أن تفعل ، وقال : إنما جاز هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل . أى : لاينبغى لك أن تفعل ، وكذلك ينبغى أن يقال فى بيت الملكانى : أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التبرى منه ، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً ، ولا ندين به ، فهذا المعنى حسّن دخول لا على الابتداء .

(٣) بتنوفة : بأرض جرداء .

عباد هبل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له : هُبَل (١) .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه .

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندها ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهُم ـ هو : إساف بن بَغْشى ونائلة بنت ديك ـ فوقع إساف على نائلة فى الكعبة : فمسخهما الله حجرين (٢) .

حديث عائشة عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنها قالت : سمعت عائشة — رضى الله عنها — تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحدثا (٣) فى الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم   بمُفْضَى السيول من إساف ونائل (٤)

---

(١) وأما هُبَل فإن عمرو بن لحى جاء به من هيت ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة .

(٢) وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قَبَّلها ، فسخا حجرين ، فأُخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمر بن لحى نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عُبدا من دون الله .

(٣) أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال — عليه السلام — : « من أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله » وقال عمر — حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

(٤) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول مايبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — بالتوحيد ، قالت قريش : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشىء عُجاب » .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدَنَة وحجَّاب ، وتهدِى لها كما تهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

العزى وسدنتها وحجابها : فكانت لقريش وبنى كنانة : العزى بنخلة ، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم ، حلفاء بنى هاشم .

قال ابن هشام : حلفاء بنى أبى طالب خاصة ، وسُلَيْم : سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أُنكحتْ أسماء رأس بُقَيْرَة ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بنى غَنْم

رأى قدعا فى عينها إذ يسوقها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع فى القَسْم (١)

---

(١) والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر .

وقوله فى الغبغب : وهو المنحر ومراق الدم ، كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بئر بُغْبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء . قال الراجز :

بُغَيبغ قصيرة الرِّشاء

ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والقسم .

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هديا قسموه فى من حضرهم . والغبغب : المنحر ، ومُهراق الدماء .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبى خراش الهذلى واسمه : خويلد بن مرة فى أبيات له .

معنى السدنة : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج :

فلا ورب الآمنات القطَّن   يعمرن أمناً بالحرام الأمن

بمحبس الهدى وبيت المَسدن

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

اللات وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بنو معتِّب من ثقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

مناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد .

قال ابن هشام : وقال الكميت بن زيد أحد بنى أسد بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تُولِّى   مَناةَ ظهورها متحرفينا

وهذا البيت فى قصيدة له .

هدم مناة : قال ابن هشام : فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليها أبا سفيان ابن حرب فهدمها ، ويقال: على بن أبى طالب .

ذو الخلصة وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذو الخَلَصَة لدوس وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة . قال رجل من العرب :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا   مثلى وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العُداة زورا

قال : وكان أبوه قُتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدى، فبعث إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرير بن عبد الله البجلى ، فهدمه[1] .

فلس وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت فِلْس [2] لطيء ومن يليها بجبلى طيء ، يعنى سَلْمى وأجأ .

قال ابن هشام : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث إليها على بن أبى طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرَّسوب، وللآخر : المِخْذَم . فأتى بهما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوهبهما له ، فهما سيفا على رضى الله عنه .

رئام : قال ابن إسحاق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رئام .

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى .

رضاء وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت رضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول المستوغر [3] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام :

---

(١) وذلك قبل وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — بشهرين أو نحوهما ، قال جرير : بعثنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى مائة وخمسين راكباً من أحمس إلى ذى الخلصة ، فقلت : يارسول الله إنى لاأثبت على الخيل ، فدعا لى ، وقال : «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» .

(٢) هكذا وجدته مضبوطا فى القاموس . وضبطه ابن الكلبى بفتح فسكون ، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام . وتروى فى بعض المراجع : فلسا ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه، وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان فجر بسلمى بنت حام ، أو اتُّهم بذلك ، فصُلبا فى ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء حاضنة سلمى — فيما ذكر — وكانت السفير بينها وبين أجأ فصُلبت فى الجبل الثالث ، فسمى بها .

(٣) واسمه : كعب . قال ابن دريد : سمى مستوغراً بقوله :

ولقد شددت على رضاء شدة · فتركتها قفراً بقاع أشحما

قال ابن هشام: قوله:

فتركتها قفراً بقاع أسحما

عن رجل من بنى سعد.

عمر المستوغر: ويقال: إن المستوغر عمّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مضر كلها عمرا، وهو الذى يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها · وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدتها بعدها مئتان لى · وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقى إلا كما قد فاتنا · يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى (١).

ذو الكعبات وعباده: قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

= ينش الماء فى الربلات منه · نشيش الرضف فى اللبن الوغير

والوغير: فعيل من وَغرة الحر وهى شدته. وذكر القتبى أن المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل: ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك، فقال: ومن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ماهو إلا ابن ابنى، فقال: مارأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر.

(١) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة أو عُذْرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة. وزهير هذا من المعمرين، وهو الذى يقول:

أبُنى إن أهلك فإنى · قد بنيت لكم بنيّه

وتركتكم أولاد سادا · ت زنادهم وريه

من كل ما نال الفتى · قد نلته إلا التحيه

بين الخورنق والسدير وبارق　　　والبيت ذى الكعبات من سنداد[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلى . نهشل بن دارم بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم ، فى قصيدة له ، وأنشدنيه أبو مُحْرِز خَلَفٌ الأحمر :

أهل الخورنق والسدير وبارق　　　والبيت ذى الشرفات من سنداد

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها : قال ابن إسحاق: فأما البحيرة فهى : بنت السائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سُيبت فلم يُركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها ، ثم خلى سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فُعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة . والوصيلة : الشاة إذا أتأمت[2] عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء ، فيشتركوا فى أكله ، ذكورهم وإناثهم .

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .

---

(١) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنيانا عجميا لم تر العرب مثله، واسم الذى بناه له : سنمار ، وهو الذى رُدِّى من أعلاه ، حتى قالت العرب : جزانى جزاء سنمار، وذلك أنه لما تم الخورنق ، وعجب الناس من حسنه ، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت ، فقال له الملك : أ إنك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله ، وأمر به فطرح من أعلاه ، وكان بناه فى عشرين سنة .

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : « سه دلى » ، أى : له ثلاث شعب ، وقال البكرى : سمى السدير ؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه . فتسدر من علوه ، يقال : سدر بصره إذا تحير . والكعبات : المربعة ، وكل بناء مربع فهو كعبة .

(٢) أتأمت : جاءت باثنين فى بطن واحد .

قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمى ظهره فلم يركب ، ولم يجز وبره ، وخُلِّىَ فى إبله يَضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك .

ابن هشام يخالف ابن إسحاق : قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبحيرة عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، أو يتصدق به ، وتهمل لآلهتهم . والسائبة : التى ينذر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه . فإذا كان أساب ناقة من إبله ، أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرعت لا ينتفع بها . والوصيلة : التى تلد أمها اثنين فى كل بطن ، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها ، ولنفسه الذكور : فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ؛ فيسيب أخوها معها ، فلا ينتفع به .

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره . روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — أنزل عليه : « ما جعل الله من بَحِيرَة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون » .

وأنزل الله تعالى : « وقالوا : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، وَمُحَرَّم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم » .

وأنزل عليه : « قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل : آلله أذِنَ لكم أم على الله تفترون » .

وأنزل عليه : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين . قل : آلذَّكَرَيْنِ حرَّم ، أم الأُنْثَيَيْنِ ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، نبئونى بعلم إن كنتم صادقين . ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين . قل : آلذَّكَرَيْنِ حرَّم أم الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا . فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

البحيرة والوصيلة والحامى لغة : قال ابن هشام : قال الشاعر :

حَولُ الوصائل فى شُرَيف حِقّة ... والحاميات ظهورها والسُّيَّب

وقال تميم بن أبىّ بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج المِرباعِ قَرْقَرة ... هَدْرَ الدّيافىِّ وسطَ الهجمة البُحُرِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبُحر . وجمع وصيلة : وصائل ووصل . وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيَّب ، وجمع حام الأكثر : حوام .

عود إلى النسب

نسب خزاعة : قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

قال ابن هشام : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وخِندِف أمنا ، فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال : خزاعة : بنوحارثة بن عمرو بن عامر . وإنما

---

(١) يصف فى هذا البيت حمار وحش يقول : فيه من الأخرج ، وهو : الظليم الذى فيه بياض وسواد . والمرباع : هو الفحل الذى يبكر بالإلقاح ، أى : فيه منه قَرْقَرَةٌ أى صوت وهدر مثل هدر الدّيافى أى : الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام ، والهجمة من الإبل : دون المائة ، وجعلها بُحراً لأنها تأمن من الغارات ، يصفها بالمنعة والحماية ، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر . ورأيت فى شعر ابن مقبل : من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو ، وفسره فى الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة ، كما قال طرفة : * تريع إلى صوت المهيب وتتقى * .
وقبل البيت فى وصف روض :

بعازب النبت يرتاح الفؤاد له ... رأد النهار لأصوات من النُّغَر

وبعد البيت الواقع فى السيرة :

والأزرق الأخضر السربال منتصب ... قيد العصا فوق ذَيّال من الزَّهَر

سميت خزاعة ، لأنهم تخزّعوا (١) من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمرّ الظَّهْران ، فأقاموا بها . قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلِمة من الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطنا بطن مَر(٢) تخزعت ... خزاعة منا فى خيول كَراكِر(٣)

حمت كل واد من تهامة واحتمت ... بصم القَنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان فى قصيدة له .

وقال أبو المطهّر إسماعيل بن رافع الأنصارى ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت ... خزاعة دار الآكل المتحامل

فحلّت أكاريسا ، وشتت قنابلا ... على كل حى بين نجد وساحل

نفَوْا جُرهُما عن بطن مكة،واحتَبوْا ... بعِزّ خُزاعىّ شديد الكواهل

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له،وأنا إن شاءالله أذكر نفيها جرهما فى موضعه .

أولاد مدركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مدركة بن الياس رجلين : خزيمة ابن مدركة ، وهذيل بن مدركة ، وأمهما : امرأة من قضاعة . فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر : كنانة بن خزيمة ، وأسد بن خزيمة، وأسدة بن خزيمة، والهُون بن خزيمة . فأم كنانة : عَوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر .

قال ابن هشام : ويقال الهوْن بن خزيمة .

أولاد كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضر

---

(١) تخزعوا ، تأخروا وانقطعوا .

(٢) يريد : مر الظهران ، وسمى : مراً لأن فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة،وبعدها (را) خلقت كذلك ،ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مراً لمرارتها .

(٣) الخيول الكراكر : المجتمعة .

ابن كنانة ، ومالك بن كنانة ، وعبدَ مناة بن كنانة، ومِلْكان بن كنانة[1] . فأم النضر : بَرّة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : أم النضر ومالك وملكان : بَرة بنت مر، وأم عبدمناة : هالة بنت سويد ابن الغطريف من أزد شنوءة . وشنوءة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأسد بن الغوث ، وإنما سموا شنوءة ؛ لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض .

من يطلق عليه لقب قرشي : قال ابن هشام : النضر : قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال جرير بن عطية أحد بنى كُليب ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأم التى ولدت قريشا   بمقرفة النجار ولا عقيم[2]
وما قرم بأنجب من أبيكم   وما خال بأكرم من تميم[3]

يعنى : برة بنت مر ، أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان فى قصيدة له .

ويقال : فِهر بن مالك : قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ، وإنما سميت قريش قريشا من التقرش ، والتقرش : التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن العجاج :

قد كان يغنيهم عن الشُّغُوش   وَالخشْل من تساقط القروش
شحم ومحض ليس بالمغشوش

قال ابن هشام : والشُّغوش : قمح يسمى : الشغوش . والخشل : رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه[4] . والقروش : التجارة والاكتساب ، يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض ، والمحض : اللبن الحليب الخالص .

---

(١) وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغَنْماً وسعداً وعوفاً وجرول والحدال وغَزْوان . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ١١٥ .

(٢) المقرفة : اللئيمة . والنجار : الأصل   (٣) القرم هنا : السيد من الرجال .

(٤) ويقال الخشل : حل شجر الدوم . والقروش : ماتساقط من حتاته وتقشر منه .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له. وقال أبو جلدة اليشكرى، ويشكر: بن بكر بن وائل:

إخوة قَرّشوا الذنوب علينا　　فى حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت فى أبيات له.

قال ابن إسحاق: ويُقال. إنما سميت قريش قريشا: لتجمعها من بعد تفرقها. ويقال للتجمع: التقرش [1].

أولاد النضر وأمهاتهم: فولد النضر بن كنانه رجلين: مالك بن النضر، ويخلد بن النضر، فأم مالك: عاتكة بنت عَدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ولا أدرى أهى أم يخلد أم لا.

قال ابن هشام: والصلت بن النضر ـ فيما قال أبو عمرو المدنى ـ وأمهم جميعا: بنت سعد ابن ظَرِب العَدْوانى. وعدوان: بن عمر بن قيس بن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ـ وهو كثير عزة أحد بنى مُلَيح بن عمرو، من خزاعة:

أليس أبى بالصلت أم ليس إخوتى　　لكل هجان من بنى النضر أزهرا [2]

رأيت ثياب العَصْب مختلط السَّدَى　　بنا وبهم والحضرمى المُخَصَّرا [3]

فإن لم تكونوا من بنى النضر، فاتركوا　　أراكا بأذناب الفوائج أخضرا [4]

قال: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

والذين يعزون إلى الصلت بن النضر من خزاعة: بنو مُلَيح بن عمرو، رهط كُثَيِّر عزة.

---

(١) انظر ماقيل فى قريش مفصلا فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ من صفحة ١١٥ — ١١٧

(٢) الهجان: الكريم. والأزهر: المشهور.

(٣) العَصب: برود اليمن، لأنها تصبغ بالعصب، ولاينبت العصب ولاالورس إلاباليمن، يريد: إن قدودنا من قدودهم، فسدَى أثوابنا، مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمى: النعال المخصرة التى تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين.

(٤) الفوائج: رؤوس الأودية.

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فهر بن مالك . وأمه : جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاض الأكبر .

قال ابن إسحاق : فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فهر ، ومحارب بن فهر ، والحارث بن فهر ، وأسد بن فهر ، وأمهم : ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وجَندلة بنت فهر ، وهى أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . وأمها : ليلى بنت سعد . قال جرير بن عطية بن الخطفى . واسم الخطفى : حذيفة بن بدر ابن سلَمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة .

وإذا غضبتُ رمى ورائى بالحصى أبناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد غالب وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فهر رجلين : لؤى بن غالب ، وتيْم بن غالب ، وأمهما : سلمى بنت عمرو الخزاعى — وتَيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم (١) .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمه : سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى ، وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب .

---

(١) الأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، يقال : امرأة درماء وكعب أدرم . قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تُصرما ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدرما

وكَفَلا مثل النقا أو أعظَما

والأدرم أيضاً : المنقوص الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأدرم ، قاله الزبير . وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة) ، لا من قريش البطاح ، (قبائل عبد مناف) وكذلك بنو محارب من فهر ، وبنو معيص بن عامر .

أولاد لؤى وأصهاتهم : قال ابن إسحاق: فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤى، وعامر بن لؤى، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، فأم كعب وعامر وسامة : ماوية[1] بنت كعب بن القين بن جَسْر ، من قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لؤى ، وهم : جُشَم بن الحارث ، فى هِزّان من ربيعة . قال جرير :

بنى جشم لستم لهزان ، فانتَمُوا   لأعلى الروابى من لؤى بن غالب
ولا تُنكحوا فى آل ضَوْر نساءكم   ولا فى شُكَيْس بئس مثوى الغرائب[2]

وسعد بن لؤى ، وهم بُنانة : فى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل ، من ربيعة .

وبنانة : حاضنة لهم من بنى القَيْن بن جسر بن شَيْع الله، ويقال : سيع الله ، ابن الأسد ابن وَبْرة بن ثعلبة بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ويقال : بنت النمر بن قاسط ، من ربيعة . ويقال : بنت جَرْم بن رَبّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة امرأة من اليمن[3] ، وهى أم بنى عبيدة بن خزيمة بن لؤى .

وأم بنى لؤى كلهم – إلا عامر بن لؤى : ماوِيّة بنت كعب بن القين بن جَسْر . وأم عامر ابن لؤى : مَخْشِية بنت شيبان بن محارب بن فهر؛ ويقال: ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر .

---

(١) سميت بالماوية، وهى : المرآة، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزة الماء واوا .

(٢) يقال إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عير رُبَّى ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش .

(٣) وقال غيره : هى بنت الخِمْس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة عائذة،ومن بنى خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلتهم المُسَوِّدة فى قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية .

أمر سامة بن لؤى

هروبه من أخيه وموته : قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان، وكان بها . ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان . فيزعمون أن سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها ، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

عين فابكى لسامة بن لؤى	عَلِقت ما بسامة العلاّقه
لا أرى مثل سامة بن لؤى	يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلّغا عامراً وكعباً رسولا	أن نفسى إليهما مشتاقه(١)
إن تكن فى عمان دارى ، فإنى	غالبىّ ، خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤى	حذر الموت لم تكن مُهراقه
رُمت دفع الحتوف يا ابن لؤى	ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السرى تركتَ رديا	بعد جِد وجِدة ورشاقه(٢)

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانتسب إلى سامة بن لؤى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آ لشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله :

---

(١) بلّغا عامراً وكعباً رسولا: يجوز أن يكون «رسولا» مفعولا: يبلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم	بليلى ، ولا أرسلتهم برسول

أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا ، أوما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم .

(٢) قوله : وخَروسِ السُّرى تركت رديا يريد : ناقة صموتا صبوراً على السرى ، لا تضجر منه ، فسراها كالأخرس ، والردى التى سقطت من الأعياء .

رب كأس هرقت يا ابن لؤى حذر الموت لم تكن مهراقه

قال : أجل .

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان : قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج — فيما يزعمون — فى ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، أُبطىء به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان — ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن رَيْث بن غطفان — فحبسه وزوّجه والتاطه[1] وآخاه ، فشاع نسبه فى بنى ذبيان . وثعلبة — فيما يزعمون — الذى يقول لعوف حين أبطىء به ، فتركه قومه :

احبس علىّ ابن لؤى جملك تركك القوم ولامتْرَكَ لك

مطالبة مرة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن حصين، أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعيا حيا من العرب، أو ملحقهم بنا، لادعيت بنى مرة بن عوف ، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لؤى .

نسب مرة : قال ابن إسحاق : فهو فى نسب غطفان : مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن رَيْث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب: ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع — قال ابن هشام : أحد بنى مرة بن عوف حين — هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش :

---

(١) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه .

فما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُّعْر الرقابا
وقومى ـ إن سألت ـ بنو لؤى بمكة علَّموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بنى بغيض وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مُخْلِف لَمَّا تروَّى هراق الماء، واتبع السَّرابا[1]
فلو طووعت ـ عمرك ـ كنت فيهم وما أُلْفيتُ أنتجع السحابا[2]
وخش رواحة القرشى رحلى بناجية ولم يطلب ثوابا[3]

قال ابن هشام، هذا ما أنشدنى أبو عبيدة منها .

قال ابن إسحاق: فقال الحُصين بن الحُمام المرى، ثم أحد بنى سهم بن مرة يرد على الحارث بن ظالم، وينتمى إلى غطفان :

ألا لستمُ منا، ولسنا إليكم برئنا إليكم من لؤى بن غالب
أقمنا على عز الحجاز، وأنتم بمُعتلج البطحاء بين الأخاشب[4]

يعنى : قريشا، ثم ندم الحصين على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال :

ندمت على قول مضى كنت قلته تبينت فيه أنه قول كاذب

---

(١) المخلف : المستقى للماء .

(٢) وما ألفيت انتجع السحابا . أى : كانوا يغنونى بِسَيْبِهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعى فى البلاد .

(٣) وخَشّ رَوَاحة القرشى رحلى بناجية . أى : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش، إذا راشه به، فأراد : راشنى وأصلح رحلى بناجية، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك . ورواحة هذا : هو رواحة بن مَنقذ بن مَعيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى : رأس، وأخذ ربع الغنيمة .

(٤) بمعتلج البطحاء : أى حيث تعتلج السيول، والاعتلاج عمل بقوة . والأخاشب : جبال مكة، وقد يقال لكل جبل : أخشب .

فليت لسانى كان نصفين منهما ... بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كنانى بمكة قبره ... بمعتلج البطحاء بين الأخاشب
لنا الرُّبع من بيت الحرام ورِاثة ... وربع البطاح عند دار ابن حاطب[١]

أى أن بنى لؤى كانوا أربعة : كعبا ، وعامراً ، وسامة ، وعوفا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

أشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غطفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هرم بن سنان بن أبى حارثة، وخارجة[٢] بن سنان بن أبى حارثة، والحارث بن عوف، والحصين بن الحمام ، وهاشم بن حرملة الذى يقول له القائل :

أحيا أباه هاشم بن حرملة[٣]
يوم الهباءات ويوم اليعملة
ترى الملوك عنده مغربلة[٤]
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له

---

(١) قوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : أن بنى لؤى كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم ، وهو عوف ، وبنو لؤى هم : أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت .

(٢) خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ، ونجابة نسله ،

(٣) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن زبّان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهْطِم بنت هاشم . كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين ، وولدته بأضراسه ، فسمى منظورا لطول انتظارهم إياه .

(٤) قيل معناه : منتفخة ، وذكروا أنه يقال : غربل القتيل إذا انتفخ، وهذا غير معروف، وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء مغربَلة ،وقال بعضهم : معناه : يتخير الملوك فيقتلهم، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخصنى : خصفة بن قيس بن عيلان :

أحيا أباه هاشم بن حرمله
يوم الهباءات ويوم اليَعْمَله
ترى الملوك عنده مُغَرْبله
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له !!
ورمحه للوالدات مُشْكِلة

وحدثنى أن هاشما قال لعامر : قل فىَّ بيتا جيدا أثبك عليه ، فقال عامر البيت الأول ، فلم يعجب هاشما ، ثم قال الثانى ، فلم يعجبه ، ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ، فلما قال الرابع :

يقتل ذا الذنب ، ومن لاذنب له !!

أعجبه ، فأثابه عليه (١) .

قال ابن هشام : وذلك الذى أراد الكميت بن زيد فى قوله :

وهاشم مرة المفنى ملوكا بلا ذنب إليه ومذنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقول عامر : يوم الهباءات . عن غير أبى عُبيدة

قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذكر فى غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان البَسْل (٢) .

أمر البسل

تعريف البسل : والبَسل ــ فيما يزعمون ــ لنسبهم ثمانية أشهر حُرُم ، لهم من كل

---

(١) إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع ، وأنه لا يخاف حاكما يُعتدى عليه ، ولا تِرَة من طالب ثأر .

(٢) البسل وهو الحرام ، والبسل أيضا : الحلال ، فهو من الأضداد ومنه : بُسْلة الراقى ، أى مايحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسل فى الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب مِن نفعك من رجاك بَسْلا ، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أى : استجابة .

سنة من بين العرب ، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئا . قال زهير بن أبى سلمى، يعنى بنى مرة .

نسب زهير بن أبى سلمى : قال ابن هشام : زهير أحد بنى مُزَيْنَةَ بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر ، ويقال : زهير بن أبى سلمى من غطفان ، ويقال : حليف فى غطفان .

تأمل ، فإن تُقْو الْمَرَوْرَاة[1] منهم ودارتها لا تُقْو منهم إذاً نخل
بلاد بها نادمتهم وألفتهم فإن تُقْويا منهم فإنهم بسل

أى : حرام . يقول : ساروا فى حرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد كعب وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مرة بن كعب، وعدى بن كعب ، وهُصَيْص بن كعب . وأمهم : وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ابن مالك بن النضر .

أولاد مرة وأمهاتهم : فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مرة ، وتيم ابن مرة ، ويقظة[2] بن مرة .

---

(١) وقع فى بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة ، كأنه جمع مرْوَر ، وليس فى الكلام مثل هذا البناء ، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام ، فهو فَعَلْعَلَة مثل صمحمحة ، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شَجَوْجاة . والمروراة اسم مكان كان فيه هذا اليوم .

(٢) يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدح بها خالد بن الوليد ، فمنها قول الشاعر :

فأم كلاب : هند بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأسد من اليمن. ويقال : هى أم تيم . ويقال : تيم هند بنت سُرَير أم كلاب .

نسب بارق : قال ابن هشام : بارق[1] : بنو عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم فى شَنُوءة . قال الكميت ابن زيد[2] :

وأزْد شنوءة اندرءوا علينا ... بِجُمٍّ يحسبون لها قرونا[3]
فما قلنا لبارق : قد أسأتم ... وما قلنا لبارق : أعتِبونا

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له . وإنما سموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرق .

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كلاب بن مرة رجلين : قصى بن كلاب ، وزهرة بن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد بنى الجَدَرَة ، من جُعْشُمة الأزد ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

نسب جعثمة : قال ابن هشام : ويقال : جُعْشُمة الأسْد ، وجعثمة الأزْد ، وهو جعثمة ابن يشكر بن مبشر بن صعب بن دُهْمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : جعثمة بن يشكر بن مُبَشِّر بن صعب ابن نصر بن زهران بن الأسد بن الغوث .

= وأنت لمخزوم بن يقظة جُنَّة ... كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد
وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤى .

(1) سُمُّوا : بارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق ، وقد قيل : إنهم نزلوا عند جبل يقال له : بارق ، فسموا به .

(2) هو ابن زيد أبو المستهل من بنى أسد .

(3) أى : يناطحون بلا عُدَّة ولا قوة كالكباش الجم التى لا قرون لها ، ويحسبون أن لهم قوة .

وإنما سُموا الجدَرَة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعثمة (١) زوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمي . وكانت جرهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً ، فسمى عامر بذلك : الجادر ، فقيل لولده : الجدرة لذلك (٢)

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى فى الناس شخصاً واحداً　　من علمناه كسعد بن سَيَل
فارسا أضبط ، فيه عُسْرةٌ　　وإذا ما واقف القِرْن نزل (٣)
فارسا يستدرج الخيل كما اسـ　　تدرج الحرُّ القَطامىُّ الحجَل (٤)

قال ابن هشام : قوله : كما استدرج الحر . عن بعض أهل العلم بالشعر .

نعم بنت كلاب وأمها وولداها : قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب ، وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى ، وأمها : فاطمة بنت سعد بن سَيَل .

أولاد قصى وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد قصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصى ، وعبد الدار بن قصى ، وعبد العُزَّى بن قصى ، وعبد قصى بن قصى ، وتخمر بنت قصى ، وبرة بنت قصى ، وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب ابن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشيه بن سلول .

أولاد عبد مناف وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد عبد مناف — واسمه : المغيرة بن قصى — أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس (٥) بن عبد مناف ، والمطلب

---

(١) بعض النسخ زيادة خزيمة خطأ ، إنما هو : عمرو بن جعثمة .

(٢) يروى أن السيل ذات مرة دخل الكعبة ، وصدع بنيانها ، ففزعت لذلك قريش ، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامر لها جدراً .

(٣) الأضبط الذى يعمل بكلتا يديه ، والعسرة : الشدة . والقرن : الشديد فى الحرب .

(٤) الحر القطامى : الصقر .

(٥) وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فوُلد هاشم ، ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر على نزعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكانت تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس .

ابن عبد مناف ، وأمهم : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة ابن سُلَيم بن منصور بن عكرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية . مازن : بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : وأبو عمرو ، وتماضر ، وقلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطة ، وأم الأخثم ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبي عمرو : رَيطة ، امرأة من ثقيف ، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف . وأمها صفية بنت حَوْزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأم صفية: بنت عبد الله بن سعد العشيرة (١) بن مَذْحج .

أولاد هاشم وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم ، ونضلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورقية ، وحية . فأم عبد المطلب ورقية : سلمى (٢) بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار . واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وأمها : عُميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم عميرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجَّارية . وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعى . وأم أبي صيفى وحَيَّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية . وأم نَضْلة والشِّفاء : امرأة من قضاعة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عدى المازنية .

---

(١) فى هذا الكلام وهم لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها ، فيستحيل أن يكون فى عصر هاشم من هو ابن له لصلبه ، ولكن هكذا رواه البرقى عن ابن هشام ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة ، وهى رواية النسائى .

(٢) وأمها : عُمَيرة بنت صَخْر المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحَيْحة بن الجلاح ، وأخوه : معبد، ولدتهما لأحيحة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرة نفر ، وست نسوة : العباس ، وحمزة ، وعبدالله ، وأبا طالب — واسمه . عبد مناف[1] — والزبير[2] ، والحارث ، وحَجْلا[3] ، والمقوّم[4] ، وضِرَارا ، وأبا لهب[5] — واسمه عبد العُزَّى — وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى ، وبَرَّة .

---

(١) وله يقول عبدُ المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى بمؤتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير ، وهو أكبر أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى كان يُرقِّص النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عَبْدَمِ عشت بعيش أنعَمِ
فى دولة ومغنم دام سجيس الأزلم

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور فى الصحابة — رضى الله عنهم — وكان الزبير — رضى الله عنه — يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سمى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ابنه الطاهر . وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حتف أنفه ، فقال : وإن ، فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، ففى هذا دليل على إقراره بالبعث .

(٣) حَجْلا : بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب . وقال الدارقطنى هو : حجْل بتقديم الحاء .

(٤) المقوم لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند .

(٥) واسمه : عبد العُزَّى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه ، وكان تقدمة من الله — تعالى — لما صار إليه من اللهب ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بنى ضاطرة بضاد منقوطة .

فأم العباس وضرار : نُتَيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيدمناة ابن عامر — وهو الضّحيان — بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب ابن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال : أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة .

وأم حمزة والمقوّم وجَحْل — وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره ، وسعة ماله — وصفية : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وأم عبد الله ، وأبى طالب ، والزبير ، وجميع النساء غير صفية : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأمها : صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تخمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جندب بن جُحَير بن رئاب بن حُبَيِّب بن سُوَاءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .

وأم أبى لهب : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشية بن سلول بن كعب ابن عمرو الخزاعى .

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاتها : قال ابن هشام فولد عبدُ الله بن عبد المطلب : رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — سيد ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة[1] بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

---

(١) فى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير معروف ، وإنما هو اسم جدهم — كما قال ابن إسحاق : والزهرة فى اللغة : إشراق فى اللون ، أى لون كان من بياض أو غيره .

وأمها : برة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر .

وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم أم حبيب : برة[1] بنت عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أشرف ولد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا من قِبل أبيه ، وأمه — صلى الله عليه وسلم .

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

احتفار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : وكان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحِجْر ، إذ أُتى ، فأمر بحفر زمزم ، وهى دفن بين صنمى قريش : إساف ونائلة ، عند منحر قريش . وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة ، وهى : بئر إسماعيل بن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظمئ وهو صغير ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعو الله ، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت

---

(١) ذكر فى آخر أمهاته صلى الله عليه وسلم : برة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى وهن كلهن قرشيات ؛ ولذلك وقف فى بَرَّة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها ، وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قِلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأم قلابة : أميمة بنت مالك بن غَنْم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دبَّة بنت الحارث بن لحيان بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة ، وأنه أقدم شعراء هذيل .

المروة ففعلت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهمز له بعقبه(١) فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه ، فجاءت تشتد نحوه ، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب ، فجعلته حسيا(٢)

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودفنها زمزم ، وخروجها من مكة ، ومن ولى أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم ، ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : لما توفى إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل — ما شاء الله أن يليه — ثم ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجرهمى .

قال ابن هشام : ويقال : مِضاض بن عمرو الجرهمى .

---

(١) ولذلك زمزم تسمى : هَمزَة جبريل بتقديم الميم على الزاى ، ويقال فيها أيضاً : هزمة جبريل ، لأنها هَزْمَة (أى نقرة) فى الأرض ، وحكى فى اسمها : زُمَازِمُ وزمزم . حكى ذلك عن المُطرز ، وتسمى أيضاً : طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم . وقال الحَرْبِى : سميت زمزم ، بزمزمة الماء ، وهى صوته ، وقال المسعودى : سميت زمزم ؛ لأن الفُرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول ، فزمزمت عليها . والزمزمة : صوت تخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء ؛ وقد كتب عمر — رضى الله عنه — إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة ، وأنشد المسعودى :

زمزمت الفرس على زمزم   وذاك فى سالفها الأقدم

وذكر البرقى عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنها سميت : زمزم لأنها زُمَّت بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء . وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع .

(٢) الحسى : الحفيرة الصغيرة ، أو هو ما يختفى فى الرمل ، فإذا نبش ظهر .

بغى جرهم وقاطوراء : قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدهم : مضاض ابن عمرو وأخوالهم من جرهم [١] ، وجرهم وقطوراء [٢] يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عم ، وكانا ظعنا من اليمن ، فأقبلا سيارة ، وعلى جرهم : مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السَّمَيدع [٣] رجل منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيقِعان ، فما حاز . ونزل السميدع بقطوراء ، أسفل مكة بأجْياد ، فما حاز : فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها ، وكل فى قومه لايدخل واحد منهما على صاحبه . ثم إن جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها ؛ ومع مضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنو نابت ، وإليه ولاية البيت دون السميدع . فصار بعضهم إلى بعض ، فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبته سائرا إلى السميدع ، ومع كتيبته عُدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك معه، فيقال ماسمى قعيقعان : بقعيقعان إلا لذلك [٤] . وخرج السميدعُ من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ؛

---

(١) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن عابر ؛ وقد قيل : إنه كان مع نوح عليه السلام فى السفينة ، وذلك أنه من ولد ولده ، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية. وقيل إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقا، وهو ابن أربع عشرة سنة.

(٢) هو قطوراء : بن كَرْكر .

(٣) هو السميدع بن هوثر — بثاء مثلثة — قيدها البكرى — ابن لاى بن قطورا بن كركر بن عملاق ، ويقال : إن الزَّبّاء الملكة كانت من ذريته ، وهى بنت عمرو بن أُذَيْنَة ابن ظَرِب بن حسان ، وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لبعد زمن الزباء من السميدع .

(٤) وقيل إنما سمى بهذا الاسم حين نزل تُبّع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان ، فسمى : قعيقعان بقعقعة السلاح فيه .

فيقال . ماسمى أجياد : إلا لخروج الجياد(١) من الخيل مع السميدع منه . فالتقوا بفاضح ، واقتتلوا قتالا شديداً،فقُتل السميدع ، وفُضِحت قطوراء . فيقال : ماسمى فاضح : فاضحا إلا لذاك . ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح ،فساروا حتى نزلوا المطابخ : شِعبا بأعلى مكة ،واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض.فلما جُمع إليه أمر مكة ، فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم ، فاطَّبَخ الناس وأكلوا، فيقال: ماسميت المطابخ إلا لذلك . وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سُميت المطابخ ، لما كان تُبَّع نحر بها ، وأطعم ، وكانت منزله. فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون .

انتشار ولد إسماعيل : ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة ، لاينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخئولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أوقتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم — بدينهم — فوطئوهم .

بغى جرهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما : ثم إن جرهما بغوا بمكة ، واستحلوا خِلالا من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدى لها(٢) ، فرقّ

---

(١) لم يسم بأجياد من أجل جياد الخيل ، كما ذكر لأن جياد الخيل لايقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جِيد .

وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام فى غير هذا الكتاب ، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التوأمة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتفر بئرا قريبة القعر عند باب الكعبة ، كان يلقى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ، ثم =

أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنفوهم من مكة . وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : الناسّة ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فقال : إنها ماسميت بكة إلا أنها كانت تبك(١) أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا .

معنى بكة : قال ابن هشام : أخبرنى أبو عبيدة : أن بكة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها ، أى : يزدحمون ، وأنشدنى :

إذا الشريب أخذته أكّهْ   فخله حتى يبك بكه

أى : فدعه حتى يبك إبله ، أى يخليها إلى الماء ، فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن ، فدفنهما فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديداً ، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض فى ذلك(٢) ، وليس بمضاض الأكبر :

= أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدى ، سوداء المتن ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت فى البئر — فيما ذكروا — نحواً من خمسمائة عام .

(١) أى تكسرهم وتفدعهم ، وقيل : من التّباكّ ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المخ ، وتمكك الفصيل ما فى ضرع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتيها فى المواسم .

وقيل : لما كانت فى بطن واد ، فهى تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول . ومن أسماء مكة أيضا : الرأس ، وصَلاح ، وأم رُحْم ، وكُوثى .

(٢) وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هىّ بن نبت بن جرهم الجرهمى قد نزل بقنَوْنَى من أرض الحجاز ، فضلت له إبل ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لحى : من وجد جرهميا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُنحر ، ويُتوزع لحمها ، فانصرف يائساً خائفاً ذليلا ، وأبعد فى الأرض ، وهى غربة الحارث بن مضاض التى تضرب بها المثل .

وقائلةٍ والدمع مُبادر سَكْب ... وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر(١)
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يُلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها ، فأزالنا ... صروف الليالى ، والجُدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت ، والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعز ، فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظمْ بملكنا ... فليس لحى غيرنا ثَمّ فاخر
ألم تُنكحوا من خير شخص علمته ... فأبناؤه منا ، ونحن الأصاهر(٢)
فإن تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالاً ، وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقُدرة ... كذلك — يا للناس — تجرى المقادر
أقول إذا نام الخلى — ولم أنم ... : إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر(٣)
وبُدّلت منها أوجها لا أحبها ... بذلك عضتنا السنون الغوابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم أمن ، وفيها المشاعر(٤)
وتبكى لبيت ليس يُؤذَى حمامه ... يظل به أمنا ، وفيه العصافر(٥)
وفيه وحوش — لا تُرام — أنيسة ... إذا خرجت منه ، فليست تغادر(٦)

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

---

(١) الحجون بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة .

(٢) خير شخص : هو إسماعيل عليه السلام .

(٣) عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل يبدُوَن لى عامر وطَفيل .

(٤) المشاعر : أماكن التعبد فى الحج .

(٥) أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى : وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أمناً ، أى : ذات أمن ، ويجوز أن يكون أمْناً جمع آمن مثل : ركْب جمع : راكب

(٦) وبعد هذا البيت :

ولم يتربع واسطاً وجَنُوبه ... إلى السر من وادى الأراكة حاضر
وأبدلنى ربى بها دار غربة ... بها الجوع باد ، والعدو المحاصر

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغبشان ، وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا [1]
حُثوا المطى ، وأرخوا من أزمتها قبل الممات ، وقَضُّوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم ، فغيّرنا دهر ، فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر : أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن [2] ، ولم يسم لى قائلها .

---

(١) قصركم : نهايتكم .

(٢) ذكر السهيلى هذه الأبيات وقال : وألفيت فى كتاب أبى بحر سفيان بن العاصى خبرا لهذه الأبيات ، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفى عن عبد الله بن عبد السلام البصرى ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التمار ، قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة ، قال : وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار ، وهى بئر طَسْم وجَديس فى قرية يقال لها : معْنِق ، بينها وبين الحجر ميل ، وهم من بقايا عاد ، غزاهم تبع ، فقتلهم . فوجدوا فى حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

يأيها الملك الذى بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شانه
أقصِر عليك مراقبا فالدهر مخذول أمانه
كم من أشَمّ مُعَصّب بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما ن ، وكان ذا خَفْض جنانه
تجرى الجداول حوله للجند مُتْرعة جفانه
قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يَعْلِق به يطحنْه ، مُفترشا جرانه
والناس شتى فى الهوى كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ولقد يُشرّفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغبشانى ، وقريش إذ ذاك حلول وصِرْم ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سلول .

=

كل عيش تَمَلُّه	ليس للدهر خلّه
يوم بُؤسَى ونُعْمَى	واجتماع وقلّه
حبذا العيش والتكا	ثر جهل وضلّه
بينما المرء ناعم	فى قصور مُظلّه
فى ظلال ونعمة	ساحبا ذيل حلّه
لا يرى الشمس ملتفتا	رة إذ زل زلّه
لم يُقلها ، وبدّلت	عزة المرء ذِلّه
آفة العيش والنعـ	ـيم كرور الأهلّه
وصل يوم بليلة	واعتراض بِعِلّه
والمنايا جواثم	كالصقور المدلّه
بالذى تكره النفـ	ـوس عليها مُطلّه

وفى الحجر الثالث مكتوبا :

يأيها الناس سيروا إن قصركم	أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثّوا المَطِىّ ، وأرخوا من أزمتها	قبل الممات وقَضُّوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا	دهر فأنتم كما كنا تكونونا

تزوج قصى بن كلاب حبى بنت حليل

أولاد قصى وحبى : قال ابن إسحاق : ثم إن قصى بن كلاب خطب إلى حُليل بن حبشية ابنته حبى ، فرغب فيه حليل فزوجه ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدا . فلما انتشر ولد قصى ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حُليل .

مساعدة رزاح لقصى فى تولى أمر البيت : فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا قُرعة[1] إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلم رجالا من قريش ، وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة بن حرام من عُذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيَل ، وزُهرة يومئذ رجل ، وقصى فطيم ، فاحتملها إلى بلاده ، فحملت قصيا معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رِزاحا . فلما بلغ قصى ، وصار رجلا أتى مكة[2] ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رزاح بن ربيعة ، ومعه إخوته : حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهُمة بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مجمعون لنصرة قصى . وخزاعة تزعم أن حليل بن حُبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ،

---

(١) هكذا بالقاف ، وهى الرواية الصحيحة ، وفى بعض النسخ : فرعة بالفاء ، والقرعة بالقاف هى : نخبة الشىء ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمِّى من العرب بالأقرع .

(٢) كان قصى رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة ، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما يَفَعَة أو حَزَوَّرًا (دون البلوغ) سابّه رجل من قضاعة ، فعيره بالدعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا ملصق ، فدخل على أمه ، وقد وجم لذلك ، فقالت له : يا بنى صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباؤك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشى ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل فى سيارة حتى أتى مكة ؛ والمعروف أن اسمه : زيد ، وإنما كان قصيا أى بعيداً عن بلده فسمى : قصيا .

وبأمر مكة من خزاعة ، فعند ذلك طلب قصى ما طلب[١] ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولدُه من بعده ، وكان يقال له ولولده : صُوفة [٢]

---

(١) وذكر المؤرخون أسبابا لانتقال ولاية البيت إلى قصى وهو أن حُلَيْلا كان يُعطى مفاتيح البيت ابنته حُبى ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصى ربما أخذها فى بعض الأحيان، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصى، فأبت خزاعة أن تُمضى ذلك لقصى، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَان من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصى بزِقّ خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبى غبشان . ذكره المسعودى والأصبهانى فى الأمثال .

وكان الأصل فى انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا فى الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه ، واحتملوه على بعير فرزح البعير به ، وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، فرزح أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا، فلما أصبح أهل مكة ، ولم يروْه ، وقعوا فى كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بَصُرت به حين دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلّوا لهم عن ولاية البيت ، ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير . (عن الروض الأنف).

(٢) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشىء من خدمة البيت ، أو بشىء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة : لأنه بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة.

وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى =

وإنما ولى ذلك الغوث بن مر ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هى ولدت رجلا: أن تَصَّدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت ، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه :

إنى جعلتُ رب من بنيه ربيطةً بمكة العليه
فباركنّ لى بها أليّه واجعله لى من صالح البريه

وكان الغوث بن مر ـ فيما زعموا ـ إذا دفع بالناس قال :

لاهم إنى تابع تَبَاعه إن كان إثم فعلى قضاعه(١)

صوفة ورمى الجمار : قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمى معك ، فيقول لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون

= قال : إنما سمى الغوث بن مر : صوفة ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد ، فنذرت : لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ، ولتجعلنه رَبيطاً للكعبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده، وهو : الربيط .

وحدث إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرنى عقال بن شَبة قال : قالت أم تميم بن مر — وولدت نسوة — فقالت : لله علىّ . لئن ولدت غلاماً لأعبّدنّه البيت ، فولدت الغوث ، وهو أكبر ولد مر ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر ، فمرت به — وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ما صار ابنى إلا صوفة ، فسمى صوفة .

(١) سبب قوله: إن كان إثما فعلى قضاعة ، إنما خص قضاعة بهذا ؛ لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم ، كما كانت خثعم وطىء تفعل ، وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرمت صفراً أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام — يقول قائلهم: قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المُحِلّين.

له : ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ورمى الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا منْ رمى الجمار ، وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبى العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزى صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد [1] بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شِجنة .

نسب صفوان بن جناب : قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجنة : عُطارد بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج : قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كرب بن صفوان . وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

لا يبرح الناس ما حجوا مُعرَّفهم ... حتى يقال : أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

ذو الأصبع يذكر هذه الإفاضة : وأما قول ذى الإصبع العدوانى ، واسمه حرثان بن عمرو ، وإنما سمى ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها :

عذير الحى من عدوا ... ن كانوا حَية الأرض [2]

---

(١) أى بالقرابة ، وذلك أن سعدا هو : ابن زيد مناة بن تميم بن عامر .

(٢) يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادى ؛ إذا كان مَهيباً يُذْعَر منه ، كما قيل :

يا مُحَكم بن طفيل قد أتيح لكم ... لله در أبيكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وعذير الحى من عدوان . نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيره ، أى : من يعذره ، فيكون العذير بمعنى : العاذر ، ويكون أيضا بمعنى : العذر مصدرا كالحديث ونحوه .

بغى بعضهم ظلما فلم يُرْعِ على بعض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا س بالسنة والفرض
ومنهم حَكم يقضى فلا يُنقض ما يَقضى

أبو سيارة يفيض بالناس : وهذه الأبيات فى قصيدة له — فلأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عدوان — فيما حدثنى زياد بن عبدالله البكائى عن محمدبن إسحاق — يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيَّارة ، عُمَيلة بن الأعزل ،[1] ففيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبى سيارة وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له ؛ فلذلك يقول : « سالما حماره »[2].

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب : قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[3] ،

(١) وقال غير ابن إسحاق : اسمه : العاصى . قاله الخطابى : واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهانى .

(٢) كانت له أتان عوراء خطامها ليف ، يقال : إنه دفع عليها فى الموقف أربعين سنة ، وإياها يعنى الراجز فى قوله :

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لا هُمَّ مالى فى الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أُحسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد من شر كل حاسد إذ يحسد

(٣) النائرة : الكائنة الشنيعة بين القوم .

ولا عُضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختُصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه، فى رجل خنثى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أتجعله رجلا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال: حتى أنظر فى أمركم، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب! فاستأخروا عنه، فبات ليلته ساهراً يقلب أمره، وينظر فى شأنه، لا يتوجه له منه وجه. وكانت له جارية يقال لها: سُخَيلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول: صبَّحت والله ياسُخَيل! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيت والله ياسخيل! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلة قراره على فراشه قالت: مالك لا أبالك! ما عراك فى ليلتك هذه؟ قال: ويلك! دعينى، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال فى نفسه: عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج، فقال: ويحك! اختصم إلىّ فى ميراث خنثى، أأجعله رجلا أو امرأة؟ فوالله ما أدرى ما أصنع، وما يتوجه لى فيه وجه؟ قال: فقالت: سبحان الله! لا أبالك! أتبع القضاء المَبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة، فهى امرأة. قال: مَسىّ سخيل بعدها أوصبحى، فرَّجتها والله! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذى أشارت عليه به [1].

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قصى يتغلب على صوفة: قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم. فأتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقال: لنحن

---

(١) وهو حكم معمول به فى الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل فى الشريعة، قال الله سبحانه: «وجاءوا على قميصه بدم كذب» وجه الدلالة على الكذب فى الدم أن القميص المُدَمَّى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب، وكذلك قوله: «إن كان قميصه قُدَّ من قُبل» الآية، وقول النبى - صلى الله عليه وسلم - فى المولود: «إن جاءت به أورق جعداً جُمَالياً فهو للذى رُمِيت به».

أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك .

قصى يقاتل خزاعة وبنى بكر : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يحكّموا بينهم رجلا من العرب ، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر : موضوع يشدخه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلى بين قصى وبين الكعبة ومكة .

فسمى يعمر بن عوف يومئذ : الشداخ[1] ، لما شدخ من الدماء ووضع منها .

قصى يتولى أمر مكة : قال ابن إسحاق : فولى قصى البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملّكوه ، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دينا فى نفسه لاينبغى تغييره ، فأقر آل صفوان وعَدْوان والنسأة ومُرة ابن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام ، فهدم الله به ذلك كله . فكان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب مُلكا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة[2] ، واللواء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها . ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع شجر الحرم فى

---

(١) ويعمر الشداخ هو جد بنى دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وأبوه : يزيد ، وحذيفة بن دأب ، ودأب هو : ابن كرز ابن أحمر من بنى يعمر بن عوف الذى شدخ دماء خزاعة ، أى : أبطلها ، وأصل الشدخ : الكسر والفضخ ، ومنه الغُرّة الشادخة ، شبهت بالضربة الواسعة .

(٢) وهى الدار التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدىّ ، والنادى والمنتدى : وهو مجلس القوم الذى يَندون حوله ، أى : يذهبون قريباً منه ، ثم يرجعون ـــ

مجازهم ، فقطعها قصى بيده وأعوانه(١) فسمته قريش : مجمعا لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تُنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا فى داره ، يعقده لهم بعض ولده ، وما تدَّرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدَّرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها : قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قُصى لعمرِى كان يدعى مجُمعا به جمَّع الله القبائل من فِهر

= إليه ، والتندية فى الخيل : أن تصرف عن الورْد إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشرب ، وهو المندّى ، وهذه الدار تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى ، فباعها فى الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاوية فى ذلك ، وقال : أبعت مَكرُمة آبائك وشرفهم ؟! فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى . والله : لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله ، فأينا المغبون ؟! ذكر خبر حكيم هذا : الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له .

(١) قال الواقدى : الأصح فى هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى: كيف نصنع فى شجر الحرم ، فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون فى منزله . قال : فأول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دوراً بقعيقعان ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة وكذلك يروى عن عمر — رضى الله — أنه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد العزّى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر — رضى الله عنه — ووداها بقرة ، ومذهب مالك — رحمه الله — فى ذلك : ألا دية فى شجر الحرم . قال : ولم يبلغنى فى ذلك شىء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعى — رحمه الله — فجعل فى الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة — رحمه الله — إن كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها الناس ، ويستنبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالغاً ما بلغت .

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال: سمعت السائبَ بن خبَّاب صاحب المقصورة يحدث، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديث قصى بن كلاب، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره.

شعر رزاح بن ربيعة فى هذه القصة: قال ابن إسحاق: فلما فرغ قصى من حربه، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رزاح فى إجابته قُصيا:

لما أتى من قصى رسول فقال الرسول: أجيبوا الخليلا
نهضنا إليه نقود الجياد ونطرح عنا المَلول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح ونكمى النهار؛ لئلا نزولا[1]
فهن سراع كوِرد القَطا يُجبْن بنا من قصى رسولا
جمعنا من السر من أشمذَين ومن كل حى جمعنا قبيلا[2]
فيالك حَلبة ما ليلة تزيد على الألف سَيبا رسيلا[3]
فلما مررن على عسجر وأسهلن من مُستناخ سبيلا[4]
وجاوزن بالركن من ورِقان وجاوزن بالعَرْج حيا حُلولا[5]
مررن على الحيل ما ذقنه وعالجن من مر ليلا طويلا[6]

---

(١) نكمى النهار، أي: نكمن ونستتر، والكَمِىُّ من الفرسان، الذى تَكَمَّى بالحديد. وقيل: الذى يَكْمِى شجاعته، أى: يسترها، حتى يظهرها عند الوغى.

(٢) الأشمذان: جبلان، ويقال: اسم قبيلتين.

(٣) الحلبة: الجماعة من الخيل. والسيب: المشى السريع. والرسيل: الذى فيه تمهل: أى تمشى سراعا ولكن فى رفق كما تزحف الحية.

(٤) عسجر: اسم موضع.

(٥) العرج: واد ناحية الطائف. وفيه جبل من أعظم الجبال، وذكروا أن فيه أوشالا وعيونا عذابا، وسكانه بنو أوس بن مزينة.

(٦) الحيل: هو الماء المستنقع فى بطن واد، ووجدت فى غير أصل الكتاب روايتين، إحداهما: مررن على الحِلِّ، والأخرى: مررن على الحِلْى، فأما الحل: فجمع حلة، وهى بقلة شاكة. ذكره ابن دريد فى الجمهرة. وأما الحلى، فيقال: إنه ثمر النَّصِىِّ ؟ ...

نُدَنِّي من العُوذِ أفلاءها إرادة أن يسترقن الصهيلا(١)
فلما انتهينا إلى مكة أبحنا الرجال قبيلا قبيلا
نُعاورهم ثَمّ حد السيوف وفى كل أوب خلسنا العقولا
نخبزهم بصلاب النسو ر خَبْزَ القوى العزيز الذليلا(٢)
قتلنا خزاعةَ فى دارها وبكراً قتلنا وجيلا لجيلا
نفيناهم من بلاد المليك كما لايحلون أرضا سُهولا
فأصبح سبيهم فى الحديد ومن كل حى شفينا الغليلا

شعر ثعلبة القضاعى فى هذه القصة : وقال ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيل مضمرة تَغالَى من الأعراف أعراف الجناب(٣)
إلى غَوْرَىْ تِهامة ، فالتقينا من الفيفاء فى قاع يباب
فأما صوفة الخُنثَى ، فخلوا منازلهم محاذرة الضِّراب
وقام بنو علىّ إذ رأونا إلى الأسياف كالإبل الطِّراب(٤)

شعر قصى : وقال قصى :

أنا ابن العاصمين بنى لؤى بمكة منزلى ، وبها ربيت
إلى البطحاء قد علمت معد ومروتها رضيت بها رَضيت
فلست لغالب إن لم تَأثَّل بها أولاد قيذر ، والنبيت
رزاح ناصرى ، وبه أُسامى فلست أخاف ضيما ما حييت

---

(١) العوذ : الفرس التى لها أولاد . والأفلاء : جمع فلو المهر العظيم .

(٢) نخَبْزهم : أى : نسوقهم سوقا شديدا .

(٣) تغالى : ترتفع فى سيرها . والأعراف : الرمل المرتفع . والجناب : موضع ببلاد قضاعة .

(٤) بنو علىّ ، وهم بنو كنانة ، وإنما سموا ببنى على ؛ لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعلى ابن مازن من الأزد جد سطيح الكاهن ، فقيل لبنى كنانة : بنو على ، وأحسبه أراد فى هذا البيت بنى بكر بن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خزاعة .

فلما استقر رزاح بن ربيعة فى بلاده ، نشره الله ونشر حُنّا ، فهما قبيلا عُذرة (١) اليوم .
وقد كان بين رزاح بن ربيعة ، حين قدم بلاده ، وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلُم (٢) ، وهما بطنان من قضاعة شىء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجلوا من بلاد قضاعة ، فهم اليوم باليمن ، فقال قصى بن كلاب ، وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رزاح من الرحم ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ما صنع بهم رزاح :

ألا من مُبلغ عنى رزاحا فإنى قد لحيتك فى اثنتين
لحيتك فى بنى نهد بن زيد كما فرّقتَ بينهمُ وبينى
وحوتكة بن أسلم إن قوما عنوهم بالمساءة قد عنونى

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى .

قصى يفضل عبد الدار على سائر ولده : قال ابن إسحاق : فلما كبر قصى ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكرَه ، وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعبد العزى وعبد . قال قصى لعبد الدار : أما والله يابنى لألحقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا فى دارك ، فأعطاه داره دار الندوة ، التى لا تقضى قريش أمراً من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

---

(١) فى قضاعة : عُذْرتان : عذرة بن رفيدة ، وهم من بنى كلب بن وبرة . وعذرة ابن سعد بن سُودِ بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة .

(٢) وليس فى العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها فى قضاعة ، وهما : أسلم بن الحاف هذا ، وأسلم بن تَدُول بن تَيْم اللات بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ، والثالث فى عك : أسلم بن القيانة بن غابن بن الشاهد بن عك ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١٥٣

الرفادة : وكانت الرفادة خَرْجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى ابن كلاب ، فيصنع به طعاما للحاج ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، وذلك أن قصيا فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يامعشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل الحرم ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب ، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبو إسحاق بن يسار ، عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له : نُبيه بنِ وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى .

قال الحسن: فجعل إليه قصى كل ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قصى لا يُخالف ، ولا يُرد عليه شىء صنعه .

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيبين

النزاع بين بنى عبد الدار وبنى أعمامهم : قال ابن إسحاق : ثم إن قصى بن كلاب هلك ، فأقام أمرَه فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده ، فاختطوا مكة رِباعا — بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها فى قومهم ، وفى غيرهم: من حلفائهم ويبيعونها . فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى : عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم ؛

يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبدالدار ، يرون أن لاينزع منهم ماكان قصى جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف : عبد شمس بن عبدمناف، وذلك أنه كان أسن بنى عبدمناف.

وكان صاحب أمر بنى عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

حلفاء بنى عبد الدار وحلفاء بنى أعمامهم : فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بنى عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب ، مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بل بحر صوفة.

فأخرج بنو عبد مناف جَفنة مملوءة طيبا ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف [١] ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسموا المطيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا ، على أن لايتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا الأحلاف .

تقسيم القبائل في هذه الحرب : ثم سوند[٢] بين القبائل ، ولز[٣] بعضها ببعض ، فعبيت

(١) وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه ، فقال : هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتوأمة أبيه .

(٢) سوند : من السناد ، وهى المقابلة فى الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرف الروى حرف مد ولين ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرف الروى حرف لين ، وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها .

(٣) لز : شد .

بنو عبد مناف لبنى سهم ، وعبيت بنو أسد لبنى عبد الدار، وعبيت زهرة لبنى جمح ، وعبيت بنو تيم لبنى مخزوم ، وعبيت بنو الحارث بن فهر لبنى عدى بن كعب . ثم قالوا : لتفن كل قبيلة من أسند إليها .

تصالح القبائل : فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا . فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « ما كان من حلف فى الجاهلية ، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة » .

حلف الفضول

سبب تسميته : قال ابن هشام : وأما حلف الفضول(١) فحدثنى زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن

---

(١) ذكر ابن قتيبة سبب تسمية هذا الحلف ، فقال : كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الأول ، فتحالف منهم ثلاثة هم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فضالة ، والثانى : الفضل بن وداعة ، والثالث : فضيل بن الحارث . هذا قول القتبى . وقال الزبير : الفضيل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة ، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمى : حلف الفضول ، والفضول : جمع فضل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن .

ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر ، قالا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به فى الإسلام لأجبت . تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يعز ظالم مظلوماً » . ورواه فى مسند الحارث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمى ، فقد بين هذا الحديث : لم سمى حلف الفضول .

وكان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار كانت فى شعبان ، وكان حلف =

جُـدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، لشرفه وسنه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبدالعُزَّى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم ابن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمة حتى ترد عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر ابن قُنفذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

= الفضول فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة .

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به ، وأشرفه فى العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصى بن وائل ، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف : عبد الدار ومخزوماً وجمَح وسَهْماً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى بن وائل ، وزَبَرُوه ، أى : انتهروه ، فلما رأى الزبيدى الشر ، أوفى على أبى قُبَيْس عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحِجر والحَجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغُدَر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزُهرة وتَيم بن مرة فى دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : ليكونُن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدَّى إليه حقه ما بلَّ بحر صوفة ، وما رسا حراء وثبير مكانهما ، وعلى التأسى فى المعاش ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ، ثم مشوا إلى العاصى ابن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدى ، فدفعوها إليه .

« لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان (١) حلفا ، ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أُدعى به فى الإسلام لأجبت » .

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهادى الليثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى حدثه : أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان — والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمّره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان — منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه — لسلطانه — فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لآخذن سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

خروج بنى عبد شمس وبنى نوفل من الحلف : قال ابن إسحاق وحدثنى : يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : قدم محمد بن

---

(١) وعبد الله بن جدعان هذا تيمى هو : ابن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة — رضى الله عنها — ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل يوما : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » أخرجه مسلم .

قال ابن قتيبة : وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبى ، فغرق فيها ، ومدحه أمية بن أبى الصلت فقال :

له داع بمكة مُشْمَعِلٌّ ... وآخر فوق كعبتها ينادى

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها ... لُباب البر يُلْبك بالشهاد

جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ـ وكان محمد بن جُبير أعلم قريش ـ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال: صدقت .

هاشم يتولى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : فولى الرفادة والسقاية : هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة . وكان مقلا ذا ولد ، وكان هاشم موسرا فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحج ، قام فى قريش فقال : « يامعشر قريش ، إنكم جيران الله، وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة : ضيفه ، فاجمعوا لهم ماتصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لابد لهم من الإقامة بها ؛ فإنه ـ والله ـ لوكان مالى يسع لذلك ما كلفتكموه » فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم ، كل امرىء بقدر ماعنده ، فيُصنع به للحجاج طعامٌ ، حتى يصدروا منها .

أفضال هاشم على قومه : وكان هاشم ـ فيما يزعمون ـ أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمراً ، فما سمى هاشما إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه[1]، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب[2]:

---

(١) سمى هاشماً لهشمه الثريد لقومه ، والمعروف فى اللغة أن يقال : ثردتُ الخبز ، فهو ثريد ومثرود ، فلم يُسَمَّ : ثارداً ، وسُمى هاشماً ، وكان القياس — كما لا يسمى الثريد هشيما ، بل يقال فيه : — ثريد ومثرود — أن يقال فى اسم الفاعل أيضا كذلك ، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان . ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاج بقريش ، فيرفدونه بأموالهم ، ويعينونه ، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله ، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقا ، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشماً ، ودقه دقاً ، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريد ، فبذلك سمى هاشما ، لأن الكعك اليابس لا يثرد ، وإنما يهشم هشماً .

(٢) هو ابن الزبَعْرى وسبب هذا المدح ، وهو سهمى ـ أى من بنى سعد بن سهم . لبنى عبد =

عمرو الذى هشَم الثريد لقومه   قوم بمكة   مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما   سفر الشتاء ، ورحلة الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

قوم بمكة مسنتين عجاف

المطلب يلى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفضل ، وكانت قريش إنما تسميه : الفيض ؛ لسماحته وفضله .

زواج هاشم بن عبد مناف : وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة ، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار [1]، وكانت قبله عند أُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش [2] . قال ابن هشام : ويقال : الحَريس بن جَحجَبى بن كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أحيحة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلا فارقته .

= مناف — فيما ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس — أنه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه فى أستار الكعبة ، أوله :

ألهَى قُصَيّاً عن المجد الأساطيرُ   ومِشية مثل ما تمشى الشقارير

فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم ، فضربوه وحلقوا شعره ، وربطوه إلى صخرة بالحجون ، فاستغاث قومه فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ، وبأشعار كثيرة .

(١) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه فى ركب من قريش : مرحباً بابن أختنا ، لأن سلمى من الخزرج ، وهم من اليمن من سبأ ، وسيف من حمير بن سبأ .

(٢) قال الدارقطنى عن الزبير بن أبى بكر : إن كل ما فى الأنصار فهو : حريس بالسين غير معجمة إلا هذا .

سبب تسمية عبد المطلب باسمه : فولدت لهاشم : عبد المطلب ، فسمته شيبة ، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً (١) أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه ، فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ، فقال لها المطلب : إنى غير منصرف حتى أخرج به معى ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا ؛ نلى كثيراً من أمرهم ، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة فى غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبة لعمه المطلب ـ فيما يزعمون ـ لست بمفارقها إلا أن تأذن لى ، فأذنت له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مردفه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبد المطلب ابتاعه ، فبها سمى شيبة : عبد المطلب . فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمت به من المدينة .

وفاة المطلب : ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ظمىء الحجيج بعد المطلب بعد الجفان والشراب المنثغب

ليت قريشا بعده على نصب

مطرود يبكي المطلب وبنى عبد مناف : وقال مطرود بن كعب الخزاعى ، يبكى المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هلكا :

يا ليلة هيجت ليلاتى إحدى ليالىَّ القسيِّات (٢)

وما أقاسى من هموم ، وما عالجت من رزء المنيات

إذا تذكرت أخى نوفلا ذكرنى بالأوَّليات

ذكرنى بالأزْرِ الحمر والـ أردية الصفر القشيبات

أربعة كلهم سيد أبناء سادات لسادات

(١) الوصيف : الغلام دون المراهقة .

(٢) القسيات : فعيلات من القسوة : أى : لا لين عندهن ، ولا رأفة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القَسِى ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم القسى : إنه أعجمى معرب ، وقيل : هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف ، والزائف أصلب منه . ونصب ليلة على التمييز .

ميت بردمان وميت بسلـ مان وميت بين غزات(١)
وميت أسكن لحداً لدى الـ محجوب شرقى البنيَّات(٢)
أخلصهم عبد مناف فهم من لوم من لام بمنجاة
إن المغيرات وأبناءها من خير أحياء وأموات(٣)

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف : المغيرة ، وكان أول بنى عبد مناف هُلكا : هاشم ، بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب بردمان من أرض اليمن ، ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق .

شعر آخر لمطرود : فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ لقد قلت فأحسنت ، ولو كان أفحل عما قلت كان أحسن ، فقال : أنظرونى ليالىَ ، فمكث أياما ، ثم قال :

ياعين جودى ، وأذرى الدمع وانهمرى وابكى على السر من كعب المُغيرات
ياعين ، واسحَنفِرى بالدمع واحتفلى وابكى خبيئة نفسى فى الملمات(٤)
وابكى على كل فياض أخى ثقة ضخم الدَّسيعة وهاب الجزيلات(٥)
محض الضريبة ، عالى الهم ، مختلق جلد النحيزة ، ناء بالعظيمات(٦)

---

(١) بغزات . هى : غزة ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غزات فى غزة ، ويقولون فى بغدان : بغادين ، كما قال بعض المحدثين :

شربنا فى بغادين على تلك الميادين

(٢) البَنِيـات يعنى : البنية ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما تقدم فى غزات .

(٣) المغيرات : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة فى بنى المنذر ، والأشعرون فى بنى أشعر بن أُدَد .

(٤) اسحنفرى : أديمى .

(٥) ضخم الدسيعة : كثير العطاء .

(٦) الضريبة : الطبيعة أى عظيم الخلق . ناء بالعظيمات . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل ، كما هو فى جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فالع ، والياء التى بعد الهمزة هى : عين الفعل فى جاء يجىء .

صعب البديهة لا نكس ولا وكل ماضى العزيمة ، متلاف الكريمات[1]
صقر توسط من كعب إذا نسبوا بحبوحة المجد والشم الرفيعات
ثم اندبى الفيض والفياض مطلبا استخرطى بعد فيضات بجمات[2]
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا يالهف نفسى عليه بين أموات
وابكى ـ لك الويل ـ إما كنت باكية لعبد شمس بشرق الثنيات
وهاشم فى ضريح وسط بلقعة تسفى الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصتى أمسى بسلمان فى رمس بموماة[3]
لم ألق مثلهم عجما ولا عربا إذا استقلت بهم أدم المطيات[4]
أمست ديارهم منهم معطلة وقد يكونون زينا فى السريات[5]
أفناهم الدهر ، أم كلت سيوفهم أم كل من عاش أزواد المنيات
أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم بسط الوجوه وإلقاء التحيات
ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات يبكينه حسرا مثل البليات[6]

---

(١) النكس : الدنىء (٢) استخرطى : استكثرى (٣) الموماة : القفر

(٤) الأدم : الإبل الكرام (٥) السريات : جمع سرية . الجماعة من الجيش

(٦) شدد الياء من الشجيات ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله :

أيا ويح الشجى من الخلى وويح الدمع من إحدى بلى

واحتج بقول يعقوب فى ذلك ، فقال له الطائى : ومن أفصح عندك : ابن الجرمقانية يعقوب ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى من الخلى فإنه وصب الفؤاد بشجوه مغموم

وبيت مطرود أقوى فى الحجة من بيت أبى الأسود الدؤلى ، لأنه جاهلى محكك ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من التوليد ، ولا يمتنع فى القياس أيضا أن يقال : شجى وشج ، لأنه فى معنى : حزن وحزين ، وقد قيل : من شدد الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول . والبليات مفردها البلية : الناقة التى كانت تعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت جوعا وعطشا .

يبكين أكرم من يمشى على قدم ... يُعْوِلنه بدموع بعد عبرات
يبكين شخصاً طويل الباع ذا فَجَر ... آبى المضيمة ، فراج الجليلات[1]
يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه ... سمح السجية ، بسام العشيات[2]
يبكينه مستكينات على حَزَن ... ياطول ذلك من حزن وعولات
يبكين لما جلاهن الزمان له ... خضر الخدود كأمثال الحِسيات[3]
محتزمات على أوساطهن لما ... جر الزمان من أحداث المصيبات
أبيت ليلى أراعى النجم من ألم ... أبكى ، وتبكى معى شجوى بسُنيّاتى
ماقى القروم لهم عدل ولا خطر ... ولا لمن تركوا شَرْوى بقيات

= ويقولون : إنه يحشر راكبا عليها ، ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ، ومنهم زهير ، فإنه قال :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيُدَّخَرْ ... ليوم الحساب ، أو يُعجل فَيَنْتَقم

وقال الشاعر فى البلية :

والبلايا رءوسها فى الولايا ... مانحات السَّموم حُرَّ الخُدود

والولايا : هى البراذع ، وكانوا يثقبون البرذعة ، فيجعلونها فى عنق البلية ، وهى معقولة ، حتى تموت ، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا :

لا تتركن أباك يحشر مرة ... عَدْوا يخر على اليدين ، وينكب

(١) الفجر : الجود ، شبه بانفجار الماء . ويروى ذا فَنَع ، والفنع : كثرة المال .

(٢) بَسَّام العشيات : يعنى : أنه يضحك للأضياف ، ويبسم عند لقائهم ، كما قال الآخر ، وهو حاتم الطائى :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى ، والمَحَلُّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يَكثُر القِرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

(٣) كأمثال الحسيات . أى : محترقات الأكباد كالبقر أو الظباء التى حميت الماء وهى عاطشة ، لحسية بمعنى محمية . لكنها جاءت بالتاء ، لأنها أجريت مجرى الأسماء كالرمية والضحية والطريدة .

أبناؤهم خير أبناء ، وأنفسهم خير النفوس لدى جهد الأليات
كم وهبوا من طِمِرّ سابح أرن ومن طِمِرّة نهب فى طمرات[١]
ومن سيوف من الهندى مُخلَصة ومن رماح كأشطان الركيات[٢]
ومن توابع مما يُفضلون بها عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معى لم أقض أفعالهم تلك الهنيات
هم المدلون إما معشر فخروا عند الفخار بأنساب نقيات
زين البيوت التى حلُّوا مساكنها فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقا مدامعها : لا يُبعد الله أصحاب الرزيات

قال ابن هشام : الفَجَر: العطاء . قال أبو خراش الهذلى :

عَجَّف أضيافى جميل بن معمر بذى فَجَر تأوى إليه الأرامل

قال ابن إسحاق : أبو الشَّعث الشجيَّات : هاشم بن عبد مناف .

عبد المطلب يلي السقاية والرفادة : قال : ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر إذ أُتى ، فأمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتدىء به عبد المطلب من حفرها ، كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مَرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زُرَير الغافقى : أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها ، قال :

قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر بَرّة . قال : فقلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ،

(١) الطمر : الفرس الخفيف السريع . (٢) أشطان الركيَّات : حبال الآبار .

فجاءنى فقال : احفر المضنونة . قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تنزف أبداً ولا تذم ، (١) تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل (٢)

---

(١) لا تنزف أبدا : وهذا برهان عظيم ، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله ، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين ، أقوها وأكثرها ماء : من ناحية الحجر الأسود ، وذكر هذا الحديث الدارقطنى .

وقوله : ولا تذم ، فيه نظر ، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ، ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ، ولتضلع منه كل من يشربه ، وقد ورد فى الحديث أنه لا يتضلع منها منافق ، فماؤها إذاً مذموم عندهم ، وقد كان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يذمها ، ويسميها : أم جعلان ، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم ، ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله ـ عز وجل ـ وقلة حياء منه ، وهو الذى يُعلن ويفصح بلعن على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ على المنبر ، وإنما ذكرنا هذا ، أنها قد ذمت ، فقوله إذاً : لا تذم ، من قول العرب : بئر ذَمَّة أى : قليلة الماء ، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة : كما تقول : أجبنتُ الرجل : إذا وجدته جبانا ، وأكذبته إذا وجدته كاذبا ، وفى التنزيل : « فإنهم لا يكذّبونك» وقد فسر أبو عبيد فى غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة : وأنشد :

مُخَيَّسَةً خُزْراً كأن عيونها ذمام الرَّكايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله : ولا تذم ؛ لأنه نفى مطلق ، وخبر صادق ـ والله أعلم ـ

(٢) فسميت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام وقيل له : احتفر بَرَّة ، وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفر المضنونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق ، وروى الدارقطنى ما يقوى ذلك مسنداً عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « من شرب من زمزم فليتضلع ، فإنه فرق ما بيننا

قريش تنازع عبد المطلب فى زمزم : قال ابن إسحاق : فلما بُين له شأنها ، ودُل على موضعها ، وعرف أنه قد صُدِق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطى ، كبر .

التحاكم في بئر زمزم : فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه ، فقالوا : ياعبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها . قال : ماأنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سعد

= وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتضلعوا منها ، أو كما قال . وفى تسميتها بالمضنونة رواية أخرى ، رواها الزبير : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضنت بها على الناس إلا عليك أما الفرث والدم ، فإن ماءها طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم ، وهى لما شربت له، وقد تقوّت من مائها أبو ذر — رضى الله عنه — ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمن حتى تكسرت عكنه .

أما الغراب الأعصم، قال القتبى: الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض فالغراب فى التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان ، فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن ، وسقيا أهل الإيمان ، وذلك عندما يرفع القرآن ، وتحيا عبادة الأوثان، وفى الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ليخربن الكعبة ذو السُّوَيْقتَيْن من الحبشة » وفى الصحيح أيضا من صفته : أنه « أفْحَجُ » ، وهذا أيضاً ينظر إلى كون الغراب أعصم ؛ إذ الفحج : تباعد فى الرِّجلين ، كما أن العَصَم اختلاف فيهما، والاختلاف : تباعد .

وأما قرية النمل ، ففيها من المشاكلة أيضا ، والمناسبة : أن زمزم هى عين مكة التى يردُها الحجيج والعمار من كل جانب ، فيحملون إليها البر والشعير ، وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرع ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع » . إلى قوله : « وارزقهم من الثمرات»وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال الله سبحانه :« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان » .

هذيم ، قال . نعم قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر . قال : والأرض إذ ذاك مفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم ، ومايتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماترون ؟ قالوا مارأينا إلاتبع لرأيك فرنا بماشئت ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بمابكم الآن من القوة ـ فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه ـ حتى يكون آخركم رجلا واحداً،فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا قالوا : نعم ماأمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب فى الأرض ، ولانبتغى لأنفسنا ، لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا . ثم قالوا : قد ـ والله ـ قضى لك علينا ياعبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الرِّوىِّ غير الكدر يسقى حجيج الله فى كل مَبَرّ[1]

ليس يخاف منه شىء ما عَمَر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلموا أنى قد أمرت أن أحفر لكم

---

(١) وقوله : ماء روى بالكسر والقصر ، ورَوَاء بالفتح والمد . وفيه : مَبَر :هو مفعل من البر ، يريد : فى مناسك الحج ومواضع الطاعة .

زمزم ؟ فقالوا : فهل يُبين لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقا من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم ، لا تنزف أبداً ولا تذم ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسم ، ينذر فيها ناذر لمُنعِم ، تكون ميراثا وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذى قبله ، من حديث علىّ فى حفر زمزم من قوله : « لا تنزف أبداً ولا تذم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

عبد المطلب يحفر زمزم : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جده ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذد عنى حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطى ، فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلعيّة وأدراعا فقالت له قريش : يا عبد المطلب ، لنا معك فى هذا شرك وحق ، قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نصَف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له . قالوا : أنصفت ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل ـ وهبل : صنم فى جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أعْلُ هبل أى : أظهر دينك ـ وقام عبد المطلب

يدعو الله عز وجل فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان فى الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون - ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة[1] ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق ، قال :

عبد شمس يحفر الطوي : حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

هاشم يحفر بذر : وحفر هاشم بن عبد مناف بذّر[2] ، وهى البئر التى عند المستنذر ، خطم الخندمة على فم شعب أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنها بلاغا للناس قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفت مكانها جرابا وملكوما وبذر والغمرا

---

(١) ذكروا أن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم ، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها : بئر ميمون الحضرمى ، وكان ينبذ لهم الزبيب .
ثم احتفر قصى العَجُولَ فى دار أم هانىء بنت أبى طالب ، وهى أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا ، فقالوا :

نُروى على العجول ، ثم ننطلق إن قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى ، وبعد موته ، حتى كبر عبدمناف بن قصى ، فسقط فيها رجل من بنى جُعَيْل ، فعطلوا العجول ، واندفنت . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج١ ص١٧٢

(٢) لفظ بذّر مأخوذ من التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد .

سجلة والاختلاف فيمن حفرها : قال ابن إسحاق وحفر سجلة ، وهي بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التي يسقون عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا بها عن تلك الآبار (١) .

أمية بن عبد شمس يحفر الحفر : وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه .

بنو أسد تحفر سقية : وحفرت بنو أسد بن عبد العزى : سقية ، وهي بئر بنى أسد . (٢)

بنو عبد الدار تحفر أم أحراد : وحفرت بنو عبد الدار : أم أحراد (٣) .

---

(١) ويقال أن قصى هو الذي حفرها وقال في ذلك :

أنا قصى ، وحفرت سجله   تروى الحجيج زغلة فزغلة

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سجله   تروى الحجيج زغلة فزغله

(٢) وهذه البئر تسمى أيضا شفية بئر بنى أسد ، فقال فيها الحويرث بن أسد :

ماء شفية كماء المزن   وليس ماؤها بطرق أجن

(٣) وأما أم أحراد ، فأحراد : جمع : حرد ، وهي قطعة من السنام ، فكأنها سميت بهذا ، لأنها تنبت الشحم ، أو تسمن الإبل ، أو نحو هذا والحرد : القطا الواردة للماء ، فكأنها ترِدها القطا والطير ، فيكون أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا . وقالت أمية بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد   ليست كبذر البرور الجاد

فأجابتها ضرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفرنا بذر   نسق الحجيج الأكبر

من مقبل ومدبر   وأم أحراد شر

بنو جمح تحفر السنبلة : وحفرت بنو جمح : السنبلة ، وهى بئر خلف بن وهب .(١)

بنو سهم تحفر الغمر : وحفرت بنو سهم : الغَمْر ، وهى بئر بنى سهم .(٢)

أصحاب رم وخم والحفرة : وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب ، وكلاب بن مرة ، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون ، وهى رم(٣) ، ورم : بئر مرة بن كعب بن لؤى . وخُسم،(٤) وخم . بئر بنى كلاب ابن مرة ، والحفر . قال حذيفه بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جهْم بن حذيفة :

وقِدما غنينا قبل ذلك حِقبة ولا نستقى إلا بخُم أو الحَفر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

---

(١) وأما سُنْبُلَة : بئر بنى جمح ، وهى بئر بنى خلف بن وهب ـ فقال فيها شاعرهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبله صوب سحاب ذو الجلال أنزله
ثم تركناها برأس القُنْبُلَهْ تصب ماء مثل ماء المعبله
نحن سقينا الناس قبل المسئله

(٢) وقال فيها بعضهم :

نحن حفرنا الغمر للحجيج تثج ماء أيما ثجيج

(٣) رم بئر بنى كلاب بن مرة ، فن رممت الشىء إذا جمعته وأصلحته ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمة ورُمة ، ومنه : الرمان فى قول سيبويه ، لأنه عنده فعلان ، وأما الأخفش فيقول فيه : فعال ، فيجعل فيه النون أصلية ، ويقول : إن سميت به رجلا صرفته . ومن قول عبد شمس بن قصى :

حفرت رُما ، وحفرت خما حتى ترى المجد بها قد تَمّا

(٤) وأما خُم وهى بئر مرة ، فهى من خممت البيت إذا كنسته ، ويقال : فلان مخموم القلب أى : نقيه ، فكأنها سميت بذلك لنقائها .

فضل زمزم على سائر المياه : قال ابن إسحاق : فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم : وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها ، وعلى سائر العرب ، فقال مسافر بن أبى عمرو(١) بن أمية بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم ، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل .

ورثنا المجد من آبا ... ئنا فنمى بنا صُعُدا
ألم نسق الحجيج وننـ ... ـحر الدلاقة الرُّفُدا(٢)
ونلقى عند تصريف الـ ... ـمنايا شُدَّدا رفدا(٣)
فإن نهلك ، فلم نملك ... ومن ذا خالدا أبدا
وزمزم فى أرومتنا ... ونفقأ عين من حسدا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

وساقى الحجيج ، ثم للخبز هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الفهرى
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت ... سقايته فخراً على كل ذى فخر

---

(١) واسم أبى عمرو : ذكوان ، وهو الذى يقول فيه أبو سفيان :

لَيْتَ شِعْرِى مسافر بن أبى عمـ ... ـرو ، ولَيْتٌ يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بو ... رك نضح الرمان والزيتون

فى شعر يرثيه به ، وكان مات من حب صَعْبَة بنت الحضرمى .

(٢) الرفد : جمع رفود من الرَّفد ، وهى التى تملأ إناءين عند الحلب .

(٣) هو جمع رفود أيضا من الرِّفد وهو : العون .

قال ابن هشام : يعنى عبد المطلب بن هاشم . وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم : لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ؛ لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة ، وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة .

قداح هبل السبعة : وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) ، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القداح ، فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : (منكم) وقدح فيه (ملصق) : وقدح فيه (من غيركم) وقدح فيه : (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُنكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب : فإن خرج عليه : (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج عليه : (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج عليه : (ملصق) كان على منزلته فيهم ، لا نسب له ، ولا حلف ، وإن خرج فيه شىء ، مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج : (لا) أخروه عامه وذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

عبد المطلب يحتكم إلى القداح : فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بنيّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نذر ، فأعطاه كلٌّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه ، وكان عبدالله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه(١) ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم .(٢)

خروج القداح على عبدالله : قال ابن إسحاق : وكان عبدالله ـ فيما يزعمون ـ أحب ولد عبد المطلب إليه ، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى . وهو أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أخذ صاحب القداح ـ القداح ـ ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبد الله .

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له : فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه : والله لاتذبحه أبداً ، حتى تُعذر فيه . لئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! .

---

(١) وهذا غير معروف ، ولعل الرواية : أصغر بنى أمه ، وإلا لحمزة كان أصغر من عبدالله ، والعباس : أصغر من حمزة ، وروى عن العباس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : أذكر مولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقلن لى : قبل أخاك ، قبل أخاك ، فقبلته . فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البكائى كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس .

(٢) والصحيح ماقاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمة ، لا ابنة عم ، فقد تكرر هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن اسحاق : عائذ بن عبد بن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد بن قصى ، وأم تخمر سلمى بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر .

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ـ وكان عبد الله ابن أخت القوم ـ: والله لا تذبحه أبداً، حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرافة(١) لها تابع، فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

ما أشارت به عرافة الحجاز: فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر. فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم، وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم. (٢)

تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله: فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل!! ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام

---

(١) اسمها: قطبة. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات. وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها: سَجاح.

(٢) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الإبل قبل هذه القصة: وأول من وُدِي بالمائة إذاً: عبد الله. وقد ذكر الأصبهاني عن أبي اليقظان أن أبا سَيَّارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل، وأما أول من ودي بالإبل من العرب: فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صعصعة.

عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله ،ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مائة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبدالله ، وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصَدّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها :قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبدالله ، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد [1] بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب

---

(١) ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النبوة ، ورجت أن تحمل بهذا النبي ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أما الحرام فالحمام دونه   والحل لا حِلّ فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه   يحمي الكريم عرضه ودينه ؟ !

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تكنى : أم قتال، وبهذه الكنية =

ابن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ؛ وهى عند الكعبة . فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبدالله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثل الإبل التى نحرت عنك ، وقع علىّ الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خلافه . ولا فراقه .

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب : فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ـ وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا ـ فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا .

أمهات آمنة : وهى لبَرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وبرة : لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عوَيج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

سبب زهد المرأة المتعرضة لعبد الله فيه : فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت على بالأمس ؟

=وقع ذكرها فى رواية يولس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مُر ، كانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إنى رأيت مُخيلَة لشأت فتلألأت بحناتم القطر
فلمأتها نوراً يضىء به ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سُقياها حيا بلد وَقَعَتْ به وعِمارة القفر
ورأيته شرفا أبوء به ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت منك الذى استلبتْ وما تدرى

وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل — وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن فى هذه الأمة نبى .

قصة حمل آمنة برسول الله (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار : أنه حُدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمر بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم مر بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت على ، ودخلت على آمنة فذهبتْ بها .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة فأصابها ، فحملت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه ـ صلى الله عليه وسلم .

ذكر ماقيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

رؤيا آمنة : ويزعمون ـ فيما يتحدث الناس والله أعلم ـ أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملتْ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سميه : محمداً[1]

---

(١) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله — صلى الله عليه وسلم — إلا ثلاثة طمع آباؤهم — حين سمعوا بذكر محمد — صلى الله عليه وسلم — وبقرب زمانه ، وأنه يبعث فى الحجاز — أن يكون ولدا لهم . ذكرهم ابن فَوْرَك فى كتاب الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر . والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حُمْران =

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى ، من أرض الشام .

وفاة عبد الله : ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هلك ، وأم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حامل به . (١)

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن إسحاق يحدد الميلاد : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد ابن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق قال : ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل . (٢)

= ابن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ؛ فأخبرهم بمبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمدا بعد حمد ، ولا يكون مفعَّل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

(١) أكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدّولابى وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبى خيثمة ، وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب ليستَار لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً .

(٢) ذكر أن مولده عليه السلام كان فى ربيع الأول ، وهو المعروف وقال الزبير : كان مولده فى رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به فى أيام التشريق، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم ، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغَفْر من المنازل، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين فى الأبد بين الزبانا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زُباناها ، ولا ضرر فى الزبانا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أليَته ، وهو السِّماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه .

وولد بالشِّعب ، وقيل بالدار التى عند الصفا ، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زُبيدة مسجداً حين حجت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة . قال :

ولدت أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة الأنصارى . قال:حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت ، قال : والله إنى لغلام يفَعَة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذا سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أُطُمَة بيثرب : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك مالك ؟ ! قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به .

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقلت ، ابن كم كان حسان بن ثابت مقْدَمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقدمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع ، وهو ابن سبع سنين .

إعلام جده بولادته وما فعله به : قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد ولد لك غلام ، فأته فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تسميه .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه،(١)

---

(١) فى غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوذه :

الحمد لله الذى أعطانى	هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان	أعيذه بالبيت ذى الأركان
حين يكون بُلْغَة الفتيان	حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذى شنآن	من حاسد مضطرب العِنان
ذى همة ليس له عينان	حتى أراه رافع اللسان
أنت الذى سميت فى القرآن	فى كتب ثابتة المثانى

أحمد مكتوب على البيان

ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرضعاء .(١)

قال ابن هشام : المراضع . وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام : « وحرمنا عليه المراضع »(٢) .

مرضعته حليمة: قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر . يقال لها : حليمة ابنة أبى ذؤيب .

نسب مرضعته: وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن

---

(١) وسبب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوه . أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج ، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة ـــ رضى الله عنها ـــ وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة ، فقال : « دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى آذيت بها رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل فى الأعراب ، فيكون أفصح لسانه ، وأجلد لجسمه ، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المَعَدّية كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا . وقد قال ـــ عليه السلام ـــ لأبى بكر ـــ رضى الله عنه ـــ حين قال له: ما رأيت أفصح منك يا رسول الله ، فقال : « وما يمنعنى ، وأنا من قريش ، وأرضعت فى بنى سعد ؟! » فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات .

وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضر بنا حب الوليد ؛ لأن الوليد كان لحّاناً ، وكان سليمان فصيحا ؛ لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية ، فتعربوا ، ثم أدبوا فتأدبوا . وكان من قريش أعراب ، ومنهم حضر ، فالأعراب منهم : بنو الأدرم وبنو محارب ، وأحسب بنى عامر بن لؤى كذلك ؛ لأنهم من أهل الظواهر ، وليسوا من أهل البطاح .

(٢) الذى قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المراضع جمع : مُرْضِع ، والرُّضَعَاءُ : جمع رضيع . ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين . أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعا ، يرضع معه ، فلا يبعد أن يقول : التمسوا له رضيعا ، علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع .

ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه ابن قيس بن عيلان .

زوج حليمة ونسبه : واسم أبيه الذى أرضعه — صلى الله عليه وسلم — الحارث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن مَلان بن ناصرة بن فصيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن[1].

قال ابن هشام ويقال : هلال بن ناصرة .

أولاد حليمة : قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُنَيْسة بنت الحارث ، وخذامة[2] بنت الحارث ، وهى الشَّيْمَاء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها إلا به . وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله — صلى ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَهْم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمحى ، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عمن حدثه عنه قال :

---

(١) لم يذكر له إسلاما ، ولا ذكره كثير ممن ألف فى الصحابة، وقد ذكره يونس بن بكير فى روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار ، عن رجال من بنى سعد بن بكر قال : قدم الحارث بن عبد العزى ، أبو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الرضاعة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش : ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من أطاعه ، فقد شتت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأتاه ، فقال : أى بنىّ مالك ولقومك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟ ! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى أعرّفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى ، فعرفنى ما قال ، لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة .

(٢) خذامة بكسر الخاء المنقوطة . وقال غيره : حُذَافَة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس فى روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر فى كتاب النساء .

حديث حليمة : كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي أرضعته [١] ، تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها ، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء ، لم تبق لنا شيئاً .قالت : فخرجت على أتان لي قَمْرَاء ، معنا شارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذّيه ـ قال ابن هشام:ويقال: يغذّيه [٢] ـ ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتاني تلك ، فلقد أدَمْتُ [٣] بالرَّكْب ، حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفا ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتأباه ، إذا قيل لها

(١) وأرضعته — عليه السلام — ثُوَيْبة قبل حليمة . أرضعته ، وعمه حمزة ، وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعرف ذلك لثويبة ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحداً منهم حيا . وثويبة كانت جارية لأبي لهب .

(٢) قول ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، أتم في المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهي يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يقنعه حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عذبته وأعذبته : إذا قطعته عن الشرب ونحوه ، والعَذُوب : الرافع رأسه عن الماء ، وجمعه : عُذوب بالضم ، ولا يعرف فَعُول جمع على فُعول غيره : قاله أبو عبيد والذي في الأصل أصح في المعنى والنقل .

(٣) أي أطلت عليهم المسافة ، وتروى أذمَمْتُ بالركب. تريد : أنها حبستهم ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، ويروى : حتى أذَمّتْ . أي : أذمت الأتان ، أي : جاءت بما تذم عليه ، أو يكون من قولهم : بئر ذَمَّة ، أي : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبي الوليد ، ولا في أصل الشيخ أبي بحر ، وقد ذكرها قاسم في الدلائل ، ولم يذكر رواية أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبي عبيدة : أذم بالركب: إذا أبطأ،حتى حبستهم : من البئر الذمّة ، وهي القليلة الماء .

إنه يتيم ، وذلك : أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، (١) فكنا نقول : يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم ، فلآخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أنى لم أجد غيره .

الخير الذى أصاب حليمة : قالت : فلما أخذته ، رجعت به إلى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن (٢) ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجى إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلب منها ما شرب ، وشربت معه حتى انتهينا رِيّاً وشبعا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلّمى والله يا حليمة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قالت : فقلت : والله إنى لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى ، وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لى . يا ابنة أبى ذؤيب ، ويحك ! اربعى علينا ، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهى هى، فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمى تروح علىّ حين قدمنابه معنا شباعا لُبّناً . فنحلب ونشرب . وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها فى ضرع . حتى كان الحاضرون من قومنا

---

(١) والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثل : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها ، وكان عند بعضهن لا بأس به ، فقد كانت حليمة وسيطة فى بنى سعد ، كريمة من كرائم قومها ، بدليل اختيار الله — تعالى — إياها لرضاع نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما اختار له أشرف البطون والأصلاب . والرضاع كالنسب ؛ لأنه يغير الطباع. وفى المسند عن عائشة — رضى الله عنها — ترفعه : « لا تسترضعوا الحمق ؛ فإن اللبن يورث » ، ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطرارا للأزمة التى أصابتهم والسنة الشهباء التى اقتحمتهم .

(٢) وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدى الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر — عليه السلام — أن معه شريكا فى لبانها ، وكان مفطورا على العدل، مجبولا على المشاركة والفضل — صلى الله عليه وسلم .

يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لُبَّناً ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفراً.

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة : قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شىء على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، وقلت لها : لو تركت بُنَىَّ عندى حتى يغلظ ، فإنى أخشى عليه وبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا .

حديث الملكين اللذين شقا بطنه : قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفى بَهْم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه(١) ، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما منتقعا وجهه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنى ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقا بطنى ، فالتمسا شيئاً لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خبائنا .

حليمة ترد محمدا (ص) إلى أمه : قالت : وقال لى أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظِئْرُ ، وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى علىّ ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقينى خبرك . قالت : فلم تدعنى حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من

---

(١) يقال : سطت اللبن أو الدم ، أو غيرهما . أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض . والمِسْوَطُ : عود يضرب به .

وفى رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكِيَّان ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجاً ، أو بَرَداً ، أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه ، وهو أطول من هذا .

سبيل ، وإن لبُنَيّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج منى نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقي راشدة .

الرسول يسأل عن نفسه وإجابته (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثني ثَور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي : أن نفراً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يا رسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام[1] ، واستُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر . فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بَهْماً لنا : إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاه فاستخرجا منه عَلَقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه[2] ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ،

---

(١) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم ، حتى ظهرت له البسر في نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو ، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام .

(٢) كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين :

الأولى : في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فوليا عني ، يعني : الملكين ، وكأني أعاين الأمر معاينة .

والثانية : في حال الاكتهال ، وبعد ما نُبِّيء ، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس ، وعرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة ، وليصلي بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة : الطهور ، فقدِّس ظاهراً وباطناً ، وغسل بماء زمزم .

ثم قال: زنه بمئة من أمته . فوزنتى بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتى بهم فوزنتهم. فقال :دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

رعيه (ص) للغنم وافتخاره بقرشيته : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم ، قيل : وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا »(١) .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

افتقاد حليمة له (ص) : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ـ والله أعلم ـ أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلّها فى الناس ، وهى مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إنى قد قدمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلنى ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

سبب آخر لرجوع حليمة به (ص) إلى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تنفلت به منهم . (٢)

---

(١) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت فى الصحيح أنه رعاها بمكة أيضا على قراريط لأهل مكة . ذكره البخارى .

(٢) وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ، فيما ذكر أبو عمر ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزويجه خديجة ـ رضى الله عنها ـ جاءته تشكو إليه السنة ، وأن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات ، والمرة الثانية : يوم حنين وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة أمه (ص) : قال ابن إسحاق. وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتا حسنا ، لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ست سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

عمر رسول الله (ص) حين وفاة أمه : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنة توفيت ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت ، وهى راجعة به إلى مكة [1] .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سلمى بنت عمرو النجارية ، فهذه الخئولة التى ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم .

---

(١) قال القرطبي فى تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب فى كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ له فى الحديث بإسناديهما عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : حج بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع ؛ فمر على قبر أمه ، وهو باك حزين مغتم ، فبكيت لبكائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم إنه نزل فقال : يا حميراء استمسكى ، فاستندت إلى جنب البعير ، فمكث عنى طويلا مليا ، ثم إنه عاد إلىّ ، وهو فرح متبسم ، فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مغتم ؛ فبكيت لبكائك ، ثم عدت إلى ، وأنت فرح مبتسم ، فمِمَّ ذا يا رسول الله ، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمى ، فسألت أن يحييها ، فأحياها فآمنت بى ؛ أو قال : فآمنت . وردها الله عز وجل .

إجلال عبد المطلب له (ص) : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له ، قال : فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتى ، وهو غلام جفر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب ـ إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابنى ، فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

وفاة عبد المطلب وما رثى به من الشعر

فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفى ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن ثمانى سنين .

عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه : قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن سعيد بن المسيب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكن ست نسوة : صفية ، وبَرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأرْوَى ، فقال لهن : ابكين علىّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب ؛ كتبناه :

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها : فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أرِقتُ لصوت نائحة بليل ... على رجل بقارعة الصّعيد
ففاضت عند ذلكمُ دموعى ... على خدى كمنحدر الفريدِ[1]

---

(١) يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد ، وعلى رواية الفتح شبهته الفيض بالانحدار .

على رجل كريم غير وَغْل … له الفضل المُبين على العبيد
على الفياض شَيْبَةَ ذى المعالى … أبيك الخير وارث كل جود (١)
صدوق فى المواطن غير نِكْس … ولا شَخْت المقام ولا سنيد (٢)
طويل الباع ، أروع شَيظَمِىّ … مطاع فى عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذى فُضول … وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وُصُوم … يروق على المُسوّد والمَسود
عظيم الحلم من نفر كرام … خضارمة ملاوثة أسود (٣)
فلو خَلَدَ امرؤ لقديم مجد … ولكن لا سبيل إلى الخلود
لكان مخَلَّداً أخرى الليالى … لفضل المجد والحسب التليد

رثاء برة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أعَيْنَىّ جودا بدمع دِرر … على طيِّب الخِيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد … جميل المُحَيّا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرُمات … وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفصل فى النائبات … كثير المكارم ، جَمّ الفَجَر
له فضل مجد على قومه … منير ، يلوح كضوء القمر
أتته المنايا ، فلم تُشْوِه … بصرف الليالى ، وريب القدر (٤)

(١) قولها : أبيك الخيْر . أرادت : الخيِّر فخففت ، كما يقال : هيْن وهيِّن ، وفى التنزيل : « خيرات حسان » .

(٢) الشخت : ضد الضخم ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضخم المقام ظاهره . والسنيد : الضعيف الذى لا يستقل بنفسه ، حتى يسند رأيه إلى غيره .

(٣) : ملاوثة : جمع ملواث من اللوثة ، وهى القوة ، كما قال المُكَعْبَر :

عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

وقد قيل : إن اسم الليث منه أخذ ، إلا ان واوه انقلبت ياء ؛ لأنه فيعل ، فخفف .

(٤) لم تشوه : أى : لم تصب الشوى ، بل أصابت المقتل ، وقد تقدم فى حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله ، وكان يرى أن السهم إذا خرج على غيره أنه قد أشوى ، =

رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أعَيْنَىَّ جودا ، ولا تبخلا بدمعكما بعد نوم النيام
أعينى واسْحَنْفِرَا واسكبا وشوبا بكاء كما بالتدام
أعينى ، واستخرطا واسجُما على رجل غير نِكْس كَهام
على الجحفل الغَمر فى النائبات كريم المساعى ، وفىّ الذمام (١)
على شيبة الحمد ، وارى الزناد وذى مَصْدق بعدُ ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة ومُرْدى المخاصم عند الخصام (٢)
وسهل الخليقة طلق اليدين وَف عِدْمُلِىّ صميم لُهَام (٣)
تَبَنَّكَ فى باذخ بيته رفيعُ الذؤابة صعب المرام

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها :

ألا يا عين جودى واستهلى وبَكّى ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين ويحك أسعفينى بدمع من دموع هاطلات
وبكى خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات

= أى : قد أخطأ مقتله ، أى : مقتل عبد المطلب وابنه ، ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك فالأول من الشوى ، وهذا من الشى بالنار ، قاله أبو حنيفة .

(١) : على الجحفل . جعلته كالجحفل ، أى : يقوم وحده مقامه ، والجحفل : لفظ منحوت من أصلين ، من : جحف وجفل ، وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أى : يقشره ، ويجفل : أى يقلع ونظيره نهشل الذئب ، هو عندهم منحوت من أصلين أيضا ، من نهشت اللحم ونشلته .

(٢) المردى : مُفْعَل من الردى ، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به ، وفى المثل : « كل ضب عنده مِرْدَاتُه » .

(٣) قولها : وَف . أى : وَفِىّ ، وخفف للضرورة ، وقولها : عِدْمُلِىّ . العدملى : الشديد . واللهام : فعال من لهمت الشىء ألهمه : إذا ابتلعته ، قال الراجز :

كالحوت لا يرويه شىء يلهمه يصبح عطشاناً وفى البحر فمه

ومنه سمى الجيش : لُهاماً .

طويل الباع شيبة ذا المعالى ... كريم الخِيمِ محمود الهبات
وَصولا للقرابة هِبْرِزِيّاً ... وغيثا فى السنين الممحلات
وليثا حين تشتجر العوالى ... تروق له عيون الناظرات
عقيل بنى كنانة والمُرَجَّى ... إذا ما الدهر أقبل بالهنات
ومَفْزَعَها إذا ما هاج هيج ... بداهية ، وخَصم المعضلات
فبكيه ولا تَسَمِى بحزن ... وبكى ، ما بَقيتِ ، الباكيات

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

ألا هلك الراعى العشيرة ذو الفَقْد ... وساقى الحجيج ، والمحامى عن المجد
ومن يُؤْلف الضيف الغريب بيوته ... إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليداً خير ما يكسب الفتى ... فلم تَنْفكك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض ، خلى مكانه ... فلا تبعدن ، فكل حى إلى بُعد
فإنى لَباكٍ - ما بقيت - ومُوجَع ... وكان له أهلا لما كان من وجدى
سقاك وَلِىُّ الناس فى القبر ممطراً ... فسوف أُبكّيه ، وإن كان فى اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها ... وكان حميداً حيث ما كان من حمد

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكى أباها :

بكت عينى ، وحق لها البكاء ... على سَمح ، سجيته الحياء
على سهل الخليقة أبطحى ... كريم الخِيم ، نيته العَلاءُ
على الفياض شيبة ذى المعالى ... أبيك الخير ليس له كِفاء
طويل الباع أملس ، شَيْظَمِىّ ... أغر كأن غرته ضياء
أقَبّ الكشح ، أروع ذى فضول ... له المجد المقدم والسناء
أبىّ الضيم ، أبلج هِبْرِزِىّ ... قديم المجد ليس له خفاء
ومَعقل مالك ، وربيع فهر ... وفاصلها إذا التمس القضاء (١)

(١) : ومَعْقِل مالك وربيع فهر . تريد : بنى مالك بن النضر بن كنانة .

وكان هو الفتى كرما وجوداً ... وبأسًا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى ... كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قُدُما بذى رُبَد خَشيب ... عليه — حين تبصره — البهاء (١)

إعجاب عبد المطلب بالرثاء : قال ابن إسحاق : فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيِّب أنه أشار برأسه ، وقد أصمت : أن هكذا فابكيننى .

نسب المسيب بن حزن : قال ابن هشام : المسيِّب بن حَزْن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال حذيفة (٢) بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى يبكى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قصى على قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العُزّى بن عبد المطلب ، فافتكه :

أعينىّ جودا بالدموع على الصدر ... ولا تسأما أُسْقيتُما سَبَل القَطر
وجودا بدمع ، واسفحا كل شارق ... بكاء امرىء لم يشْوِه نائب الدهر
وسُحَّا وجُمّا ، واسجما ما بقيتما ... على ذى حياء من قريش ، وذى سِتر

(١) قولها : بذى رُبَد . تريد : سيفاً ذا طرائق . والربد : الطرائق . وقال صخر الغَىّ :

وصارم اخلصت خشيته ... أبيض مَهْو فى متنه ربد

(٢) وهو والد أبى جَهْم بن حُذيفة ، واسم أبى جهم : عُبيد ، وهو الذى أهدى الخميصة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أُتى بخميصتين ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ، فلما نظر إلى علمها فى الصلاة أرسلها إلى أبى جهم ، وأخذ الأخرى بدلا منها ، هكذا رواه الزبير : وأم أبى جهم : يُسَيْرة بنت عبد الله بن أذاة ابن رياح ، وابن أذاة : هو خال أبى قحافة ، وسيأتى نسب أمه ، وقد قيل : إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة .

على رجل تَجلْد القُوى ، ذى حفيظة ... جميل المحيا غير نِكس ولا هذر(١)
على الماجد البهلول ذى الباع والنُّهى ... ربيع لؤى فى القحُوط وفى العسر
على خير حاف من معد وناعل ... كريم المساعى ، طيب الخِيم والنجر
وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا ... وأحظامُ بالمُكرمات وبالذكر
وأولاهمُ بالمجد والحلم والنهى ... وبالفضل عند المُجْحِفات من الغُبْر
على شَيْبة الحمد الذى كان وجهه ... يضىء سواد الليل كالقمر البدر
وساقى الحجيج ثم للخبز هاشم ... وعبد مناف ، ذلك السيد الفِهْرى
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت ... سقايته فخراً على كل ذى فخر
لِيَبْكِ عليه كل عان بكربة ... وآل قصى من مُقل وذى وَفْر
بنوه سَراة ، كهلهم وشبابهم ... تفلّق عنهم بيضةُ الطائر الصقر
قُصى الذى عادى كنانة كلها ... ورابط بيت الله فى العسر واليسر
فإن تك غالته المنايا وصرفها ... فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
وأبقى رجالا سادة غير عُزَّل ... مصاليتَ أمثال الرُّدَيْنِيَّة السمر
أبو عتبة الملقى إلىّ حباؤه ... أغر ، هِجان اللون من نفر غر
وحمزة مثل البدر ، يهتز للندى ... نقى الثياب والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة ... وصول لذى القربى رحيم بذى الصهر
كهولهم خير الكهول ، ونسلهم ... كنسل الملوك ، لا تبور ولا تحرى(٢)
متى ما تلاق منهم الدهر ناشئا ... تجده بإجْرِيَّا أوائله يجرى
هُمُ ملئوا البطحاء مجداً وعزة ... إذا استُبِق الخيرات فى سالف العصر
وفيهم بناة للعلا وعمارة ... وعبد مناف جدهم ، جابر الكسر

---

(١) النِّكسُ من السهام : الذى نُكس فى الكنانة ليميزه الرامى ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل : الذى انكسر أعلاه ، فنكس ورُد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمى .

(٢) لا تبور ولا تحْرى . أى : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأفعى : حارية لرقتها . وفى الحديث : ما زال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى : ينقص لحمه ، حتى مات .

بإنكاح عوف بنته ليجيرنا ... من اعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر
فسرنا تهامى البلاد ونجدها ... بأمنه حتى خاضت العير فى البحر
وهم حضروا والناس باد فريقهم ... وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو [١]
بنوها دياراً جَمّةً، وطَوَوا بها ... بئاراً تسح الماء من ثبج البحر
لكى يشرب الحجاج منها، وغيرهم ... إذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثة أيام تظل ركابهم ... مُخَيَّسة بين الأخاشب والحِجر
وقد ما غَنينا قبل ذلك حقبة ... ولا نستقى إلا بخُمّ أو الحفر
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه ... ويعفون عن قول السفاهة والهُجر
وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها ... وهم نكلوا عنا غواة بنى بكر
فخارج إما أهلكن، فلا تزل ... لهم شاكراً حتى تُغَيَّب فى القبر
ولا تنس ما أسدى ابن لبنى؛ فإنه ... قد اسدى يداً محقوقة منك بالشكر
وأنت ابن لبنى من قصى إذا انتموا ... بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
وأنت تناولت العلا، فجمعتها ... إلى محتد للمجد ذى ثبج جسر
سبقت وفت القوم بذلا ونائلا ... وسدت وليداً كل ذى سؤدد غَمْر
وأمك سر من خزاعة جوهر ... إذا حصل الأنساب يوماً ذوو الخبر
إلى سبأ الأبطال تُنْمَى، وتنتمى ... فأكرم بها منسوبة فى ذرا الزُّهر
أبو شمر منهم، وعمرو بن مالك ... وذو جَدَن من قومها وأبو الجبر [٢]
وأسعد قاد الناس عشرين حجة ... يؤيد فى تلك المواطن بالنصر [٣]

(١) يريد: بنى هاشم؛ لأن اسمه عمرو.
(٢) أبو شمر، وهو شمر الذى بنى سمرقند، وأبوه: مالك، يقال له: الأملوك. ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحارث بن أبى شمر.
وعمرو بن مالك الذى ذكر: أحسبه عمراً ذا الأذعار، وقد تقدم فى التبابعة، وهو من ملوك اليمن، وإنما جعلهم مفخراً لأبى لهب؛ لأن أمه خزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ.
وأبو جبر الذى ذكره فى هذا الشعر: ملك من ملوك اليمن، ذكر القتبى أن سمية أم زياد كانت لأبى جبر ملك من ملوك اليمن، دفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب فى طب طبه.
(٣) أسعد أبو حسان بن أسعد، وقد تقدم فى التبابعة.

قال ابن هشام : « أمك سر من خزاعة » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لبنى بنت هاجر الخزاعى . وقوله : « بإجشريـا أوائله » عن غير ابن إسحاق .

رثاء مطرود الخزاعى لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب وبنى عبد مناف :

يا أيها الرجل المُحَوِّل رحله	هلا سألت عن آل عبد مناف
هبلتك أمك ، لو حللت بدارهم	ضَمِنوك من جُرم ومن إقراف(١)
الخالطين غنيهم بفقيرهم	حتى يعود فقيرهم كالكافى
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحلة الإيلاف
والمنعمين إذا الرياح تناوحت	حتى تغيب الشمس فى الرَّجَّاف(٢)
إما هلكت أبا الفعال فما جرى	من فوق مثلك عِقد ذات نطاف (٣)
إلا أبيك أخى المكارم وحده	والفيض مُطَّلب أبى الأضياف(٤)

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليها بعده العباس

---

(١) أى : منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخواتك من لئيم ، فيكون الابن مقرفاً للؤم أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وصْم من ذلك ، ونحو منه قول مهلهل :

أنكحها فقدُها الأراقم فى جنب ، وكان الحباء من أدم

أى : أنكحت لغربتها من غير كفء .

(٢) يعنى : البحر لأنه يرجف . ومن أسمائه أيضاً : خضَارَة ، والدأماء وأبو خالد .

(٣) النطف : اللؤلؤ الصافى . ووصيفة منطفة أى : مقرطة بتوأمتين والنطف فى غير هذا : التلطخ بالعيب ، وكلاهما من أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النطفة هى الماء القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النطفة . والنطف الذى هو العيب : أخذ من نطفة الإنسان ، وهى ماؤه ، أى : كأنه لطخ بها .

(٤) والفيض مطلب أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مرة بن محكان :

أدعى أباهم ، ولم أقرف بأمهم وقد عَمِرْت ولم أعرف لهم نسبا

ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا(١) ، فلم تزل إليه ، حتى قام الإسلام وهى بيده . فأقرها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — له على ما مضى من ولايته ، فهى إلى آل العباس ، بولاية العباس إياها ، إلى اليوم .

كفالة أبى طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب ، وكان عبد المطلب — فيما يزعمون — يوصى به عمه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبا طالب أخوان لأب وأم . أمهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد جده ، فكان إليه ومعه .

اللهبى العائف : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلا من لهب — قال ابن هشام : ولهب : من أزد شنوءة (٢) — كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ، ويعتاف (٣) لهم فيهم . قال . فأتى به

---

(١) يقول السهيلى عما منعه النحويون أن يقال: زيد أفضل إخوته. وليس بممتنع ، وهو موجود فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسن ، لأن المعنى : زيد يفضل إخوته ، أو يفضل قومه ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة .

(٢) وقال غيره : وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن الأزد . وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر .

(٣) : يعتاف لهم : هو يفتعل من العيف . يقال : عفتُ الطير . واعتفتُها عيافة واعتيافاً : وعفت الطعام أعافه عَيْفاً . وعافت الطير الماءَ عيافاً .

أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . عليّ به ، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ! ردوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً ، فوالله ليكونن له شأن . قال: فانطلق أبو طالب .

قصة بحـــيرى

محمد (ص) يخرج مع عمه إلى الشام : قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير صَبَّ (١) به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يزعمون ـ فرقّ له ، وقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه . (٢)

بحيرى يحتفي بتجار قريش : فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له . بحيرَى (٣) في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون ـ يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ،

---

(١) الصبابة : رقة الشوق ، يقال : صَبِبْتُ — بكسر الباء — أصَب ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ : « أصب إليهن وأكن من الجاهلين » وفي غير رواية أبي بحر : ضبث به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أي : لزمه. قال الشاعر :

كأن فؤادي في يد ضَبَثَتْ به   مُحاذرة أن يَقضب الحبل قاضبه

(٢) كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف في السير ، وقال الطبري : ابن ثنتي عشرة سنة .

(٣) وقع في سير الزهري أن بحيرَى كان حبراً من يهود تيماء ، وفي المسعودي : أنه كان من عبد القيس . واسمه : سَرْجِس ، وفي المعارف لابن قتيبة ، قال : سُمِع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى ، ورباب بن البراء الشَّنِّيّ ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال القتبي : وكان قبر رباب الشني ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يرى عليها طَشّ ، والطش : المطر الضعيف .

حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك ـ فيما يزعمون ـ عن شيء رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصُنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إنى قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم ، فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ ! قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين القوم ، لحداثة سنه ، فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، فقال : يامعشر قريش ! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف فى رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضر هذا الطعام معكم . قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى ، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم .

بحيرى يتثبت من محمد (ص) : فلما رآه بحيرى ، جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، فقال : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك ، لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : سلنى عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم .(١)

بحيرى يوصى أبا طالب بمحمد (ص) : قال ابن إسحاق : فلما فرغ ، أقبل على عمه أبى طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فإنه ابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال: مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ما عرفت ليَبْغُنَّه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده .

بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد (ص) الشر : فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس: أن زُرَيْراً وتَمَّاما ودَريسا - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ، وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

محمد (ص) يشب على مكارم الأخلاق : فشب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، تنزها وتكرما ، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

رسول الله (ص) يحدث عن حفظ الله له . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما ذُكر لى يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

---

(١) يعنى : أثر المحجمة القابضة على اللحم ، حتى يكون ناتئاً . وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود . وفى صفته أيضا أنه كان كالتفاحة ، وكزر الحجلة . وفى حديث آخر : كان كبيضة الحمامة ، وفى حديث عَبَّاد بن عبد عمرو : قال ، رأيت خاتم النبوة ، وكان كركبة العنز .

لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمنى لاكم ما أراه ، لكمة وجيعة ثم قال : شد عليك إزارك . قال : فأخذته وشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى . [1]

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة — فيما حدثنى أبو عُبيدة النحوى ، عن أبى عمرو بن العلاء — هاجت حرب الفجار[2] بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قَيس عَيْلان .

---

(١) وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، وكان رسوله الله — صلى الله عليه وسلم — ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس رضى الله عنه : يا بن أخى ! لو جعلت إزارك على عاتقك ، ففعل فسقط منشياً عليه ، ثم قال : إزارى إزارى ! فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر : أنه لما سقط ، ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال : وإنه لأول ما نودى ، وحديث ابن إسحاق إن صح أنه كان فى حال صغره إذ كان يلعب مع الغلمان فحمله أن هذا الأمر كان مرتين ، مرة فى حال صغره ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) الفجار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجَرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمى : الفجار .

فجارات العرب : وكانت للعرب فجارات أربع ، ذكرها المسعودى ، آخرها : فجار البراض المذكور فى السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شَمْطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشَّرِب ، وهو أعظمها يوما ، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان =

سببها : وكان الذى هاجها أن عُروة الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن ، أجار لَطِيمة(١) النعمان بن المنذر ، فقال له البرّاض ابن قيس ، أحد بنى ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرحال ، وخرج البراض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذى طَلاَّل بالعالية ، غفل عروة ، فوثب عليه البراض ، فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى : الفِجَار . وقال البراض فى ذلك :

وداهية تهم الناس قبلى ... شددتُ لها ـ بنى بكر ـ ضلوعى
هدمت بها بيوت بنى كلاب ... وأرضعت الموالىَ بالضروع(٢)
رفعت له بذى طلاَّلَ كفى ... فخر يميد كالجذع الصريع(٣)

ـــــــــــــــ

= وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا ، فسموا : العنابس ، ويوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بنى نضر منهم ، فإنهم ثبتوا ، ولم يقاتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أعمامه ، وكان ينبل عليهم ، وقد كان بلغ سن القتال ؛ لأنها كانت حرب فجار ، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً ، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا .

(١) اللطيمة : عير تحمل البز والعطر .

(٢) الضروع . جمع ضرع ، هو فى معنى قولهم : لئيم راضع ، أى : ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورَضاع الضُّرُوع ، وأظهرت رذالتهم وهتكتُ بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم .

(٣) قول البراض: رفعت له بذى طَلاَّلَ كفى . فلم يصرفه ، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة ، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال ، أى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أى : صاحب هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذات هند (مثلا) ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق ، أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة . وأحسن من هذا كله أن يكون طلال اسماً مذكراً علماً ، والاسم العلم يجوز ترك صرفه فى الشعر كثيراً . ووقع فى شعر البراض مشدداً ، وفى شعر لبيد الذى بعد هذا مخففاً ؛ نقول : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم نقل : إنه شدد للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَال من الطَلّ ، كأنه موضع يكثر فيه الطل ، فطلال بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ، فإنا وجدناه فى الكلام المنثور مشدداً .

وقال لبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلغ - إن عرضت - بنى كلاب وعامر والخطوب لها موالى
وبلغ - إن عرضت - بنى نُمَيْر وأخوال القتيل بنى هلال
بأن الوافد الرَّحَّال أمسى مقيما عند تَيْمَن ذى طلال

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قتال هوازن لقريش : قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إن البرّاض قد قتل عروة ، وهم فى الشهر الحرام بعكاظ ، وهوازن لاتشعر ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعدهذا اليوم أياما ، والقوم متساندون ، على كل قَبِيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد القتال وهو صغير: وشهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : كنت أُنَبِّل على أعمامى ، أى : أرد عنهم نَبْل عدوهم ، إذا رمَوهم بها .

سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى هذه الحرب : قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفِجار ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن عشرين سنة .

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار : وإنما سمى يوم الفجار ، بما استحل هذان الحيان : كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم .

قائد قريش وكنانة : وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

قال ابن هشام : وحديث الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه قطْعُه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم[1] .

---

(١) وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد . وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره ، فضنّ به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين —

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سنه – صلى الله عليه وسلم – حين زواجه : قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خمساً وعشرين سنة(٢)، تزوج خديجة(٣) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم عن أبى عمرو المدنى .

خروجه (ص) إلى التجارة بمال خديجة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه ، بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تِجَاراً ، فلما بلغها عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما بلغها : من

= الصفين ينادى : يا معشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ؛ على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ، ونعفو عن دمائنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهناً منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضوا ورضيت كنانة . ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا ، فيهم : حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم ، عفَوْا من الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار ، وكان يقال : لم يسُدْ من قريش مُمْلِق إلا عتبة وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

(٢) وقيل كان سنه – صلى الله عليه وسلم – إحدى وعشرين سنه وقيل ثلاثين .

(٣) خديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة فى الجاهلية والإسلام ، وفى سير التيمى : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش . وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند هند بن زرارة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف ابن عتيق، وقال الزبير : ولدت لعتيق جارية اسمها : هند ، وولدت لهند : ابنا اسمه : هند أيضاً ، مات بالطاعون : طاعون البصرة ، ولخديجة من هند ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهر ، واسم الآخر : هالة .

صدق حديثه ، وعِظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

حديثه (ص) مع الراهب : فنزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان . فاطّلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي[1] .

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ، ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر ، يرى ملكين يُظلّانه من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه .

خديجة ترغب في الزواج منه (ص) : وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله

---

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ، ولم يرد : ما نزل تحتها قط إلا نبي ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قط ، فقد تكلم بها على جهة التوكيد ، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد ، حتى يجيء نبي ، إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت له فيما يزعمون : يا ابن عم ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ، وَسِطَتِك(١) فى قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

نسب خديجة رضى الله عنها : وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأمها :فاطمة بنت زائدة بن الأصم

---

(١) السِّطَةُ : من الوسط ، مصدر كالعِدة والزِّنة ، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أوسط القبيلة أعرفها ، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف ، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً فى النسب بهذا السبب . وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : « قال أوسطهم » وقوله : « وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » فكان هذا مدحا فى الشهادة ؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا كالميزان ، لايميل مع أحد ، بل يصمم على الحق تصميما ، لا يجذبه هوى ، ولايميل به رغبة ، ولا رهبة ، من هاهنا ، ولا من هاهنا ، فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل . وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوسطى : الفُضْلى ، وليس كذلك ، بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم ، كما يقتضى لفظ التوسط ، فإذا كان وسطاً فى السِّمَن ، فهى بين المُمِخَّةِ والعجفاء ، والوسط فى الجمال بين الحسناء والشَّوْهاء ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحاً ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أثقل من مُغَنٍّ وسط على الذم ؛ لأن المغنى إن كان جيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان بارداً جداً أضحك وألهى ، وذلك أيضاً مما يُمْتع . قال الجاحظ : وإنما الكرب الذى يجثُم على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس، الغناء الفاتر الوسط الذى لا يمتع بحسن ، ولا يضحك بلهو ، وإذا ثبت هذا فلايجوز أن يقال فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : أوسط الناس. أى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وسط فى العلم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة، كما تقدم والحمد لله، والله المحمود. عن الروض الأنف بتحقيقنا ج١ ص ٢١٢ — ٢١٣

ابن رَوَاحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر . وأم هالة : قِلابة بنت سُعَيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

الرسول (ص) يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه : فلما قالت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة(١) بن عبد المطلب ـ رحمه الله ـ حتى دخل على خويلد(٢) بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها .

صداق خديجة : قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرين بكْرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة : قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطيب(٣) ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

---

(١) ويقال : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً ممن لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسترَجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » .

(٢) وعن ابن عباس ، وعن عائشة ـ رضى الله عنهم كلهم ـ قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار .

(٣) الطاهر والطيب لقبان للقاسم ، سُمِّى بالطاهر والطيب ؛ لأنه ولد بعد النبوة ، واسمه الذى سمى به أوّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسم المشى ، غير أن رضاعته لم تكن كملت =

ترتيب ولادتهم : قال ابن هشام : أكبر بنيه : القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر فهلكوا فى الجاهلية .

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إبراهيم وأمه : قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : مارية القبطية . حدثنا عبد الله ابن وهب عن ابن لهيعة ، قال : أم إبراهيم : مارية سرية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كُورَة أنْصِنَا .

ورقة يتنبأ له (ص) بالنبوة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرته لورقة[1] بن نوفل بن أسد بن عبد العزى — وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب ، وعلم من علم الناس — ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلاّنه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى يُنتَظر ، هذا زمانه ، أو كما قال .

شعر لورقة : فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة فى ذلك :

لَجِجت وكنت فى الذكرى لجوجا ... لِهم طالما بعث النشيجا

= وقد وقع فى مسند الفريابى أن خديجة دخل عليها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهى تبكى : فقالت : يا رسول الله دَرّت لُبَيْنَة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوّن علىّ ، فقال : إن له مرضعا فى الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون علىّ ، فقال : إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله .

(١) وأم ورقة : هند بنت أبى كبير بن عبد بن قصى ، ولا عقب له ، وهو أحد من آمن وسلم ـ قبل البعث . راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

ووصف من خديجة بعد وصف   فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكتين على رجائى   حديثك أن أرى منه خروجا[١]
بما خبرتنا من قول قس   من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا   ويخصم من يكون له حجيجا

---

(١) ثنى مكة ، وهى واحدة ؛ لأن لها بطاحاً وظواهر ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة ، وجمعها ، نحو قوله : وميت بغزات ، يريد : بغزة ، وبغادين فى بغداد ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بالرقمتين له أجر وأعراس   والحمتين سقاك الله من دار

وقول زهير « ودار لها بالرقمتين » وقول ورقة من هذا : ببطن المكتين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

ببطن مكة مقهور ومفتون

وإنما يقصد العرب فى هذا الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو هنا اسم جبل ، وقال عنترة .

شربت بماء الدحرضين

وهو من هذا الباب فى أصح القولين ، وقال عنترة أيضاً :

بعنيزتين وأهلنا بالعيلم

وعنيزة اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عشية سال المربدان كلاهما

وإنما هو مربد البصرة . وقولهم :

تسألنى برامتين سلجما

وإنما هو رامة . وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت فى ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين فى فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قرة ، وصدرك مسرة ، وفى التنزيل : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال» إلى قوله سبحانه : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين » وفيه : « جعلنا لأحدهما جنتين » الآية . وفى آخرها : « ودخل جنته »

ويظهر فى البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا(١)
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتى إذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم وُلوجا
ولوجا فى الذى كرهت قريش ... ولو عجّت بمكتها عجيجا
أرجّى بالذى كرهوا جميعاً ... إلى ذى العرش إن سفلوا عُروجا
وهل أمر السّفالة غير كفر ... بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وَأبْقَ تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار مَتْلَفَةً حَرُوجا

= فأفرد بعد ما ثنى ، وهى هى ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والقول فى هذه الآية يتسع .

وفى البيت : حديثك أن أرى منه خروجا . قوله منه: الهاء راجعة على الحديث ، وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أنْ ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول فى هذا الأصل ، ولم يخصص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصل ، وتاه فى تضلل ؛ ففى التنزيل : « أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم » ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست فى موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

(١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفى التنزيل : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » . وفيه : « جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً » لأن نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، ولا سيما فى طرفى الشهر . وفى الصحيح : « الصلاة نور ، والصبر ضياء » وذلك أن الصلاة هى عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر . وفى أسماء البارى سبحانه « الله نور السموات والأرض » ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ـ سبحانه .

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين قريش فى وضع الحجر

سبب هذا البنيان : قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة(١) ، وكانوا يهمون بذلك ، ليسقفوها ويهابون هدمها ، وإنما كانت رَضْماً(٢) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً الكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدّة لرجل من تجار

---

(١) وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبى قبيس ، فوقعت فى أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها ، فطارت شرارة من المجمر فى أستارها . فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال . لسنا من تخليط أبى خبيث بشىء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم ـ وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحيط بها ، ثم كان عثمان ، فاشترى دورا أخرى ، وأغلى فى ثمنها ، وزاد فى سعة المسجد ، فلما كان ابن الزبير زاد فى إتقانه ، لا فى سعته ، وجعل فيه عَمَداً من الرخام ، وزاد فى أبوابه ، وحسّنها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد ، وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جُدة .

(٢) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال :

دُرْتَتهُم فى ساعة جرّعتهُمُ كئوس المنايا تحت صخر مُرَضَّمِ

الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطى نجار[1] ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض مايصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها مايهدى لها كل يوم ، فتَتَشَرَّقُ[2] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنومنها أحد إلا احزَألّت وكشَّت[3] ، وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها ، فبينا هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ماأردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

أبو وهب – خال أبى رسول الله – وماحدث له عند بناء الكعبة : فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه . فقال : يامعشر قريش ، لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لايدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبدالله بن أبى نجيح المكى أنه حدث عن عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى، أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجعدة بن هبيرة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جَد هذا ، يعنى : أبا وهب الذى أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يامعشر قريش : لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا . لاتدخلوا فيها مهر بغى ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

---

(١) وذكر غيره أنه كان علجاً فى السفينة التى خَجَجتها الريح إلى الشُّعَيْبة ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من طَرْفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

(٢) تتشرق : تبرز للشمس .

(٣) احزَألّت ، أى : رفعت ذنبها ، وكشت ، أى : صوتت .

شعر فى أبى وهب: قال ابن اسحاق : وأبو وهب: خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبى وهب أنخت مطيتى ... غدت من نَدَاه رحلها غير خائب
بأبيضَ من فَرْعَىْ لؤى، بن غالب ... إذا حُصِّلت أنسابها فى الذوائب
أبِىٍّ لأخذ الضيم يرتاح للندى ... توسَّط جَدَّاه فروعَ الأطايب
عظيم رَماد القدر يملا جفانه ... من الخبز يعلوهن مثل السبائب

نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة: ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم ، ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وكان شقُّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قصى ، ولبنى أسد بن العُزَّى بن قصى ، ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم .

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة: ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقُوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ(١) ـ قال ابن هشام : ويقال : لم نزغ ـ اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء ، فقد رضى الله صنعنا ، فهدمنا !! فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس : أساس إبراهيم عليه السلام أفْضَوْا إلى حجارة خضر كالأسنمة(٢) آخذٍ بعضها بعضا .

---

(١) اللهم لم تُرَعْ ، وهى كلمة تقال عند تسكين الرَّوع ، وإظهار اللين والبر فى القول ، ولا روع فى هذا الموطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها، وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ، ولكن لما كان المقصود ماذكرنا ، جاز النطق بها .

(٢) وليست هذه رواية السيرة الأصلية : إنما الصحيح فى الكتاب : كالأسنة وهو وهم من بعض النَّقلة عن ابن إسحاق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد فى غير هذا الكتاب بهذا اللفظ ═

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه : قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : أن رجلا من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

الكتاب الذى وجد فى الركن : قال ابن إسحاق: وحُدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن[١] » .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

الكتاب الذى وجد فى المقام : قال ابن إسحاق : وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يُحلها أوَّلُ مِنْ أهلها[٢] » .

= لا عند الواقدى ولا غيره ، وقد ذكر البخارى فى بنيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هى كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا فى الزُّرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى ، لعظمها .

(١) روى مَعْمَرُ بن راشد فى الجامع عن الزهرى أنه قال : بلغنى أن قريشا حين بَنَوْا الكعبة ، وجدوا فيها حجرا ، وفيه ثلاثة صُفُوح ، فى الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغْتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق ، وفى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة ، خلقت الرحم ، واشتققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَتَتُّهُ ، وفى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

(٢) لا يُحِلُّها أولُ من أهلها ، يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْن بن نُمَيْر ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبى ربيعة :

ألا مَن لقلبٍ مُعَنًى غَزِلْ ... بحُبِّ المُحِلَّة أخت المُحِلّ

يعنى بالمحل : عبد الله بن الزبير ؛ لقتاله فى الحرم .

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة : قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبي سُلَيم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة — إن كان ما ذكر حقاً — مكتوباً فيه : « من يزرع خيراً ، يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً ، يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتُجزَوْن الحسنات ؟! أجل ، كما لا يجتنى من الشوك العنب » .

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر : قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حِدة ، ثم بنوْها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال .

لعقة الدم : فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب ابن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا : لعقة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا : فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا .

الرسول (ص) يضع الحجر : فكان أول داخل عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين، رضينا ،هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال - صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إليّ ثوبا ، فأتي به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بني عليه(١).

---

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي ، وأنه صاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن -وهو شرفكم- غلام يتيم دون ذوي أسنانكم ؟ فكاد يثير شرا فيما بينهم ، ثم سكتوا ذلك .

وكانت قريش تسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين .

شعر الزبير فى الحية التى كانت تمنع قريشاً من بنيان الكعبة : فلما فرغوا من البنيان ، وبنَوْها على ما أرادوا ، قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبت لِما تَصَوَّبَتِ العُقَاب ... إلى الثعبان وهى لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كَشِيش ... وأحياناً يكون لها وِثاب

إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تُهاب

فلما أن خشينا الرِّجز جاءت ... عقاب تَتْلَئِبُّ لها انصباب(١)

فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس له حجاب

فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب

غداة نُرَفِّع التأسيس منه ... وليس على مُسَوِّينا ثياب(٢)

أعز به المليك بنى لؤى ... فليس لأصله منهم ذهاب

وقد حشدت هناك بنو عدى ... ومُرة قد تقدمها كلاب

فَبَوَّأنا المليك بذاك عزاً ... وعند الله يُلتمس الثواب

= وأما وضع الركن حين بنيت الكعبة فى أيام ابن الزبير ، فوضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد ، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه .

(١) تتلئب ، يقال : اتلأب على طريقه إذا لم يُعَرِّج يَمْنَة ولا يَسْرة ، وكأنه منحوت من أصلين ، من تلا : إذا تبع ، وألَبّ : إذا أقام .

(٢) أى : مَسَوِّى البنيان . وهـو فى معنى الحديث الصحيح فى نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة ، ويرون ذلك دِينا ، وأنه من باب التشمير والجد فى الطاعة .

قال ابن هشام: ويروى:

وليس على مَساوينا ثياب (١)

ارتفاع الكعبة وكسوتها: وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عشرة ذراعاً، وكانت تكسى القباطى، ثم كسيت البرود. وأول من كساها الديباج: الحجاج بن يوسف.

حديث الحمس

قريش تبتدع الحمس: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش — لا أدرى أقبل الفيل أم بعده — ابتدعت رأى الحُمْس (٢) رأيا رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمة، وولاة البيت، وقطان مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم — صلى الله عليه وسلم — ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحُرمة، ولا نعظّم غيرها، كما نعظمها نحن الحُمْس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم، بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم.

---

(١) وقول ابن هشام: ويروى: على مساوينا، يريد: السوءات، فهو جمع مساءة، مفعلة من السَّوْءَة والأصل مساوئ، فسهلت الهمزة.

(٢) والتحمس: التشدد، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهد والتأله، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن، وسلأ السمن أن يُطْبَخ الزبد، حتى يصير سمناً، قال أبرهة:

إن لنا صرمَةً مُخَيَّسَة نشرب ألبانها ونسلؤها

القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس : وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة النحوي : أن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمرو بن معد يكرب :

أعباس لو كانت شِياراً جِيادنا ... بتثليث ما ناصَيْتَ بعدي الأحامسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعني بالأحامس : بني عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السُّلَمِي ، وكان أغار على بني زُبَيد بتثليث . وهذا البيت في قصيدة لعمرو .

وأنشدني لقيط بن زُرَارة الدَّارمي في يوم جَبَلَة[1] :

أجذم إليك إنها بنو عَبْس ... المَعْشَرُ الجِلَّةُ في القوم الحمس[2]

لأن بني عبس كانوا يوم جَبَلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة .

يوم جبلة : ويوم جبلة : يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وبين بني عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة ، وقُتل يومئذ لقيط بن زُرارة بن عُدُس ، وأسر حاجب بن زرارة بن عدس[3] ، وانهزم عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمرو إذ دعوا : يالَدارمِ

وهذا البيت في قصيدة له :

---

(١) وجبلة هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران ، وهو ابن الجَوْنِ الكندي ، وأخ للنعمان بن المنذر ، اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أجْذِمَ : زَجْرٌ معروف للخيل وكذلك : أرحب ، وهب ، وهِقِطْ ، وهِقَط وهِقَبْ .

(٣) هو : عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس في العرب سواه فإنه مفتوح الدال .

يوم ذى نجب : ثم التقوا يوم ذى نَجَب فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر ، وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندى ، وهو أبو كَبْشة ؛ وأسر يزيد بن الصَّعِق الكلابى ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عامر بن الطفيل . ففيه يقول الفرزدق :

ومنهن إذ نجَّى طُفَيل بن مالك   على قُرْزُل رَجْلا ركوض الهزائم(١)

ونحن ضربنا هامة ابن خُوَيْلد   نزيد على أم الفراخ الجواثم(٢)

وهذان البيتان فى قصيدة له :

فقال جرير :

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه   ولاقى امرأ فى ضمة الخيل مِصْقَعا(٣)

وهذا البيت فى قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلة ، ويوم ذى نَجَب أطول مما ذكرنا . وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرتُ فى حديث يوم الفجار .

ما زادته قريش فى الحمس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغى للحمس أن يَأْتَقِطوا الأقِطَ ، ولا يَسْلَئوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شَعَرٍ ، ولا يستظلوا — إن استظلوا — إلا فى بيوت الأدم ما كانوا حرما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم

---

(١) قرزل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قرزل ، وقرزل : القيد سمى الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه ، كما قال امرؤ القيس :

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(٢) على أم الفراخ الجواثم . يعنى : الهامة ، وهى البوم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره . قال ذو الإصبع العدوانى :

أضربْكَ حتى تقول الهامة : اسقونى

(٣) المعروف فى اللغة أن — المصقع : الخطيب البليغ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال فى اللغة : صقعه : إذا ضربه على شىء مصمت يابس ، قاله الأصمعى .

من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمّارا ؛ ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة .

اللقى عند الحمس : فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الحمس ؛ فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم يَنتفع بها ، ولم يمسها هو ، ولا أحد غيره أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مُفَرَّجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب[1] ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بَعْضُهُ ، أو كله وما بدا منه فلا أحِله

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه ، فلا يقربه — وهو يحبه :

كفى حَزناً كَرِّى عليها كأنها لقىً بين أيدى الطائفين حريم

يقول : لا تمس[2] .

---

(١) هذه المرأة هي : ضُباعة بنت عامر بن صعصعة ، ثم من بنى سلمة بن قشير .
وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خطبها ، فذكرت له عنها كبرة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كمدا وحزنا على ذلك . قال ابن حبيب : إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين ، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أو كله . تكرمة من الله لنبيه وعلما منه بغَيْرته ، والله أغير منه .

(٢) ومن اللقى : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة وهى حامل متم بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فلفت في الأنطاع هى وجنينها ، وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لقى لا تقرب .
ولم يذكر الطلسَ من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس ، كانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس ، فسموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

الإسلام يبطل عادات الحمس : فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجّه : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله . إن الله غفور رحيم » يعنى قريشاً ، والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرّموا على الناس من طعامهم ولُبوسهم عند البيت ، حين طافوا عراة ، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . إنه لا يحب المسرفين . قل : من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نُفصّل الآيات لقوم يعلمون[1] » فوضع الله تعالى أمر الحمس ـ وما كانت قريش ابتدعت منه ـ عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

الرسول (ص) يخالف الحمس قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبى سليمان بن جُبير بن مُطْعِم ، عن عمه نافع بن جُبَيْر عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن ينزل عليه الوحى ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقاً من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً[2] .

---

(١) قوله : وكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أحْمَسِ ، وخذوا زينتكم : يعنى اللباس ، ولا تتعروا ، ولذلك افتتح بقوله : يا بنى آدم ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه . إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة .

(٢) حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير بن مطعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمس ، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون ؟ !

إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه : قال ابن إسحاق : وكانت الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل مبعثه ، لما تقارب من زمانه .

أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، فعمّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت هى لا تُحجَب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، لا تُلْقى العرب لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون ؛ فعرفوها .

قذف الجن بالشهب دلالة على مبعثه (ص) : فلما تقارب أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه . حُجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد(١) يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حَجبوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : « قل : أُوحى إلى أنه استمع نفر من الجن(٢) . فقالوا : إنا سمعنا قرآنا

---

(١) رُوى فى مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى ، فلما بُعث عيسى ، أو ولد ، حجب عن ثلاث سموات ، فلما ولد محمد حجب عنها كلها ، وقذفت الشياطين بالنجوم ، وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ، فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى العيوق فإن كان رمى به ، فقد آن قيام الساعة ، وإلا فلا ، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر .

(٢) وفى الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين . وفى التفسير أنهم كانوا يهوداً ؛ ولذلك قالوا : من بعد موسى ، ولم يقولوا من بعد عيسى ، ذكره ابن سلام . وكانوا سبعة ، قد =

عجبا يهدى إلى الرشد، فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً. وأنه تعالى جدُّ ربِّنا، ما اتخذ صاحبة ولا ولداً. وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا، وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا. وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن، فزادوهم رهقا». . إلى قوله: «وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً. وأنا لا ندرى أشَر أريد بمن فى الأرض، أم أراد بهم ربُّهم رَشَداً».

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك، لئلا يُشكل الوحى بشىء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجة، وقطع الشبهة(١). فآمنوا وصدقوا، ثم: «ولَّوْا إلى قومهم منذرين. قالوا: ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزلَ من بعد موسى مُصَدِّقا لما بين يديه، يهدى إلى الحق، وإلى طريق مستقيم»... الآية.

وكان قول الجن: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن، فزادوهم رهقا». أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه، قال: إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه.

= ذُكروا بأسمائهم فى التفاسير والمسندات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشى، ولاشى، والأحقاب، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دُرَيد. وسرق وعمرو.

(١) الذى يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم — وجد بظهور الإسلام، لكن القذف بالنجوم قد كان قديما، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهلية. منهم: عوف بن الجزْع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبى خازم، وكلهم جاهلى، وقد وصفوا الرمى بالنجوم، وأبياتهم فى ذلك مذكورة فى مشكل ابن قتيبة فى تفسير سورة الجن، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم: أكان فى الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّدَ. وفى قول الله سبحانه: «وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديدا وشهباً». ولم يقل: حُرِست دليل على أنه قد كان منه شىء، فلما بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — ملئت حرسا شديدا وشهباً، وذلك لينحسم أمر الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع.

قال ابن هشام : الرهق : الطغيان والسّفه . قال رؤبة بن العجّاج .

إذ تَسْتَبِي الهَيَّامة المُرَهَّقا

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضاً : طلبك الشىء حتى تدنو منه ، فتأخذه ، أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش :

بصْبَصْن واقْشَعَرَرْن من خوف الرَّهَقْ

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضاً : مصدر لقول الرجل : رَهِقْت الإثم أو العُسرَ الذى أرهقتنى رهقا شديداً ، أى : حملت الإثم أو العسر الذى حملتنى حملا شديدا ، وفى كتاب الله تعالى : « فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً » . وقوله : « ولا ترهقنى من أمرى عسراً » .

ثقيف أول من فزعت برمي الجن : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدّث أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم — حين رُمى بها — هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى علاج — قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا — فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم . قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس فى معايشهم ، هى التى يرمى بها ، فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذى فيها ، وإن كانت نجوماً غيرها ، وهى ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق ، فما هو[1] ؟

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم فى رجم الجن بالشهب وتوضيحه للأمر :

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمى به قالوا : يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها : مات مَلِك ، مُلِّك مَلِكٌ ، ولد مولود ، مات مولود ،

---

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْبٍ عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش ، فسبحوا ، فسبح من تحتهم ، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض : مِمّ سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون من فوقكم : مِمّ سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقال لهم : مم سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله فى خلقه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدّثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهُّم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا . ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها ، فانقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة[1] » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن أبى جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة ، عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم بمثل حديث ابن شهاب عنه .

الغيطلة وصاحبها : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغَيْطَلَة كانت كاهنة فى الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها فى ليلة من الليالى ، فانْقَضَّ تحتها ، ثم قال : أدْرِ ما أدْرِ ، . يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها ، ثم قال : شعوب ، ما شعوب ، تُصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب : فلما بلغ ذلك قريشا ، قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا

---

(١) والذى انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة ، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء ، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء ، ومايوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يَرَوْنه فى الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقة سارق ، أو خبيئة فى مكان خفى ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنّياً ، فيصيبون قليلا ، ويخطئون كثيرا . وذلك القليل الذى يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة فى العَنان ، كما فى حديث البخارى ، فيُطردُون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة .

ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته .

نسب الغيطلة : قال ابن هشام : الغَيْطَلَةُ : من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة ، إخوة مُدْلِجِ بن مرة[1] ، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله :

لقد سَفُهَت أحلام قوم تبدلوا بنى خلف قَيْضاً بنا والغياطل

فقيل لولدها : الغياطل ، وهم من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص . وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

كاهن جنب يذكر خبر الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى على بن نافع الجُرَشِىّ : أن جَنْبا[2] بطناً من اليمن ، كان لهم كاهن فى الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتشر فى العرب ، قالت له جَنْب : انظر لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد فى جبله راجعا من حيث جاء .

---

(١) يقال فى نسبها : الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق بن شنوق بن مرة ، وشنوق أخو مدلج .

وذكر قولها : شُعُوب وما شعوب ، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب . كعب هاهنا هو : كعب بن لؤى ، والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤى ، وشعوب هاهنا بضم الشين ، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدْرَ ما قالت ، حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب .

(٢) جنب هم من مَذْحِج ، وهم : عَيِّذ الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ، وجُعْفى ، والحكم ، وجرْوة ، بنو سعد العشيرة بن مذحج ، ومذحج هو : مالك بن أُدَد ، وسموا : جنباً لأنهم جانبوا بنى عمهم صُدَاء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج .

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل (١) من العرب داخلا المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد ، و لقد كان كاهنا فى الجاهلية . فسلم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فىَّ (٢) ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما وليتَ ، فقال عمر : اللهم غفراً ، قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهنا فى الجاهلية ، قال : فأخبرنى ما جاءك به صاحبك ، قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه (٣) ، فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قسمه

---

(١) هو سواد بن قارب الدوسى فى قول ابن الكلبى ، وقال غيره : هو سدوسى .

(٢) خلت فى : هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم فى المثل : من يسمع يخل ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففى قولهم : من يسمع يخل دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفى قوله ، خلت فى دليل أيضاً ، وهو قوله : فىَّ ، كأنه قال : خلت الشر فى أو نحو هذا . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٣) شَيْعه أى : دونه بقليل ، وشيع كل شىء : ما هو تبع له ، وهو من الشياع وهى : حطب صغار تجعل مع الكبار تبعاً لها ، ومنه : المُشَيِّعة ، وهو : الشاة تتبع الغنم ، لأنها دونها فى القوة .

ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، يقول : يا ذريح [1] ،أمر نجيح ،رجل يصيح، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجنّ وإبْلاسِهَا وشدِّها العِيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب .

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود - لعنهم الله - يعرفونه ويكفرون به : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة ، عن رجال من قومه . قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه ، لمَا كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يُبعَث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرَم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أجبناه ،حين دعانا إلى الله تعالى،وعرفنا ماكانوا يتوعَّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصَدِّقٌ لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

---

(١) ويروى أن الصوت الذى سمعه عمر من العجل : يا جليح : وهو اسم شيطان ، والجليح فى اللغة : ما تطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جليحة ، والذى وقع فى السيرة : يا ذريح ، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم .أحمر ذَرِيحِىٌّ ، أى : شديد الحمرة ، فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جليح ، فمآله إلى هذا المعنى ؛ لأن العجل قد جُلِح أى : كشف عنه الجلد .

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفى كتاب الله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين » .

سلمة يذكر حديث اليهودى الذى أنذر بالرسول (ص) : قال ابن إسحاق . وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش [1] — وكان سلمة من أصحاب بدر — قال : كان لنا جار من يَهُود فى بنى عبد الأشهل، قال : فخرج علينا يوما من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل — قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، علىَّ بُرْدةٌ لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى — فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يَرَوْن أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! ! أوترى هذا كائنا ، أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزَوْن فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحلَف به ، ويَوَدُّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تَنُّورٍ فى الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجوَ من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد — وأشار بيده إلى مكة واليمن — فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأنا من أحدثهم سنا ، فقال : إن يَسْتَنفِد هذا الغلام عمرَه يدركه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ محمدا رسولَه — صلى الله عليه وسلم — وهو حى بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً .قال : فقلنا له . ويحك يا فلان ! ! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى، ولكن ليس به .

ابن الهيبان اليهودى يتسبب فى إسلام ثعلبة وأسيد ابنى سعية وأسد بن عبيد .قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : قال لى : هل تدرى عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْية وأسِيد بن سعية [2] وأسد بن عبيد نفر من بنى هَدْل ، إخوة

---

(١) وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقشُ : الحركة .

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى ، عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى عنه: أُسيدبن سعية بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وهو قول الواقدى . وغيره:أَسيد بفتحها قال الدارقطنى: وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله =

بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلا من يهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّبَان (١) ، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحَطَ عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول . لا والله ، حتى تُقَدِّموا بين يدى مخرجكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمر : أو مُدَّيْن من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا ، فيستسقى الله لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه ، حتى تمر السحابة ولسق ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت ، قال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه ، وهذا البلدة مُهاجره ، فكنت أرجو أن يُبعث ، فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحاصر بنى قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا : يا بنى قريظة ، والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهَيَّبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

= إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية ، وسَعْية أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسين المهملة ، والياء المنقوطة باثنتين .

(١) والهيبان من المسمين بالصفات ، يقال : قُطْن هَيَّبان أى : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

تطير اللغامَ الهَيَّبان ، كأنه جَنَى عُشَرٍ تنفيه أشداقها الهُدْل

والهَيَبَان أيضا : الجبان .

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

سلمان – رضى الله عنه – يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى . عن محمود بن لبيد . عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى من فيه قال : كنت رجلا فارسيا من أهل إصْبَهَان [١] من أهل قرية يقال لها : جَىّ ، وكان أبى دِهْقانُ قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطَن النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة . قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال : فشُغل فى بنيان له يوماً ، فقال لى : يا بنى ، إنى قد شُغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضَيعتى فاذهب إليها ، فاطَّلعها — وأمرنى فيها ببعض ما يريد — ثم قال لى : ولا تحتبس عنى ؛ فإنك إن احتبست عنى كنتَ أهم إلىّ من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى . قال : فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس ، لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم ، انظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم ، أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصْل هذا الدين؟ قالوا : بالشام. فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أى بنى أين كنت ؟ أو لم أكن عَهِدْتُ إليك ما عهدتُ ؟ قال : قلت له : يا أبت ، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : فخافنى ، فجعل فى رجلى قيداً ؛ ثم حبسنى فى بيته .

سلمان يهرب إلى الشام : قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى ، فأخبرونى بهم

---

(١) إصبهان : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصْبَه بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل ، أو نحو هذا .

فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فآذِنونى بهم : قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ، أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم ، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا : الأسقف فى الكنيسة .

سلمان مع أسقف النصارى السيء : قال : فجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق . قال . فأبغضته بغضا شديدا ، لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ، ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سَوْء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها ، اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئا . قال : فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورق . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً . قال : فصلبوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

سلمان مع أسقف النصارى الصالح : قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة ، ولا أدأب ليلا ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله . قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يافلان ، إنى قد كنت معك ، وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أى بنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصل ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف الموصل : فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب المَوصل ، فقلت له : يافلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أقم عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يافلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر

الله ماترى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يابنى ، والله ماأعلم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنصيبين ، وهوفلان ، فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف نصيبين : فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرنى به صاحباى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله مالبث أن نزل به الموت ، فلما حُضِر ، قلت له : يافلان ! إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يابنى ، والله ماأعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعَمُّورِيَة من أرض الروم ، فإنه على مثل مانحن عليه ، فإن أحببت فأته ، فإنه على أمرنا .

سلمان يلحق بصاحب عمورية : فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبرى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عندخيررجل ، على هَدْى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغُنَيْمة . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضر ، قلت له : يافلان ، إنى كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أى بنى ، والله ماأعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَرُه إلى أرض بين حرّتين ، بينهما نخل ، به علامات لاتخفى ، يأكل الهدية ، ولايأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

سلمان يذهب إلى وادى القرى : قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثت بعمورية ماشاءالله أن أمكث ، ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه ، قالوا : نعم فأعطيتُهموها ، وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، ولم يحق فى نفسى .

سلمان يذهب إلى المدينة : فبينا أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبى ،

فأقت بها ، وبُعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرّقّ ، ثم هاجر إلى المدينة .

سلمان يسمع بهجرة النبي (ص) إلى المدينة : فوالله إني لفي رأس عَذْق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يافلان ، قاتل الله بني قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي .

نسب قيلة : قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج :

بهاليل من أولاد قَيْلة لم يجد ... عليهم خليط في مخالطة عتْباً

مساميح أبطال يُراحُون للندى ... يَرَوْن عليهم فعل آبائهم نَحْبا

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العُرَواء . قال ابن هشام : العرواء : الرّعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود ـ حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك ، قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

سلمان يستوثق من رسالة محمد (ص) : قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بقُباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحقّ به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال : ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئا ، وتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى

المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ببقيع الغرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، علىّ شملتان لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استدبرته ، عرف أنى استثبت فى شىء وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره . فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله ، وأبكى ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : تحول ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى ، كما حدثتك يا ابن عباس . فأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرّق حتى فاته مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدر وأحد .

سلمان يفتك نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته (ص): قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير (١) ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيّة ، والرجل بعشرين ودية . والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعتْ لى ثلثمائة ودية ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقِّر لها ، فإذا فرغت فأتنى ، أكن أنا أضعها بيدى . قال : ففقرت ، وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته ، فأخبرته ، فخرج

---

(١) الوجه . التفقير للنخلة . يقال لها فى الكَرْمة : حبيبة ، وجمعها : حبيايا ، وهى . الحفيرة ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهى : عريسة ، ثم يقال لها : ودية ، ثم فسيلة ، ثم أشاءة ، فإذا فاتت اليد فهى : جَبّارة ، وهى العضيد ، والكتيلة ، ويقال للتى لم تخرج من النواة ، لكنها اجتثت من جنب أمها : قلعة وجثيثة ، وهى الجثائث والهراء ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانة بلغة عمان ، وعَيْدانة بلغة غيرهم ، وهى فيعالة من عدن بالمكان ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تارة : فَيْعالة من عدن ، ثم جعلها فى باب المعتل العين فعْلانة .

رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودى ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم — بيده ، حتى فرغنا . فوالذى نفس سلمان بيده ، ما ماتت منها ودية واحدة [١] .

قال : فأديت النخل ، وبقى على المال . فأُتِىَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسى المُكاتَب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خذ هذه ، فأدِّها مما عليك يا سلمان . قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما على ؟ فقال : خذها ، فإن الله سيؤدى بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها — والذى نفس سلمان بيده — أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — الخندق حراً ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سلمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كله ، أربعين أوقية .

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حُدثت عن سلمان الفارسى : أنه قال لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين أخبره خبره : إن صاحب عمُّورِيَّة قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا [٢] بين غيضتين ، يخرج فى كل سنة

---

(١) وذكر البخارى حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق . غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سائرها ، فعاشت كلها إلا التى غرس سلمان .

(٢) ذكر داود بن الحصين قال : حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبى — صلى الله عليه وسلم — وذكر خبر الرجل الذى كان يخرج مستجيراً من غيضة إلى غيضة ، ويلقاه الناس بمرضاهم ، فلا يدعو لمريض إلا شفى ، وأن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : إن كنت صدقتنى يا سلمان ، فقد رأيت عيسى ابن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك : الرجل هو الحسن بن عمارة ، وهو ضعيف بإجماع منهم .

من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحدمنهم إلا شفى ، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل ، إلا منكبه . قال : فتناولته . فقال : من هذا ؟ والتفت إلى ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحنيفيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألنى عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأته فهو يحملك عليه . قال : ثم دخل . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لسلمان : لئن كنت صدقتنى يا سلمان ، لقد لقيت عيسى ابن مريم على نبينا وعليه السلام .

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

تشككهم في الوثنية : قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم ، فى كل سنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نَجِيّاً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . وعُبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . وعثمان بن الحُوَيْرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى . وزيد[1] بن

(١) وأم زيد هى : الحيداء بنت خالد الفَهْمية ، وهى امرأة جده نُفيل ، ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ، لأنه أمر كان فى عمود نسب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة ، وهى برة بنت مر ، فولدت له النضر بن كنانة ، وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه وافدة =

عمرو بن نُفَيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى[1] . فقال بعضهم لبعض : تعلَّموا والله ما قومكم على شىء ! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ ! يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

تنصر ورقة وابن جحش : فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علما من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا .

ابن جحش يغرى مهاجرى الحبشة على التنصر : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير ، قال : كان عبيد الله بن جحش - حين تنصر - يمر بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقَّحْنا وصَأْصَأْتُمْ ، أى : أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب ، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صأصأ ، لينظر . وقوله : فقح : فتح عينيه .

= فولدت له ضعيفة ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنهالم تلد جدا له ، أعنى : واقدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سفاح ، ولذلك قال سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام .

(١) والمعروف فى نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطنى أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذى تقدم ذكره .

رسول الله (ص) يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته : قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضَّمْري ، فخطبها عليه النجاشي ؛ فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعمائة دينار . فقال محمد بن علي : ما نرى عبد الملك ابن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أملكها للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن سعيد بن العاص .

تنصر ابن الحويرث وقدومه على قيصر : قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث ، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار(١) .

زيد يتوقف عن جميع الأديان : قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان(٢) .

---

(١) ويذكر أن قيصر كان قد توج عثمان ، وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إن مكة حي لَقَاحٌ لا تدين لملك . فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البطريق ، ولاعقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو بن جفنة الغساني الملك .

(٢) روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ، قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم بن عبدالله ، عن عبدالله بن عمر : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ـ عليه السلام ـ الوحي ، فقُدِّمت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، سفرة أو قدمها إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم =

ونهى عن قتل الموءودة[1] ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه .
قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى

= الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكلأ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك ، وإعظاما له .

وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ماذبح على النصب، ومالم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح ، فقدمت إليه السفرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكل منها، وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . الجواب الثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه ، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة ، لا بتحريم ماذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون: « الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة » فإن قلنا بهذا وقلنا : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأكل مما ذبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحا، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ، ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : « ولا تأكلوا مما لم يُذْكر اسم الله عليه » ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح فى التحليل ما أحدثوه من الكفر ، وعبادة الصلبان ، فكذلك كانَ ماذبحه أهل الأوثان مُحلاً بالشرع المتقدم ، حتى خصه القرآن بالتحريم .

(١) وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : هل لى فى ذلك من أجر ؟ فقال فى أصح الروايتين : لك أجره إذا منّ الله عليك بالإسلام . وهذا الحديث أخرجه البخارى ، والموءودة مفعولة من وأده إذا أثقله . قال الفرزدق :

ومنا الذى منع الوائدا ت ، وأحيا الوئيد ، فلم يُوأَدِ =

الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسنداً ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عَبَدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحاق : وحُدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يبعث أمة وحده .

شعر زيد فى فراق الوثنية : وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه ، وما كان لقى منهم فى ذلك :

أربّاً واحداً ، أم ألف رب　　　أدين إذا تُقسّمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعا　　　كذلك يفعل الجلد الصبور[1]

= يعنى : جده صَعْصَعَة بن معاوية بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع .

وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات ، وماقاله الله فى القرآن هو الحق من قوله : « خشية إملاق » ، وذكر النقاش فى التفسير : أنهم كانوا يئدون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو بَرْشاءَ أو شَيماءَ أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى : « وإذا الموءودة سُئلت بأى ذنب قُتلت » .

(١) ذكرت اللات فيما تقدم. أماالعزى فكانت نخلات مجتمعة ، وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم أن الرب يُشَتّى عند اللات ، ويُصَيِّف بالعزى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً ، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، وهى التى بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد ليكسرها ، فقال له سادنها : ياخالد احذرها ؛ فإنها تجذع وتكنع ، فهدمها خالد وترك منها جذمها وأساسها ، فقال قيمها : والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا ، فذكر ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها ، فقتلها ، وهرب القيم ، وهو يقول : لا تعبد العزى بعد اليوم . هذا معنى ماذكر أبو سعيد النيسابورى فى المبعث . وذكره الأزرقى أيضاً ورزين .

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صَنَمَىْ بنى عمرو أزور
ولا هُبلا أدين ، وكان ربا لنا فى الدهر إذ حلمى يسير
عجبت وفى الليالى مُعْجَبات وفى الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببِرِّ قوم فيَرْبِلُ منهمُ الطفل الصغير (١)
وبينا المرء يعثر ثاب يوما كما يَتَروّح الغصن المطير (٢)
ولكنْ أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربِّكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهُم جِنان وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هى لأمية بن أبى الصلت فى قصيدة له ، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق :

إلى الله أُهْدِى مدحتى وثنائيا وقولا رصينا لا يَنِى الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى فإنك لا تخفى من الله خافيا (٣)
وإياك لا تجعل مع الله غيرَه فإن سبيل الرشد أصبح باديا

(١) ربل الطفل يربل إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ، ومنه أخذ تربيل الأرض .

يتروح الغصن : أى : ينبت ورقه بعد سقوطه .

(٢) إياك والردى . تحذير من الردى ، والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك وإنما هو تحذير عما يأتى به الموت ، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً .

حنانيكَ إن الجن كانت رجاءهم | وأنت إلهى ربنا ورجائيا[1]
رضيت بك ـ اللهم ـ ربا فلن أرى | أدين إلها غيرك الله ثانيا[2]
وأنت الذى من فضل مَنٍّ ورحمة | بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له ياإذهب وهارون فادْعوَا | إلى الله فرعون الذى كان طاغيا[3]
وقولا له: آأنت سَوَّيت هذه | بلا وتد، حتى اطمأنت كما هيا[4]

(١) حنانيك بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . ويجوز أن يريد حنانا فى الدنيا ، وحنانا فى الآخرة ، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا | حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فإنما يريد : حنان دَفْع ، وحنان نفْع ؛ لأن كل من أمَّل ملكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا ، أو ليجلب إليه خيرا .

(٢) أدين إلها ، أى : أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل ؛ لأنه فى معنى : أعبد إلها . وقوله : غيرك الله برفع الهاء ، أراد : يا ألله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيأيها ، وتقطع همزته فى النداء ، فتقول : يا ألله ، ولا يكون ذلك فى اسم غيره ، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة .

(٣) ألا يا اذهب على حذف المنادى . كأنه قال : ألا يا هذا اذهب ، كما قرىء : ألا يا اسجدوا ، يريد : ياقوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :

ألا يا اسلمى يا دارَ مَىٍّ على البِلى

وفيه : اذهب وهارون ، عطفا على الضمير فى اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً .

(٤) اطمأنت ، وزنه افلعلت ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطامن أى : تطأطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التى هى عين الفعل من همزة الوصل ،

وقولا له : آأنت رفعت هذه   بلا عمد، أرفق — إذاً — بك بانيا[١]
وقولا له : آأنت سويت وسطها   منيراً ، إذ ما جنّه الليلُ هاديا ،
وقولا له: من يرسل الشمس غُدوةً   فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا،
وقولا له : من ينبت الحب فى الثرى   فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويُخرج منه حبَّه فى رءوسه   وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا   وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
وإنى ولو سبحت باسمك ربنا   لأُكثر — إلا ما غفرت — خطائيا[٢]
فرب العباد ألق سَيْبا ورحمة   علىّ ، وبارك فى بنىّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى —

نسب الحضرمي : قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبد الله بن عباد أحد الصَّدِف ، واسم الصَّدف : عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أشرس بن كِندى ، ويقال : كندة

= فتكون أخف عليهم فى اللفظ ، كما فعلوا فى أشياء حين قلبوها فى قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين كما هيا . ما : زائدة لتكف الكاف عن العمل ، وتهيئها للدخول على الجمل ، وهى : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هى عليه ، والكاف فى موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سرت مثل سير زيد ؛ فمثلَ حال من سَيْرك الذى سرته

(١) أرفق: تعجب ، وبك فى موضع رفع لأنَ المعنى : رفقت ، وبانياً تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أحسن بزيد من رجل ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد علم أنك متعجب منه .

(٢) معنى البيت : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا إلا ما غفرت ، وما ، بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لى لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لاأعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياى .

ابن ثور بن مُرَتِّع بن عُفَيْر بن عدى ابن الحارث بن مرة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهْسَع ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : مُرْتِع بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ .

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية : قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ، ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج ، وأراده ، آذنت به الخطاب بن نُفَيل ، وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكل صفية به . وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنينى به ـ فقال زيد :

لا تحبسينى فى الهوا ن صفى مادابى ودابه
إنى إذا خفت الهوا ن مُشَيَّع ذُلُل ركابه
دُعموص أبواب الملو ك وجائب للخرق نابه[1]
قَطَّاع أسباب تذل بغير أقران صعابه
وإنما أخذ الهوا ن العَيْرُ إذ يُوَهى إهابه
ويقول : إنى لا أذل بصك جنبيه صِلابه[2]
وأخى ابن أمى ، ثم عمـــى لا يُواتينى خطابه
وإذا يعاتبنى بسو ء قلت : أعيانى جوابه
ولو أشاء لقلت : ما عندى مفاتحه وبابه

---

(١) دُعْموص أبواب الملوك . يريد : ولاّجاً فى أبواب الملوك ، وأصل الدعموص : سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء ، فاستعاره هنا ، وكذلك جاء فى حديث أبى هريرة يرفعه : صغاركم دعاميص الجنة .

(٢) إنى لا أذِلّ أى : يقول العير ذلك بِصَكّ جَنْبَيْه صِلابُه ، أى : صلاب ما وضع عليه ، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤه وحمله .

قول زيد حين يستقبل الكعبة : قال ابن إسحاق : وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن : أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد ، قال : لبيك حقا حقا ، تعبداً ورقاً .

عُذت بما عاذ به إبراهيم   مستقبلَ القبلة ، وهو قائم

إذ قال :

أنفى لك اللهم عانٍ راغمْ   مهما تُجَشّمنى فإنى جاشم

البر أبغى لا الخال ، ليس مُهَجِّر كمن قال (١)

قال ابن هشام : ويقال : البر أبقى لا الخال ، ليس مهجِّر كمن قال . قال وقوله : « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما رآها استوت	على الماء ، أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمتْ	له المُزن تحمل عَذْبا زلالا
إذا هى سِيقَت إلى بلدة	أطاعت ، فصبت عليها سِجالا

الخطاب يؤذى زيدا ويحاصره : وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء مقابل مكة ، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم ، فإذا علموا بذلك ، آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فِراقه . فقال ـ وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه :

لاهُمَّ إنى محرم لا حِلّهْ   وإن بيتى أوسط المَحِلّهْ

عند الصفا ليس بذى مَضَلّهْ

---

(١) الخال : الخُيَلاء والكبر .

ليس مهجر كمن قال ، أى : ليس من هجَّر وتكيَّس ، كمن آثر القائلة والنوم ، فهو من : قال يقيل .

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأحبار، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل فجال الشام كله، حتى انتهى إلى راهب بميفعة [1] من أرض البلقاء، كان ينتهى إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها، فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه، وقد كان شامّ اليهودية والنصرانية، فلم يرض شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لخم، عدوا عليه فقتلوه.

ورقة يرثى زيدا: فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه:

رَشَدْتَ، وأنعمت ابن عمرو، وإنما ... تجنبت تَنُّوراً من النار حاميا [2]
بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مُقامُها ... تُعَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها، ولم تكن ... من الناس جباراً إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا [3]

---

(١) فى الأصل بكسر الميم من ميفعة، والقياس فيها: الفتح؛ لأنه اسم لموضع أخذ من اليَفَاع، وهو المرتفع من الأرض.

(٢) رشدت وأنعمت ابن عمرو، أى: رشدت وبالغت فى الرشد، كما يقال: أمعنت النظر وأنعمته.

(٣) قوله: ولو كان تحت الأرض سبعين واديا * بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفة للنكرة، كما قيل: * فلو كنت فى جب ثمانين قامة * وما أصله صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُد تحت الأرض سبعين. كما تقول: بَعُد طويلا، أى: بُعداً طويلا، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا.

قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها ، وآخرها بيتا في قصيدة له . وقوله : « أوثان الطواغي » عن غير ابن اسحاق .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يحنس الحوارى يثبت بعثة الرسول (ص) من الإنجيل: قال ابن إسحاق : وقد كان ـ فيما بلغنى عما كان وضَعَ عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل ـ من صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما أثبت يُحَنّس الحوارى لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ،ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنوا أنهم يَعُزّونَنى ، وأيضا للرب ، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبغضونى مجانا [1] ، أى : باطلا . فلو قد جاء المُنْحَمَنّا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَنّا بالسريانية : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلِيطس ، صلى الله عليه وآله وسلم .

مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان به (ص) : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : فلما بلغ

---

(١) أى : باطلا ، وكذلك جاء فى الحكمة : يا ابن آدم علم مجاناً ، كما عُلّمت مجاناً ، أى : بلا ثمن ، وفى وصايا الحكماء : شاور ذوى الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب .

محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعين سنة بعثه الله تعالى[1] رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مُصَدِّق لما معكم ، لَتُؤْمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّهُ ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، : أي ثِقَل ما حمّلتكم من عهدي : « قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له ، والنصر له عن خالفه ، وأدَّوْا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

الرؤيا الصادقة أول مابدىء به رسول الله (ص) قال ابن إسحاق : فذكر الزهري عن عُرْوة ابن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح قالت : وحَبَّب الله تعالى إليه الخَلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحده .

سلام الحجر والشجر عليه (ص): قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ، وهذا مروي عن ابن عباس ، وجُبَيْر بن مُطعِم وقُبَاث بن أشْيَم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر.

وقد روى أنه نبىء لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقباث بن أشيم : من أكبر ، أنت أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله أكبر مني ، وأنا أسَنُّ منه ، وولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل ، ووقفت بي أمي على رَوْث الفيل ، ويروى: خَزْق الطير ، فرأيته أخضر مُحِيلاً ، أي : قدأتى عليه حَوْل ، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال : لايفتك صيام يوم الاثنين ؛ فإني قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه . الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٦٥ .

ابن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم :

أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ عنه البيوت ، ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله (١) . قال : فيلتفت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام (٢) بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء فى شهر رمضان .

---

(١) وفى مصنف الترمذى ومسلم ، أيضاً أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عَلىَّ قبل أن يـنزَّل عَلىَّ » . وفى بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الأسود ، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين فى الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت : عَرَض فى قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعرى اصطكاكاً فى الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أى ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ؟ وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . وأما حنين الجذع فقد سمى حنينا ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويعمرونها ، فيكون مجازا من قوله تعالى : « واسئل القرية » والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها عَلَم على نبوته ــ عليه السلام ــ غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق ، فعجزوا عن معارضته . الروض الأنف ج١ ص ٢٦٦ — ٢٦٧

(٢) اسم جبريل سريانى ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو =

نزول جبريل عليه (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير . قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعُبَيد بن عمَير بن قتادة الليثى : حدِّثنا يا عبيد ، كيف كان بدء ما ابتُدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة ، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : فقال عبيد ـ وأنا حاضر يُحدّث عبدَ الله بن الزبير ، ومن عنده من الناس : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى حِرَاء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تَحَنَّث به قريش فى الجاهلية . والتحنث : التَبَرُّر (١) .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانه   وراقٍ ليرقى فى حِراءَ ونازلِ

التحنث والتحنف : قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدف وجدث ، يريدون : القبر . قال رؤبة بن العَجّاج :

= اسم الله ، وهو : إيل ، وكان مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة فى كلام العجم ، يقولون فى غلام زيد : زيد غلام ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبدالله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

واتفق فى اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان عجميا ؛ فإن الجبر هو إصلاح ما وهى وجبريل موكل بالوحى ، وفى الوحى جبر ما وهى من الدين .

(١) التبرر تفعل من البر ، وتفعل : يقتضى الدخول فى الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تفقه وتعبد وتنسك ، وقد جاءت فى ألفاظ يسيرة تعطى الخروج عن الشىء واطراحه ، كالتأثم والتحرج . والتحنث بالثاء المثلثة ، لأنه من الحنث وهو الحمل الثقيل ، وكذلك التقذر ، إنما هو تباعد عن القذر ، وأما التحنف بالفاء ، فهو من باب التبرر ؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم وإن كان الفاء مُبدلة من الثاء ، فهو من باب التقذر والتأثم ، وهو قول ابن هشام ، واحتج بجدف وجدث . الروض الأنف جـ ١ ص ٢٦٧

لو كان أحجارى مع الأجداف(١)

يريد : الأجداث : وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول : فُمَّ ، فى موضع : ثُمَّ ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى وهب بن كيسان قال : قال عبيد : فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور (٢) ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ بأمر الله تعالى .

---

(١) وفى بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم فى سر الصناعة أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف ، واحتج بهذا لمذهبه فى أن الثاء هى الأصل ، وقول رؤبة رد عليه ، والذى نذهب إليه أن الفاء هى الأصل فى هذا الحرف ، لأنه من الجدف وهو القطع ، ومنه مجداف السفينة ، وفى حديث عمر فى وصف الجن : شرابهم الجَدَفُ وهى الرَّغْوَة ، لأنها تُجدَف عن الماء ، وقيل : هى نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جدف ، والجدف : القبر من هذا ، فله مادة وأصل فى الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هى الأصل والثاء داخلة عليها .

(٢) الجوار بالكسر فى معنى المجاورة وهى الاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد ، كذلك قال ابن عبد البر ؛ ولذلك لم يُسَم جواره بحراء اعتكافا ، لأن حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لجاءنى جبريل، وأنا نائم (١)، بنمط من ديباج (٢)فيه

(١) قال فى الحديث: فأتانى وأنا نائم ، وقال فى آخره : فهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا ، وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها ، بل فى حديث عروة عن عائشة مايدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان فى اليقظة ؛ لأنها قالت فى أول الحديث : « أول مابدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرؤيا الصادقة ، كان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب الله إليه الخلاء ـ إلى قولها ـ حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، لجاءه جبريل » ، فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى ـ عليه السلام ـ بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتى فى حديث الإسراء من مقالة العلماء مايؤكد هذا ويصححه .

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل به إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء ، ثم وكل به جبريل لجاءه بالقرآن والوحى ، فعلى هذا كان نزول الوحى عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كما فى حديث ابن إسحاق .

ومنها : أن يُنفثَ فى رُوعه الكلام نفثاً ، كما قال عليه السلام : « إن روح القدس نفث فى رُوعى أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه . وقيل : إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ؛ فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى

ومنها : أن يتمثل له الملك رجلا ، فقد كان يأتيه فى صورة دِحْية بن خليفة .

ومنها : أن يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الإسراء ، وإما فى النوم ، كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى ، قال : « أتانى ربى فى أحسن صورة .. »

(٢) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم =

كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ(١) ؟ قال فغتَّنى به (٢) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنى به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتّنى به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من عَلَقٍ . اقرأ وَرَبُّكَ الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . قال : فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عنى ، وهببت من نومى ، فكأنما كُتبت فى قلبى كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل فى صورة رجل صافٍّ قدميه(٣) فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلت واقفا ما أتقدم أمامى ، وما أرجع ورائى ، حتى بعثت خديجة رُسُلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

الرسول (ص) يخبر خديجة (ض) بنزول جبريل عليه : وانصرفت راجعا إلى أهلى ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حدثتها بالذى رأيتُ ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبُتْ فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

= الديباج والحرير الذى كان زِيُّهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج .

(١) وفى رواية : ما أنا بقارىء ، أى : إنى أمى ، فلا أقرأ الكتب ، قالها ثلاثا فقيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لاتقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك .

أما على رواية ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاما ، يريد أى شىء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفى ، أى ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم .

(٢) ويروى : فسأبنى ، ويروى : سأتنى ، وأحسبه أيضا يروى : فذعتنى وكلها بمعنى واحد ، وهو الخنق والغمّ .

(٣) وفى حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض ، ويروى : على عرش =

خديجة (بمه) تخبر ورقة بن نوفل : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس (١) الأكبر الذى كان يأتى موسى (٢) ، وإنه لنبى هذه الأمة ، فقولى له : فليثبُتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتُكذَّبنَّهْ ، ولتُؤذَيَنَّهْ ، ولتُخرجَنَّهْ ، ولتُقاتَلَنَّهْ (٣) ، ولئن أنا أدركت (٤) ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى منزله .

= بين السماء والأرض ، وفى حديث البخارى الذى ذكره فى آخر الجامع أنه حين فترعنه الوحى ، كان يأتى شواهق الجبال يهم بأن يلقى نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له أنت رسول الله ، وأنا جبريل .

(١) الناموس : صاحب سر الملك ، وقال بعضهم : هو صاحب سر الخير ، والجاسوس : هو صاحب سر الشر .

(٢) ذكر موسى ولم يذكر عيسى - وهو أقرب - لأن ورقة كان معتنقا النصرانية وقتها ، والنصارى لايقولون فى عيسى : إنه نبى يأتيه جبريل إنما يقولون فيه : إن أقنوما من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به ، على اختلاف بينهم فى ذلك الحلول ، وهوأقنوم الكلمة ، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ، يعلمهم الغيب ، ويخبر بما فى غد .

(٣) الهاءات الأربعة لاينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر .

(٤) فى الحديث : « إن يدركنى يومك . . . » وهو القياس ؛ لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذى يدركه من يأتى بعده .

تثبت خديجة (صـه) من الوحى : قال ابن إسحاق: وحدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير : أنه حُدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى ابن عم ، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل عليه السلام ، كما كان يصنع ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءنى ، قالت :قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، قال : فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول ، فاجلس على فخذى اليمنى ،قالت : فتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، قالت : فتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال : فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ، قالت يا ابن عم ، اثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبد الله بن حسن (١) هذا الحديث ، فقال : قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلتْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك ، وما هو بشيطان .

---

(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمه : فاطمة بنت الحسين ، أخت سكَيْنة ، واسمها : آمنة ، وسكينة لقب لها ، التى كانت ذات دعابة ومزح ، وفى سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على ـ رضى الله عن جميعهم :

كأن الليل موصول بليل ... إذا زارت سكينة والرباب

أى : زارت قومها ، وهم : بنو عُلَيْم بن جناب ، من كلب ، ثم من بنى كعب بن عليم ، ويعرف بنو كعب ابن عليم ببنى زيد غير مصروف ؛ لأنه اسم أمهم ، وعبدالله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بنى العباس ، وهم : محمد ويحى وإدريس ، مات إدريس بإفريقية فارا من الرشيد ، مسموماً فى دلاعة (نوع من المحار) أكلها .

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن : قال ابن إسحاق : فابتُدِئ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتنزيل فى شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شهر رمضان الذى أُنزِلَ فيه القرآنُ هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » وقال الله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنَزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » . وقال الله تعالى : « حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا مُنْذرين . فيها يُفْرَق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا مُرْسلين » . وقال تعالى : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » . وذلك ملتقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمشركين ببدر .

تاريخ وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو جعفر محمد بن على بن حُسَين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة ، صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تتَامّ الوحى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حُمّلَه على رضا العباد وسَخَطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْن من الناس ، وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه (ص) : وآمنت به خديجة بنت خُوَيلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدّق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رَدّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفّف عليه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

تبشير خديجة ببيت من قصب : قال ابن اسحاق : وحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب(١) .

قال ابن هشام : القصب : اللؤلؤ المجوّف .

جبريل يقرىء خديجة السلام من ربها : قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرىء خديجة السلام من ربها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحي ونزول سورة الضحى : قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : « والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى » . يقول : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك . « وللآخرة خير لك من الأولى » : أى لما عندى من مرجعك إلىّ ، خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا . « ولسوف يعطيك ربك فترضى » من الفُلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة . « ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدىٰ . ووجدك عائلا فأغنى » يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنّه عليه فى يُتمه وعَيْله وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته(٢) .

تفسير مفردات سورة الضحى : قال ابن هشام : سجى : سكن . قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

إذ أتى موهنا وقد نام صحبى   وسجا الليلُ بالظلام البهيم(٣)

---

(١) حديث مرسل . رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . انظر الحديث بتمامه فى الروض الأنف بتحقيقنا حـ ١ ص ٢٧٧

(٢) كانت فترة الوحى سنتين ونصفا .

(٣) سجا : دام وسكن .

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .

قال جرير :

ولقد رمينك حين رحن بأعين يقتلن من خلل الستور سواجى

وهذا البيت فى قصيدة له . والعائل : الفقير . قال أبو خراش الهذلى :

إلى بيته يأوى الضريك إذا شتا ومستنبح بالى الدريسين عائل(١)

وجمعه : عالة وعيل . وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله : والعائل أيضا : الذى يعول العيال . والعائل أيضا : الخائف . وفى كتاب الله تعالى : « ذلك أدنى ألا تعولوا » . وقال أبو طالب :

بميزان قسط لايخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها . والعائل أيضا الشيء المثقل المعي . يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمر : أى أثقلنى وأعيانى . قال الفرزدق :

ترى الغر الجحاجح من قريش إذا ما الأمر فى الحدثان عالا(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له .

« فأما اليتيم فلا تقهرْ . وأما السائل فلا تنهر » : أى لا تكن جباراً ولا متكبراً ، ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله . « وأما بنعمة ربك فحدث » : أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أى اذكرها وادع إليها ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله .

---

(١) الضريك : الضعيف . والمستنبح : الذى يضل الطريق فينبح فتجاوبه الكلاب فيعرف مكان العمران . والدريس : الثوب الخلق .

(٢) الغر : المشهورون ، والجحاجيح : السادة وحذف الياء لإقامة الوزن . والحدثان : حوادث الدهر .

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت : قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين(١) .

جبريل يعلم الرسول (ص) الوضوء والصلاة : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

الرسول (ص) يعلم خديجة الوضوء والصلاة : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسوله الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بهـا رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته(٢) :

---

(١) ذكر المزنى أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وأخرى بعد الغروب . وقال ابن سلام : فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فيحتمل قول عائشة (ض) « فزيد فى صلاة الحضر » أى زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة فى الركعات وفى عدد الصلوات ويكون قولها « فرضت الصلاة ركعتين » أى قبل الإسراء .

(٢) الحديث مقطوع فى السيرة ومثله لا يكون أصلا فى الأحكام الشرعية ولكنه روى =

جبريل يعين للرسول (ص) أوقات الصلاة : قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تيم ، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم ، وكان نافع كثير الرواية ، عن ابن عباس قال : لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسفراً غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس(١)

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه اول ذكر اسلم

قال ابن إسحق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشر سنين .

نعمة الله على عليّ بنشأته في كنف الرسول : وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

سبب هذه النشأة : قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر ابن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده

= مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أنه يدور أيضا على ابن لهيعة وقد ضعف فلم يخرج له البخاري ومسلم ، أما مالك فكان يحسن فيه القول . انظر تمام القول في الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(١) هذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع؛ لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعدما نبىء عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن اسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٤ .

به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم. ياعباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه؛ فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه؛ فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما — قال ابن هشام: ويقال: عقيلا وطالبا[1].

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه على رضي الله عنه، وآمن به وصدقه؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

الرسول (ص) وعلى يخرجان إلى الصلاة فى شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم! هذا دين الله ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال صلى الله عليه وسلم — بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال؛ فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلَص[2] إليك بشيء تكرهه ما بقيتُ.

---

(١) وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلهم أسلم إلا طالبا الذي يقول عنه السهيلي أنه اختطفته الجن فلم يعلم إسلامه.

(٢) لا يخلص: لا يوصل.

وذكروا أنه قال لعلى : أى بنى ! ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت بالله وبرسول الله ، وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحبيل بن كعب بن عبد العزّى بن امرىء القيس الكلبى ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد على ابن أبى طالب .

نسب زيد : قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبْرة . وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة(١) وصيف . فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى ياعمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيداً فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

شعر حارثة أبى زيد عندما فقده : وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحى فيُرجَى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدرى وإنى لسائل ... أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل

ويا ليت شعرى هل لك الدهر أوبة ... فحسبى من الدنيا رجوعك لى بَجَلْ (٢) ؟

---

(١) لأن أم زيد : سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طيىء ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القين بن جسر ، فباعوه بسوق حبُاشة ، وهو من أسوق العرب ، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق .

(٢) بجل : حسب

تـذكِّرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره فياطول ماحزنى عليه وماوجل(١)
سأعمل نص العيس فى الأرض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل(٢)
حياتىَ أو تأتى عـلى منيتى فـكل امرئ فان وإن غره الأمل(٣)

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأقم عندى ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ؛ فلما أنزل الله عز وجل : « ادعوهم لآبائهم » . قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه وشأنه

نسبه : قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

اسمه ولقبه : قال ابن هشام : واسم أبىْ بكر : عبـد الله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعتقه .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

---

(١) الأرواح : جمع ريح . (٢) النص : السير السريع .
(٣) زاد السهيلى بعد هذا البيت قوله :

سأوصى به قيسا وعمرا كليهما وأوصى يزيداً ثم أوصى به جبل

ولما بلغ زيداً قول أبيه قال بحيث يسمعه الركبان :

أحن إلى أهلى وإن كنت نائيا بأنى قعيد البيت عنـد المشاعر
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم ولا تعملوا فى الأرض نص الاباعر
فإنى بحمد الله فى خير أسرة كرام معد كابرا بعـد كابر

انظر تمام الموضوع فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٨٦ و — ٢٨٧ .

إيلاف قريش له ودعوته الاسلام . وكان أبو بكر[1] رجلا مألفا لقومه ، محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ؛ وكان رجلا تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر : لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان قال فأسلم بدعائه — فيما بلغني — عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميـــة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

الزبير : والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي .

عبد الرحمن بن عوف : وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

سعد بن أبي وقاص : وســـعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

طلحة : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما بلغني : ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة[2] ، ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

---

(١) ويسمى أيضاً عتيقا لعتاقة وجهه وهو الحسن . وكان يسمى عبد الكعبة حتى أسلم وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة ، وأما أم أبيه قيلة بنت أذاة بن رياح بن عبد الله ، وامرأته قتلة بنت عبد العزى .

(٢) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال رؤبة بن العجاج :

وانصاع وثـاب بها وما عكم[1]

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

إسلام أبي عبيدة : ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

إسلام أبي سلمة : وأبو سلمة ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام الارقم : والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد — وكان أسد يكنى أبا جندب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه : وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ابن حبيب .

إسلام عبيدة بن الحارث : وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام سعيد بن زيد وامرأته : وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله ابن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، أخت عمر ابن الخطاب .

---

(١) انصاع : ذهب .

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت : وأسماء بنت أبي بكر . وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة . وخبّاب بن الأرتّ ، حليف بني زهرة .

قال ابن هشام . خباب بن الأرت من بني تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

إسلام عمير وابن مسعود وابن القارى : قال ابن إسحاق : وعمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص . وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل . ومسعود بن القارى ، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حَمالة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة .

قال ابن هشام : والقارة . لقب،ولهم يقال :

قد أنصف القارة من راماها .

وكانوا قوما رماة[1] .

إسلام سليط وأخيه ، وعياش وامرأته ، وخنيس ، وعامر : قال ابن إسحاق : وسليط ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر؛ وأخوه حاطب بن عمرو وعياش بن ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن

---

(١) وسمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب :

دعونا قارة لاتذعرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

هكذا أنشده أبو عبيد فى كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم فى الدلائل :

دعونا قارة لاتذعرونا فتنْبَتك القرابة والذمام

وكانوا رماة الحدق ، فمن راماهم فقد أنصفهم ، والقارة . أرض كثيرة الحجارة ، وجمعها قور ، فكأن معنى المثل عندهم . أن القارة لاتنفد حجارتها إذ رمى بها ، فمن راماها فقد أنصف .

يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية . وخنيس بن حذافة بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وعامر بن ربيعة ، من عنز بن وائل ، حليف آل الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى .

قال ابن هشام عَنز بن وائل أخو بَكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

إسلام ابني جحش ، وجعفر وامرأته ، وحاطب وأخوته ونسائهم ، والسائب ، والمطلب وامرأته : قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر ابن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنم بن دُودان بن أسَد بن خُزَيمة . وأخوه أبو أحمد بن جَحْش ، حليفا بنى أميَّة بن عبد شمس . وجعفر بن أبى طالب ؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كَعب بن مالك بن قحافة ، من خَثْعم . وحاطب بن الحارث ابن مَعْمر بن حبيب بن وهب بن حُذافه بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لؤى ، وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر وأخوه حطّاب بن الحارث ؛ وامرأته فُكيهة بنت يسار . ومَعْمر بن الحارث بن حَبيب بن وَهْب بن حذافة بن جمح ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَى . والسائب بن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب . والمطّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وامرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن صُبيرَة بن سعيد بن سَهْم ابن عمرو بن هصيص بن كَعْب بن لؤى .

اسلام نعيم : والنحام ، واسمه نعيم عبد بن الله بن أسد ، خو بنى كعب بن لؤى .

نسب نعيم : قال ابن هشام : هو نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج ابن عدى بن كعب بن لؤى ، وإنما سمى النحام ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لقد سمعت نحمه فى الجنة .

قال ابن هشام نحمه : صوته . أو حسه .

اسلام عامر بن فهيرة : قال ابن اسحاق : وعامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

نسبه : قال ابن هشام : عامر بن فُهيرة مولَّد من مولَّدى الأسْد، أسود اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

اسلام خالد بن سعيد ونسبه واسلام امرأته : قال ابن اسحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وامرأته أُمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سُبَيع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُليح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة بنت خلف .

إسلام حاطب وأبى حذيفة : قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر . وأبو حذيفة ، واسمه مهشم — فيما قال ابن هشام — بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى .

اسلام واقد وشىء من خبره : وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدى بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فتبناه ، فلما أنزل الله تعالى : « ادعوهم لآبائهم » قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى .

اسلام بنى البكير : قال ابن اسحاق : وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيَرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى ابن كعب .

إسلام عمار : بن ياسر ، حليف بنى مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عنسى من مَذحج .

اسلام صهيب : قال ابن اسحاق : صهيب بن سنان ، أحد النمر بن قاسط ، حليف بنى تيم بن مرة .

نسب صهيب : قال ابن هشام : النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ؛ ويقال : صهيب : مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

ويقال : إنه رومى . فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط ، إنما كان أسيراً فى

أرض الروم ، فاشترى منهم . وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : «صهيب سابق الروم» (١) .

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، وما كان منهم

أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمباداة قومه : قال ابن اسحاق : ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتُحدث به . ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أنْ يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادئ الناس بأمره ، وأن يدعوَ إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به الى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغنى - من مبعثه ؛ ثم قال الله تعالى له : «فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين» (٢) . وقال تعالى : «وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفِض جناحكَ لمن اتبعكَ من المؤمنين ، وقل إنى أنا النذير المبين» .

معنى «اصدع بما تؤمر» : قال ابن هشام : اصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهذلى ، واسمه خويلد بن خالد ، يصف أتن (٣) وحش وفحلها :

وكأنهن ربابة وكأنه يَسَرٌ يفيض على القداح ويصدع (٤)

أى يفرق على القداح ويبين أنصباءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

أنت الحليم والأمير المنتقم تصدع بالحق وتنفى من ظلم

---

(١) انظر زيادة فى نسب هؤلاء وأبحاثا كثيرة عنهم فى الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٦ : ٢٩٤ .

(٢) المعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها هنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذى وقولهم : (ما) مع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذى إذا تأملته ، وذلك أن (الذى) تصلح فى كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرجعـ ن يوماً كالذى كانوا

انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٢ ص ٦ .

(٣) الأتن مفردها أتان وهى أنثى الحمر .

(٤) الربابة : جلدة تلف فيها قداح الميسر ، واليسر الذى يدخل فى الميسر . والقداح مفردها قدح وهو السهم .

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه للصلاة فى الشعب : قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ، ذهبوا فى الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير(١) فشجه ، فكان أول دم هريق فى الإسلام .

عداوة قومه ومساندة أبى طالب له : قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم وعابها ؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحدب(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، مظهراً لأمره ، لا يرده عنه شىء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم(٣) من شىء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه ، وقام دونه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبى سفيان صخر .

---

(١) لحى البعير : العظم الذى على لحيه

(٢) أصل الحدب : انحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ، ورق له كما قال النابغة :

حدبت علىّ بطون ضبة كلها   إن ظالما فيهم ، وإن مظلوما

روض جـ ٢ ص ٧ .

(٣) لا يعتبهم : لا يرضيهم .

قال ابن إسحاق : وأبو البَختَرى ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

قال ابن هشام : أبو البخترى : العاص بن هاشم(١) .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى من كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى . وأبو جهل ـ واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم ـ بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . ونُبَيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى .

وفد قريش يعاتب أبا طالب : قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ؛ فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه .

الرسول (ص) يستمر فى دعوته : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شرى(٢) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا(٣)، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه(٤) .

---

(١) الذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبى ، والذى قال ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر ، سفيان بن العاصى . انظر الروض جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) شرى : اشتد . (٣) تضاغنوا : تعادوا .

(٤) تذامروا حض بعضهم بعضا والعطف للتفسير .

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانية : ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا له ـ ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .

ما دار بين الرسول (ص) وأبي طالب : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدّث : أن قريشا حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فابق علىّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلنى من الأمر مالا أطيق؛ قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء(١) أنه خاذله ومُسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى(٢) على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ؛ فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخى ؛ قال : فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا بن أخى ، فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً .

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له ـ فيما بلغنى ـ يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد(٣) فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا

---

(١) أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعد ما خفى ، والمصدر البدء والبدو ، والاسم ، البداء ، لا يقال فى المصدر ، بدا له بدو ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأن الذى يظهر ، ويبدو ههنا هو الاسم ، نحو البداء وأنشد أبو على :

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك فى تلك القلوص بداء

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المحوة

(٣) أنهد : أشد

فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس ما تسومونى، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدا. قال: فقال المطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا؛ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال. فحقب الأمر(١)، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضا.

شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرّض بالمطعم بن عدى، ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمرو والوليد ومُطعم ... ألا ليت حظى من حياطتكم بكر(٢)

من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يُرَش على الساقين من بوله قطر(٣)

تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفيفاء قيل له وَبر(٤)

أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر

بلى لهما أمر ولكن تجرجما ... كما جُرجمت من رأس ذى علق صخر(٥)

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر

هما أغمزا للقوم فى أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهما صفر(٦)

---

(١) حقب: اشتد.

(٢) يريد أن يقول إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم، فليته لى بدلا من حياطتكم. وذلك كما قال طرفة فى عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

(٣) الخور: الضعاف. والحبحاب: الصغير.

(٤) الوبر: دويبة صغيرة تشبه الهرة شبهه بها لصغره.

(٥) تجرجم: انحدر، وذو علق: جبل فى ديار بنى أسد.

(٦) أغمز: استضعف. والصفر: الخالى.

هما أشركا فى المجد من لا أبا له ... من الناس إلا أن يُرَسّ له ذكر(١)
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بُغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهمُ ما كان من نسلنا شفر(٢)
فقد أسفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر بئس ماصنعت جفر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قريش تظهر عداوتها للمسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تذامروا بينهم على مَن فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون مايصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب ، ندعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب ، عدو الله الملعون .

شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته: فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره فى جهدهم معه ، وحدبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليحدبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها(٣)
وإن حُصّلت أشراف عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

(١) يرس : يذكر
(٢) شفر : أحد
(٣) سرها : وسطها ، وسر الوادى وسرارته وسطه وذلك مدح فى موضعين فى وصفه الشهود وفى النسب .

وكنا قديما لا نُقِرُّ ظلامة ... إذا ما ثنوا صُعر الخدود نقيمها(١)
ونحمي حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذَّواء وإنما ... بأكنافنا تندَى وتنمى أرومها(٢)

الوليد بن المغيرة : كيده للرسول ، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ؛ قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقول به ؛ قال : بل أنتم فقولوا أسمع ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة(٣) الكاهن ولا سجعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ؛ قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم(٤) ؛ قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة — قال ابن هشام : ويقال لغدق(٥) — وما أنتم بقائلين من هذا شيئا

---

(١) ثنوا : عطفوا . وصعر خده : أماله إلى جهة مثل فعل المتكبر .

(٢) الذواء : الذي جفت رطوبته ، الأروم : مفرده أرومة وهي الأصل .

(٣) زمزمة الكاهن : كلامه الخفي .

(٤) العقد والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه .

(٥) قول الوليد : إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة . استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جني ، والنخلة هي : العذق بفتح العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لغدق ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غيدق الرجل إذا كثر بصاقه . وأحد أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يسمى : الغيداق لكثرة عطائه — والغيدق أيضا ولد الضب ، هو أكبر من الحسل قاله قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له .

إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره . فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله : « ذرنى ومن خلقتُ وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ، ومَهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً » : أى خصيما .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضرابون رأس العُنَّد

وهذا البيت فى أرجوزة له .

« سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فقُتل كيف قدّر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر ، ثم عبس وبسر » .

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضَبَّر اللحّيين بسراً منهسا[1]

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

« ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يُؤثر ، إن هذا إلا قول البشر » .

رد القرآن على صحب الوليد : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفى النفر الذين كانوا معه يصنفون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عِضين . فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عِضة ، يقول : عضّوه : فرقوه . قال رؤبة بن العجاج :

وليس دين الله بالمعضَّى

وهذا البيت فى أرجوزة له

---

(١) المضبر : الشديد . واللحيان عظمان فى الوجه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقُوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها .

شعر أبى طالب فى معاداة خصومه : فلما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

ولما رأيت القوم لا وُد فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المُزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة ... يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول(١)
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل (٢)
قياما معا مستقبلين رتاجــه ... لدى حيث يقضى حَلفه كل نافل (٣)
وحيث يُنيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل
موسّمة الأعضاد أو قَصَراتها ... مخيّسة بــين السديس وبازل(٤)

---

(١) أراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعامين . روض ٢/٢٢

(٢) الوصائل : ثياب مخططة حمراء ، كان يكسى بها البيت الحرام .

(٣) النافل : المتبرىء .

(٤) موسمة : معلمة ، ويقال للوسم الذى فى الأعضاد : السطاع والرقة ، وللذى فى الفخذ : الخياط ، وفى الكشح : الكشاح ، والذى فى قصرة العنق : العلاط ، والقصرات : أصول الأعناق، والمخيسة : المذللة ، والسديس الذى دخل فى السنة السادسة . والبازل الذى بلغ التاسعة فخرج نابه .

ترى الوَدْعَ فيها والرخام وزينة بأعناقها معقــودة كالعثاكل[1]
أعوذ برب الناس من كل طاعن علينــا بسوء أو ملــح بباطل
ومن كاشح يسعى لنــا بمعيبــة ومن مُلحق فى الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبــيراً مكانه وراقٍ ليرقى فى حراء ونازل[2]
وبالبيت، حق البيت، من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء إبراهيم فى الصخر رَطبة على قدميه حافيا غــير ناعل[3]
وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل(٤)
ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
والمشعر الأقصى إذا عمــدوا له إلال إلى مفضى الشراج القوابل(٥)
وتوقافهــم فوق الجبال عشية يقيمون بالأيدى صدور الرواحل
وليلة جمــع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل(٦)

---

(١) الودع : خرزات يتحلى بها الصبيان . والعثاكل الأغصان .

(٢) ثور وثبيروحراء : جبال بمكة

(٣) موطىء إبراهيم فى الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته (زوج ابنه) رأسه ؛ وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى أن يطالع تركته بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ؛ واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحــين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » .

(٤) الأشواط : جمع شوط الجرى من البداية إلى الغاية مرة واحده والمروتين الصفا والمروة فهو من باب التغليب كالأبوين . والتماثل التماثيل أسقط ياءها ضرورة .

(٥) المشعر : عرفة . الإل : جبل بعرفات . والشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء . والقوابل : المقابلة . (٦) جمع : ألمزدلفة .

وجمع إذا ما المقربات أجزنه سراعا كما يخرجن من وقع وابل(١)
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية تجيز بهم حجاج بكر بن وائل(٢)
حليفان شدآ عقد ما احتلفا له وردّا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الرماح وسرحه وشبرقه وخد النعام الجوافل(٣)
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ وهل من معيذ يتقى الله عاذل
يطاع بنا أمر العدى ود أننا تسد بنا أبواب ترك وكابل(٤)
كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم فى بلابل(٥)
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل(٦)
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل(٧)
وحتى ترى ذا الضغن يركب ردعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل(٨)
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفى فتى مثل الشهاب سميدع أخى ثقة حامى الحقيقة باسل(٩)

---

(١) المقربات : الخيل الكريمة التى تقرب مرابطها من البيوت . الوابل : المطر الشديد .

(٢) الحصاب : مكان رمى الجمار .

(٣) الحطم الكسر : والسمر : من شجر الطلح . والسرح : الشجر العظام ، والشبرق : نبات . والوخد : السريع . والجوافل : المسرعة .

(٤) ترك وكابل : جيلان من الناس .

(٥) البلابل : وساوس الهموم .

(٦) تبزى : نسلب ونغلب .

(٧) الروايا : الإبل تحمل الماء . والصلاصل : المزادات يسمع لها صلصلة .

(٨) الضغن : العداوة ويركب ردعه : يخر على وجهه صريعا والأنكب : المائل .

(٩) السميدع : السيد من الرجال .

شهوراً وأياما وحولا بجرما ... علينا وتأتى حجة بعد قابل(١)
وما ترك قوم، لا أبالك، سيداً ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل(٢)
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٣)
يلوذ به الهلاف من آل هاشم ... فهم عنده فى رحمة وفواضل
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره ... إلى بغضنا وجزآنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ ... ولكن أطاعا أمر تلك القبائل(٤)
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم ... ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سبيع ونوفل ... وكل تولى معرضا لم يجامل
فإن يلقيا أو يمكن الله منهما ... نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا ... ليظعننا فى أهل شاء وجامل(٥)
يناجى بنا فى كل ممسى ومصبح ... فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويؤلى لنا بالله ما إن يغشنا ... بلى قد نراه جهرة غير حائل(٦)
أضاق عليه بغضنا كل تلعة ... من الأرض بين أخشب فجادل(٧)
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل

---

(١) الجرم: الكامل.
(٢) الذمار: الحمى. والذرب: الفاحش المنطق. المواكل: من يكل أمره إلى غيره.
(٣) ثمال اليتامى: من يتولى أمرهم ويقوم بهم.
(٤) لم يربع: لم يقم (٥) الجامل: جماعة الجمال
(٦) يؤلى: يقسم.
(٧) التلعة: ماشرف من الأرض. والأخشب: أراد الأخاشب وهى جبال مكة وجاء به على أخشب لأنه فى معنى أجبل، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك، والمجادل: القصور والحصون فى رؤوس الجبال. كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام والعراق، والفاء فى مجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو كقوله « بين الدخول فحومل ».

فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح حسود كذوب مبغض ذى دَغاول(١)
ومرّ أبو سفيان عنى معرضا كما مر قَيْل من عظام المقاول
يفر إلى نجـد وبرد مياهه ويزعم أنى لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه شفيق ويخفى عارمات الدواخل(٢)
أمطعم لم أخذلك فى يوم نجدة ولا معظم عند الأمور الجلائل
ولا يوم خصم إذا أتوك ألدة أولى جدل من الخصوم المساجل(٣)
أمطعم إن القوم ساموك خطة وإنى متى أوكل فلست بوائل(٤)
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يُخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل(٥)
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بنى خَلف قيضا بنا والغياطل(٦)
ونحن الصميم من ذُؤابة هاشم وآل قصى فى الخطوب الأوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا علينا العدا من كل طمل وخامل(٧)
فعبد مناف أنتمُ خير قومكم فلا تُشركوا فى أمركم كل واغل(٨)
لعمرى لقد وهنتم وعجزتم وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل(٩)

(١) الدغاول : الغوائل . (٢) العارمات : الشديدات والدواخل النمائم
(٣) المساجل : من يعارض فى الخصومة
(٤) سامه خطة : كلفه بها . والوائل : الناجى .
(٥) العائل : الجائر .
(٦) القيض : العوض والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطلة ، وقيل : إن بنى سهم سموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانا، طاف بالبيت سبعاً ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم . والغيطلة : الظلمة الشديدة ، والغيطلة أيضاً : الشجر الملتف ، والغيطلة : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غلبة النعاس . .
(٧) الطمل : الفاحش (٨) الواغل : الهاجم على القوم فى شرابهم ولم يدع .
(٩) مخطىء للمفاصل : بعيد عن الصواب .

وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم الـ آن حطاب أقـدر ومراجـل
ليهنئ بنى عبد مناف عقوقنا وخذلاننا وتركنا فى المعاقل
فإن نك قوما نتئر ما صنعتم وتحتلبوها لقحة غير باهل(١)
وسائط كانت فى لؤى بن غالب نفاهم إلينا كل صقر حلاحل(٢)
ورهط نفيل شر من وطئ الحصى وألأم حاف من معد وناعل
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم لكنا أسى عند النساء المطافل(٣)
فكل صديق وابن أخت نعده لعمرى وجدنا غبه غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة براء إلينا من معقـــة خاذل(٤)
وهنا لهم حتى تبدد جمعهم ويحسر عنا كل باغ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الكدى من غالب والكواهل(٥)
شباب من المطيبين وهاشم كبيض السيوف بين أيدى الصياقل

(١) نتئر : نأخذ بثأرنا والقحة : الناقة ذات اللبن والباهل الناقة المباحة للحلب .

(٢) الحلاحل : السيد الشجاع .

(٣) الأسى : جمع أسوة ، والمطافل : ذوات الأطفال .

(٤) يقال قوم براء بالفتح : وبراء بالكسر ، فأما براء بالكسر لجميع برىء ، مثل كريم وكرام ، وأما براء فمصدر ، مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال : رجل براء ورجلان براء ، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا فى الجمع ، وأما براء بضم الباء : فالأصل فيه برآء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين ، فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فلما حذفوا التى هى لام للفعل صار وزنه فعاء ، وانصرف لأنه أشبه فعالا ، والنسب إليه إذا سميت به ، براوى ، والنسب الى الآخرين برائى وبرائى ، وزعم بعضهم إلى أن براء بضم أوله من الجمع الذى جاء على فعال ، ومثل فرير وفرار وعرن وعران .

(٥) الكدى : جمع كدية ، وهى الصخرة العظيمة والكواهل جمع كاهل : وهو سند القوم .

لنا أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ضوارى أسود فوق لحم خرادل[1]
بنى أمة محبوبة هندكية بنى جمح عبيد قيس بن عاقل[2]
ولكننا نسل كرام لسادة بهم نعى الأقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساما مفرداً من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمى إلى حسب فى حومة المجد فاضل
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها وزينا لمن والاه رب المشاكل
لمن مثله فى الناس أى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إلاهاً ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة تقصر عنه سورة المتطاول[3]
حدبت بنفسى دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل[4]
فأيده رب العباد بنصره وأظهر دينا حقه غير باطل
رجال كرام غير ميل نماهم إلى الخير آباء كرام المحاصل(٥)
فإن تك كعب من لؤى صقيبة فلا بد يوما مرة من تزايل[6]

(١) الخرادل : القطع العظيمة .
(٢) الهندكى : منسوب الى الهند .
(٣) السورة : الشدة والبطش (٤) حدبت : عطفت . والذرا جمع ذروة أعلى ظهر البعير، والكلاكل عظام الصدور
(٥) الميل : جمع أميل وهو الذى لايحسن الركوب .
(٦) صقيبة : قريبة .

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقى لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حى ليرى ذلك : قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى[١] فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى[٢] يشكون منه الغرق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا[٣] ، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل .

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

ذكر الأسماء التى وردت فى قصيدة أبى طالب : قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بن هصيص ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وزهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب. قال ابن إسحاق : وأسيد ، وبكره : عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى . وعثمان بن عبيد الله ، أخو طلحة بن عبيد الله التيمى . وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد عتبة بن ربيعة . وأبى الأخنس بن شريق الثقفى ، حليف بنى زهرة بن كلاب .

---

(١) حديث الاستسقاء بالمدينة حديث مروى من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة .

(٢) الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البراز التى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول . وقيل : ضاحية كل بلد خارجه .

(٣) وقوله عليه السلام ، اللهم حوالينا ، ولا علينا ، كقوله فى حديث آخر ، اللهم منابت الشجر وبطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل ، اللهم ارفعه عنا ــ هو من حسن الأدب فى الدعاء ، لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ؛ وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء .

قال ابن هشام : وإنما سمى الأخنس . لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه أبىّ ، وهو من بنى علاج ، وهو علاج بن أبى سلمة بن عوف بن عقبة . والأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسُبيع بن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذى قرن بين أبى بكر الصديق وطلحة بن عُبيد الله رضى الله عنهما فى حبل حين أسلما ، فبذلك كانا يسميان القرينين ؛ قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر . وأبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . « وقوم علينا أظِنّة » : بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عدد أبو طالب فى شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول خارج مكة : فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب ، وبلغ البلدان ، ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم فى بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة ، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف . قال أبو قيس بن الأسلت[1] . أخو بنى واقف .

نسب ابن الأسلت : قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بنى واقف ونسبه فى حديث الفيل إلى خَطمة ، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن الحكَم بن عمرو الغفارى من ولد نُعَيلة أخى غفار . وهو غفار بن مُليل ، ونعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة ، وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى ، وهو من ولد مازن بن منصور وسُليم بن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائل ؛ ووائل ، وواقف ، وخطمة إخوة من الأوس .

شعر ابن الأسلت فى الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت — وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهراً ، كانت عنده أرنب بنت

---

(١) واسم الأسلت عامر ، والأسلت شديد فطس الأنف .

أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته — قصيدة يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم ، فقال :

يا راكبا إما عرضت فبلغن ... مغلغلة عنى لؤى بن غالب[1]

رسول امرئ قد راعه ذات بينكم ... على النأى محزون بذلك ناصب[2]

وقد كان عندى للهموم معرس ... فلم أقض منها حاجتى ومآربى[3]

نبيتكم شرجين كل قبيلة ... لها أزمل من بين مذك وحاطب[4]

أعيذكم بالله من شر صنعكم ... وشر تباغيكم ودس العقارب

وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة ... كوخز الأشافى وقعها حق صائب[5]

فذكرهم بالله أول وهلة ... وإحلال أحرام الظباء الشوازب[6]

وقل لهم والله يحكم حكمه ... ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب[7]

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... هى الغول للأقصين أو للأقارب[8]

تقطع أرحاما وتهلك أمة ... وتبرى السديف من سنام وغارب[9]

---

(١) المغلغلة : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها ، يرادبها الرسالة (٢) الناصب : المعيى

(٣) أصل المعرس : المكان الذى ينزل فيه المسافرون ليلا للاستراحة

(٤) شرجين : فريقين مختلفين والأزمل الصوت والمذكى موقد النار ، والحاطب الذى يحطب لها ، ضرب مثلا لنار الحرب كما قال الشاعر

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

(٥) الأشافى : المخارز (٦) أحرام الظباء : التى يحرم صيدها فى الحرام ، والشوازب ضامرة البطن .

(٧) المراحب : الأماكن المتسعة : (٨) الغول : الهلاك .

(٩) تبرى : تقطع . السديف . لحم السنام . الغارب : أعلى الظهر .

وتستبدلوا بالأتحمية بعدها شليلا وأصداء ثياب المحارب[1]
وبالمسك والكافور غبراً سوابغا كأن قتيريها عيون الجنادب[2]
فإياكم والحرب لاتعلقنكم وحوضا وخيم الماء مر المشارب
تزين للأقوام ثم يرونها بعاقبة إذ بينت ، أم صاحب[3]
تحرق لاتشوى ضعيفا وتنتحى ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب[4]
ألم تعلموا ماكان فى حرب داحس فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسود طويل العماد ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمد أمره وذى شيمة محض كريم المضارب[5]
وماء هريق فى الضلال كأنما أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا حسابكم والله خير محاسب
ولى امرىء فاختار دينا فلا يكن عليكم رقيبا غير رب الثواقب[6]
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم لنا غاية قد يهتدى بالذوائب[7]
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة تؤمون ، والأحلام غير عوازب[8]
وأنتم ، إذا ماحصل الناس ، جوهر لكم سرة البطحاء شم الأرانب[9]
تصونون أجساداً كراما عتيقة مهذبة الأنساب غير أشائب[10]

---

(١) الأتحمية : ثياب فاخرة تصنع باليمن . والشليل: الدرع القصيرة ، والأصداء : الحديد .
(٢) القتير : حلق الدرع .
(٣) بينت : اتضحت . وأم صاحب ؛ أى عجوزا كأم صاحب لك إذ لايصحب الرجل دة إلا من كان فى سنه .
(٤) لاتشوى : لاتخطىء . وتنتحى ؛ تقصد .
(٥) المضارب يقصد مضارب سيوفه . (٦) الثواقب : النجوم .
(٧) الذوائب ؛ الأعالى (٨) الأحلام : العقول ، والعوازب ؛ البعيدة .
(٩) السرة : العلو ، والشم المرتفعة .
(١٠) الأشائب : المختلطة ، ويريد بغير الأشائب أن نسبهم خالص لاعيب فيه .

ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم ... عصائب هلكى تهتدى بعصائب

لقد علم الأقوام أن سراتكم ... على كل حال خير أهل الجباجب[1]

وأفضله رأيا وأعلاه سنة ... وأقوله للحق وسط المواكب

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب[2]

فعندكم منه بلاء ومصدق . ... غداة أبى يكسوم هادى الكتائب

كتيبته بالسهل تمسى ورجله ... على القاذفات فى رءوس المناقب[3]

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم ... جنود المليك بين ساف وحاصب[4]

فولوا سراعا هاربين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عصائب

فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم ... يعاش بها . قول امرىء غير كاذب

قال ابن هشام : أنشدنى بيته ، « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا الحراب » ، وقوله : « ولى امرىء فاختار » ، وقوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارى وغيره .

حرب داحس والغبراء : قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عبيدة النحوى : أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة ابن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، يقال لها : الغبراء . فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه ، وجاءت

---

(١) الجباجب : المنازل فى منى . (٢) الأخاشب : جبال مكة .

(٣) القاذفات : قمم الجبال والمناقب الطرق التى فيها

(٤) السافى من يثير الغبار ، والحاصب الذى يثير الحصباء .

الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا . ثم إن أبا الجنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله ، فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر :

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا فإن تطلبوا منا سوى الحق تندموا

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسى :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقبَ الأطهار

وهذا البيت فى قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثى حذيفة ، وجزع عليه :

كم فارس يُدعى وليس بفارس وعلى الهباءة فارس ذو مَصدق (١)

فابكوا حذيفة لن تُرثّوا مثله حتى تبيد قبائل لم تُخلق

وهذان البيتان فى أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أن الفتى حمل بن بدر بغى والظلم مرتعه وخيم

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تركت على الهباءة غير فخر حذيفة عنده قصد العوالى (٢)

وهذا البيت فى أبيات له :

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيس داحسا والغبراء، وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والأول أصح الحديثين . وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حرب حاطب : قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيعنى حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث ابن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج—

(١) الهباءة : مكان فى بلاد غطفان (٢) القصد : القطع المتكسرة والعوالى : الرماح .

وهو الذى يقال له : ابن فُسحم ، وفسحم أمه ، وهى امرأة من القين بن جسر — ليلا فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المجذر بن ذياد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عوف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج معه الحارث بن سويد بن صامت ، فوجد الحارث ابن سويد غرة من المجذر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله تعالى . ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داحس .

شعر حكيم بن أمية فى نهى قومه عن عداوة الرسول : قال ابن إسحاق : وقال حكيم ابن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلمى ، حليف بنى أمية وقد أسلم ، يورّع(١) قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قائل قولا من الحق قاعد عليه وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيد ترجو العشيرة نفعه لأقصى الموالى والأقارب جامع
تبرأت إلا وجه من يملك الصّبا وأهجركم ما دام مُدلٍ ونازع(٢)
وأُسلم وجهى للإله ومنطقى ولو راعنى من الصديق روائع

ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش يؤذونه : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

(١) يورع : يصرف

(٢) المدل : المرسل للدلو فى البئر ، والنازع : الجاذب لها .

أشد ما أوذى به الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : فحدثنى يحى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : مارأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أوكما قالوا : فبينا هم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال : أتسمعون يامعشر قريش ، أما والذى نفسى بيده، لقد جئتكم بالذبح [١] . قال : فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه [٢] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول : انصرف ياأبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا . قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم : أنا الذى أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام : أبو بكر رضى الله عنه دونه، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط.

قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض آل أم كلثوم بنت أبى بكر ، أنهـا قالت : رجع ابوبكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر .

---

(١) يعرض صلى الله عليه وسلم بهلاكهم . (٢) رفأه : هدأه .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لاحر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر » .(١)

إسلام حمزة رضى الله عنه

سبب إسلامه : قال ابن اسحاق : حدثنى رجل من أسلم ، كان واعية : أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ؛ فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فى مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ(٢) من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه ، راجعا من قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى فى قريش ، وأشد شكيمة . فلما مر بالمَوْلاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام : وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعِدًّا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدّ ذلك على إن استطعت . فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا

---

(١) قال السهيل فى الروض : فى تسميته إياه بالمدثر : فى هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو فيها : كقوله عليه السلام لحذيفة : قم يانومان ، وقوله لعلى بن أبى طالب — وقد ترب جنبه : قم أبا تراب .

(٢) أى أهل ناد .

أباجهل ؛ فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإنى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول

صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش ، إلا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من السِّطة[1] فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوَّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيّاً[2] تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقدفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال : فاسمع منى ؛ قال : أفعل ؛ فقال « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتاب فُصِّلَتْ آياتُهُ قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكِنَّة مما تدعونا إليه » ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنتَ وذاك .

(١) السطة : الشرف .

(٢) الرئى : ما يظهر للناس من الجن .

رأى عتبة : فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يامعشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فلكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

قريش تفتن المسلمين : قال ابن اسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة ، كما حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

زعماء قريش تفاوض الرسول (ص) اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، أخو بنى عبد الدار ، وأبو البخترى بن هشام والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ؛ فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك — أو كما قالوا له — فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا — فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى تبرئك منه ، أو نعذر فيك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابى ما تقولون ، ماجئت بما جئتكم به أطلب

أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما بهذا بعثت إليكم من الله ، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بينى وبينكم؛ قالوا : فإذ لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل !. قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم فيعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ماهو صانع فى ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لانؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته ، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد . عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك مايعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ماتخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم الله ، لو فعلت ذلك ماظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

أبو جهل يتوعد الرسول (ص) فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله — أو كما قال — فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشىء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته(١) ولا أنيابه لفحل قط ، فهمّ بى أن يأكلنى .

قال ابن إسحاق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه .

---

(١) قصرته : أصل عنقه

النضر بن الحارث ينصح قريشا : فلما قال لهم ذلك أبو جهل ، قام النضر بن الحارث ابن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى .

قال هشام : ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

أذى النضر الرسول (ص) وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكّر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فهلم إلىّ ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى ؟ .

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ، فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

قريش تسأل أحبار اليهود فى شأنه عليه الصلاة والسلام : فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبى مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس

عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ؛ فقالت لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروْا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هى ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبى ، وإن لم يفعل ، فهو رجل متقول ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبى ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم .

قريش تسأل والرسول يجيب : فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هى ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثن، فانصرفوا عنه . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة ، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة : ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف والروح .

الرد على قريش فيما سألوه : قال ابن إسحاق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سُؤْت ظنا ؛ فقال له جبريل : « وما نتنزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا » . فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله ، لما أنكروه عليه من ذلك ، فقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، إنك رسول منى : أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك . « ولم يجعل له عوجا قيما » : أى معتدلا ، لا اختلاف

(١) لم يقل إن شاء الله .

فيه . « لينذر بأسا شديداً من لدنه » : أى عاجل عقوبته فى الدنيا . وعذابا أليما فى الآخرة : أى من عند ربك الذى بعث رسولا . « ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ، ماكثين فيه أبداً » أى دار الخلد . لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم : وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . « وتنذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً » يعنى قريشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة : وهى بنات الله . « ما لهم به من علم ولا لآبائهم » الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم . « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » : أى لقولهم : إن الملائكة بنات الله «إن يقولون إلا كذبا . فلعلك باخع نفسك » يا محمد « على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » : أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل .

قال ابن هشام : باخع نفسك : أى مهلك نفسك : فيما حدثنى أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشىء نحته عن يديه المقادر

وجمعه : باخعون وبخعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعت له نصحى ونفسى : أى جهدت له . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » .

قال ابن إسحاق : أى أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتى . و « إنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا » : أى الأرض ، وإن ما عليها لفان وزائل ، وإن المرجع إلى ، فأجزى كلا بعمله ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صعد . قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيراً :

كأنه بالضحى ترمى الصعيد به دبابة فى عظام الرأس خرطوم[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد : الطريق . وقد جاء فى الحديث : إياكم والقعود على الصعدات، يريد الطرق . والجرز : الأرض التى لا تنبت شيئاً ، وجمعها : أجراز . ويقال : سنة جرز ، وسنون أجراز ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلا :

طوى النحز والأجراز ما فى بطونها فما بقيت إلا الضلوع الجراشع[2]

---

(١) الدبابة والخرطوم : الخمر . (٢) الجراشع المنتفخة .

وهذا البيت فى قصيدة له .

أهل الكهف : قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية ، فقال : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » : أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حججى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رقم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم . قال العجاج :

ومستقر المصحف المرقّم

وهذا البيت فى أرجوزة له :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » . ثم قال تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » : أى بصدق الخبر عنهم « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوَ من دونه إلها ، لقد قلنا إذا شططا » : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لا ينتهون ولا ينهى ذوى شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفُتُل

وهذا البيت فى قصيدة له .

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين » .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيىء لكم من أمركم مرفقا . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم فى فجوة منه » .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور . وقال امرؤ القيس بن حجر :

وإنى زعيم إن رجعت مملكا   بسير ترى منه الفرانق أزورا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزحف الكلبى يصف بلداً :

جأب المندّى عن هوانا أزور   يُنضى المطايا خمسه العشنزر(١)

وهذان البيتان(٢) فى أرجوزة له . و « تقرضهم ذات الشمال » : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظُعن يقرض أقواز مُشرف   شمالاً وعن أيمانهن الفوارس(٣)

وهذا البيت فى قصيدة . له والفجوة : السعة ، وجمعها : الفِجاء . قال الشاعر :

ألبست قومك مخزاة ومنقصة   حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار

« ذلك من آيات الله » أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب بمن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يُضلل فلن تجد له وليا مرشداً . وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

قال ابن هشام : الوصيد . الباب : قال العبسى ، واسمه عبيد بن وهب :

بأرض فلاة لايسد وصيدها   علىّ ومعروفى بها غير منكر

وهذا البيت فى أبيات له . والوصيد (أيضاً) الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووُصد ، ووصدان وأصُد ، وأصدان .

---

(١) الجأب الغليظ ، وينضى يهزل ، والعشنزر المتين الخلق .
(٢) اعتبر الشطوتين بيتين من مشطور الرجز .
(٣) الأقواز ما استدار من الرمل .

« لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، ولملئت منهم رعبا » . إلى قوله : « قال الذين غلبوا على أمرهم » أهل السلطان والملك منهم : « لنتخذن عليهم مسجدا ، سيقولون » يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : « ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب » : أى لا علم لهم . « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً » : أى لا تكابرهم . «ولا تستفت فيهم منهم أحداً » فإنهم لا علم لهم بهم . « ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غـــداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينِ ربى لأقرب من هذا رشداً » : أى ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت فى هذا: إنى مخبركم غداً . واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتمونى عنه رشداً فإنك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك . « ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » : أى سيقولون ذلك . « قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ، ولا يشرك فى حكمه أحداً » أى لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه .

ذو القرنين : وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف : « ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . إنا مكّنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً » حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يؤت أحد غيره ، فمدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سُلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر . اسمه مرزُبان بن مرْذبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث ابن نوح .

قال ابن هشام : واسمه الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى ، وكان رجلا قد أدرك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال : ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول : يا ذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفراً ، وأما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة .

قال ابن إسحاق : الله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أمر الروح : وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

ما أوتيتم من العلم إلا قليلا : قال ابن إسحاق : وحدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال . كلاًّ ؛ قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شىء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها فى علم الله قليل ، وعندكم فى ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه . قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك « ولو أن ما فى الأرض من شجرةٍ أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحرٍ ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم » : أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

تسيير الجبال وبعث الموتى : قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض ، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى : « ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال ، أو قُطعت به الأرض ، أو كُلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً » : أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

خذ لنفسك : وأنزل عليه فى قولهم : خذ لنفسك ، ما سألوه أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له جنانا وقصوراً وكنوزاً ، ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ، ويرد عنه : « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ، تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك » : أى من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش « جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً » .

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون وكان ربك بصيراً » ، أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت

القرآن يرد على ابن أبى أمية : وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » .

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه ينابيع . قال ابن هرمة ، واسمه إبراهيم بن على الفهرى :

وإذا هرقت بكل دار عبرة ... نُزِف الشئون ودمعك الينبوع[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . والكسف : القطع من العذاب ، وواحدته : كسفة ، مثل سدرة وسدر . وهى أيضاً : واحدة الكسف . والقبيل : يكون مقابلة ومعاينة ، وهو كقوله تعالى : « أو يأتيهم العذاب قُبلا » : أى عيانا . وأنشدنى أبو عبيدة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حُبلى يسّرتها قبيلها

يعنى القابلة ، لأنها تقابلها وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : القبيل جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : « وحشرنا عليهم كل شىء قبلا » فقبل : جمع قبيل مثل سبل : جمع سبيل ، وسرر : جمع سرير ، وقمص : جمع قميص . والقبيل أيضاً : فى مثل من الأمثال ، وهو قولهم : ما يعرف قبيلا من دبير : أى لا يعرف ما أقبل مما أدبر ، قال الكميت ابن زيد .

تفرقت الأمور بوجهتيهم ... فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا القبيل : الفتل ، فما فُتل إلى الذراع فهو القبيل ، وما فتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرت . ويقال : فتل المغزل . فإذا فتل المغزل إلى الركبة فهو القبيل ، وإذا فتل إلى الورك فهو

---

(١) الشئون : مجارى الدمع .

الدبير . والقبيل أيضاً : قوم الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج .

من طلل أمسى تخال المصحفا رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مزين : مزخرف .

فى القرآن أن رجلا عن اليمامة يعلمه : قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبداً : « كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت ، وإليه متاب » .

ما نزل فى أبى جهل : وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام ، وما همّ به « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لاتطعه واسجد واقترب » .

قال ابن هشام : لنسفعا : لنجذبن ولنأخذن . قال الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصراخ رأيتهم من بين مُلجم مهره أو سافع

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم ، وفى كتاب الله تعالى : « وتأتون فى ناديكم المنكر » وهو الندىّ . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإنى من بنى أسد أهل الندى وأهل الجود والنادى

وفى كتاب الله تعالى : « وأحسن ندياً » وجمعه : أندية . فليدع أهل ناديه . كما قال تعالى : « واسئل القرية » يريد أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب[1]

---

(١) التأويب : السير كل النهار .

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الكميت بن زيد :

لا مهاذير فى الندى مكاثيـ ر ولا مصمتين بالإفحام

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال النادى : الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع خزنة النار . والزبانية أيضاً فى الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد : زِبنية . قال ابن الزبعرى فى ذلك :

مطاعيم فى المقرّى مطاعين فى الوغى زبانية غُلب عظام حلومها

يقول : شداد . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صخر بن عبد الله الهذلى ، وهو صخر الغى :

ومن كبير نفرٌ زبانية

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرىَ إلا على الله ، وهو على كل شىء شهيد » .

استكبار قريش عن الايمان بالرسول (ص) فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدّث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه : فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » ، أى اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك . فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم .

فقال أبو جهل يوما يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكثرة ، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يستمع أنهم لايستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثنى داود بن الحصين ، مولى عمر بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية : « ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » من أجل أولئك النفر يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

اول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ؛ قال دعونى فإن الله سيمنعنى . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » رافعا بها صوته « الرحمن علم القرآن » قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ؛ فقال : ماكان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً ؛ قالوا لا ، حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث : أن أبا سفيان

ابن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف بنى زُهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا .

الأخنس يستفهم عما سمعه : فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها ، وسمعت أشياء ما عَرفت معناها ولا ما يراد بها ؛ قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعتُ ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ؛ فتى ندرك مثل هذه ، والله لانؤمن به أبداً ولا نصدقه قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله : قالوا يهزءون به : « قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه » لا نفقه ما تقول « وفى آذاننا وقر » لا نسمع ما تقول « ومن بيننا وبينك حجاب » قد حال بيننا وبينك « فاعمل » بما أنت عليه « إننا عاملون » بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً » . . . إلى قوله « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولَّوا على أدبارهم نفوراً » : أى كيف فهموا توحيدك ربك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنة ، وفى

آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ؛ أى إنى لم أفعل ذلك . « نحن أعلم بما يستمعون إليك ، وإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً » : أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به إليهم . « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » : أى أخطئوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قول « وقالوا إءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا » : أى قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا ، وذلك مالا يكون . « قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة » : أى الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى : « أو خلقا مما يكبر فى صدوركم » ما الذى أراد به الله ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يَصلُب لهم ، ويعصمه الله منهم .

ما لقيه بلال وتخليص أبى بكر له : وكان بلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جمح ، مولدا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ؛ فيقول : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية ابن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ، فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا

لأتخذنه حنانا (١) ، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبى قحافة رضى الله عنه يوما ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟! قال : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى ؛ فقال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ؛ قال : قد قبلت فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

من أعتقهم أبو بكر : ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم . عامر بن فهيرة ، شهد بدراً وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة شهيداً ؛ وأم عُبيس وزنيرة ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؛ فقالت : كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ، فرد الله بصرها .

واعتق النهدية وبنتها ، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهى تقول : والله لا أعتقهما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلّ (٢) يا أم فلان ؛ فقالت : حل ، أنت أفسدتهما فأعتقهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا ؛ قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردهُ إليها ؟ قال : وذلك إن شئتما .

ومر بجارية بنى مُؤَمَّل ، حى من بنى كعب ، وكانت مسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مل قال : إنى أعتذر إليك ، إنى لم أتركك إلا ملالة ؛ فتقول : كذلك فعل الله بك . فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

أبو قحافة يلوم أبا بكر : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبى بكر : يابنى ، إنى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذا ما فعلت أعتقت رجالا جُلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟ : فقال أبو بكر رضى الله عنه : ياأبت ، إنى

---

(١) حنانا : أى إذا مات أجعل قبره متبركا به .

(٢) أى تحللى من يمينك .

إنما أريد ما أريد لله عز وجل . قال : فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : « فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى » . . . إلى قوله تعالى : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

تعذيب آل ياسر : قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء (١) مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ، فيما بلغنى صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة . فأما أمه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة ، أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفيّلن (٢) رأيك ، ولنضعن شرفك ؛ وإن كان تاجرا قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

فتنة المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : أللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، حتى إن الجعل ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده .

هشام يرفض تسليم الوليد الى قريش : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزبير بن عكاشة ابن أبى أحمد أنه حُدث أن رجالا من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة ابن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة . قال : فقالوا له وخشوا شرهم : إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا ، فإنا نأمن بذلك فى غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به ، فعاتبوه وإياكم ونفسه ، وأنشأ يقول :

ألا لا يقتلن أخى عُيَيش فيبقى بيننا أبداً تلاحى

---

(١) الرمضاء : الرمال شديدة الحرارة . (٢) لنفيلن : لنقبحن .

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا . قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يغرر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلا . قال ، فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق[1] ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم ؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحابشة ، مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام .

أوائل المهاجرين إلى الحبشة : وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته : سهلة بنت سهيل بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى عبد الدار ابن قصى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . ومن بنى مخزوم ابن يقظة ابن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص ابن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل — معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ومن بنى

عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم : ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

المهاجرون من بنى أمية : ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ابن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث ابن شق بن رقبة بن مخدج الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال همينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد : ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عبيد الله ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ؛ وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان بن حرب بن

أمية ؛ ومعيقيب بن أبى فاطمة . وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر . قال ابن هشام : معيقيب من دوس .

المهاجرون من بنى عبد شمس : قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف، أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعرى ، واسمه عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بنى أسد : ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد . وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بنى عبد بن قصى : ومن بنى عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد بن قصى ، رجل .

المهاجرون من بنى عبد الدار بن قصى : ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وسويبط بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة ؛ وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم . وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة : ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد بن الحارث بن زهرة ؛ وعامر بن أبى وقاص وأبو وقاص ، مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ؛ والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

المهاجرون من بنى هذيل : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . وأخوه : عتبة ابن مسعود .

المهاجرون من بهراء : ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبى أهوز بن أبى فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذر ، ودهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه تبناه فى الجاهلية وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تيم : ومن بنى تيم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، رجلان .

المهاجرون من بنى مخزوم : ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة ، واسم أبى سلمة عبد الله ، واسم أم سلمة : هند : وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن مخزوم .

خبر الشماس : قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شماسا ، لأن شماسا من الشمامسة ، قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأخوه عبد الله بن سفيان ؛ وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ؛ وسلمة بن

هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بنى مخزوم ؛ ومن حلفائهم ، معتب بن عوف بن عامر بن الفضل ابن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذى يقال له : عَيْهامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال حُبشية بن سلول ، وهو الذى يقال له معتّب بن حمراء .

المهاجرون من بنى جمح : ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، عثمان بن مظعون ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ؛ وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر ؛ وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجلل ؛ وأخوه حَطاب بن الحارث ، معه امرأته فُكيهة بنت يسار ؛ وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه ابناه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر ، أخى تميم بن مر .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، أحد عشر رجلا .

المهاجرون من بنى سهم : ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ؛ وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ والحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى

ابن سعد بن سهم ؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ؛ وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم . ومَحْمية بن الجزاء ، حليف لهم ، من بنى زبيد ، أربعة عشر رجلا .

المهاجرون من بنى عدى : ومن بنى عدى بن كعب : معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزّى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ؛ وعروة بن عبد العزى بن حرثان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ؛ وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف ابن عبيد بن عويج بن عدى ؛ وابنه النعمان بن عدى ؛ وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطاب ، من عنز بن وائل ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم . خمسة نفر .

المهاجرون من بنى عامر : ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى ابن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وعبد الله بن مخرمة ابن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ ومالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وسعد ابن خولة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام . سعد بن خولة من اليمن .

المهاجرون من بنى الحارث ؛ قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة ابن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وسهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن

هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ؛ وعياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ؛ وعمرو بن الحارث ابن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعثمان ابن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث وسعد بن عبد قيس بن لقيط ابن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث، والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد مهاجرى الحبشة : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمار ابن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

شعر عبد الله بن الحارث فى هجرة الحبشة : وكان مما قيل من الشعر فى الحابشة أن عبد الله ابن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة ... من كان يرجو بلاغ الله والدين[1]
كل امرىء من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجى من الذل والمخزاة والهُون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز ... ى فى الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطرحوا ... قول النبى وعالوا فى الموازين[2]
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يعلوا فيطغونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك :

(١) المغلغلة : الرسالة

(٢) عالوا : خانوا .

أبت كبدى ، لا أكذبنك ، قتالهم — على وتأباه علىّ أناملى
وكيف قتالى معشراً أدبوكم — على الحق أن لا تأشبوه بباطل(١)
نفتهم عباد الجن من حر أرضهم — فأضحوا على أمر شديد البلابل(٢)
فإن تك كانت فى عدى أمانة — عدى بن سعد عن تُقى أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم — بحمد الذى لا يُطَّبى بالجعائل(٣)
وبدلت شبلا شبل كل خبيثة — بذى فجرٍ مأوى الضعاف الأرامل(٤)

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلك قريش تجحد الله حقه — كما جحدت عاد ومدين والحِجْر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنى — من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محمد — أبيّن ما فى النفس إذ بلغ النقر(٥)

فسمى عبد الله بن الحارث — يرحمه الله — لبيته الذى قال : « المبرِّق » .

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو ابن عمه. وكان يؤذيه فى إسلامه ، وكان أمية شريفا فى قومه فى زمانه ذلك :

أتيم بن عمرو للذى جاء بغضه — ومن دونه الشَّرمان والبرك أكتع(٦)
أأخرجتنى من بطن مكة آمنا — وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع(٧)

---

(١) تأشبوه : تخلطوه .
(٢) البلابل : وساوس الأحزان .
(٣) لايطبى بالجعائل : لايستمال بالرشوة
(٤) الفجر : العطاء
(٥) النقر : البحث .
(٦) الشرمان : تثنية شرم وهو لجة البحر ، والبرك : الإبل الباركة .
(٧) صرح بيضاء : مدينة الحبشة . وتقذع : تكره .

تريش نبالا لا يواتيك ريشها　　وتبرى نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة　　وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوما ملمة　　وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع(١)

وتيم بن عمرو ، الذى يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه تيما .

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشى ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم فى دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ؛ فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته(٢) ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شعر أبى طالب للنجاشى : فقال أبو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ، أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم :

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر　　وعمرو وأعداء العدو الأقارب(٣)
وهل نالت أفعال النجاشى جعفرا　　وأصحابه أو عاق ذلك شاعب
تعلم ، أبيت اللعن ، أنك ماجد　　كريم فلا يشقى لديك المجانب(٤)
تعلم بأن الله زادك بسطة　　وأسباب خير كلها بك لازب(٥)
وأنك فيض ذو سجال غزيرة　　ينال الأعادى نفعها والأقارب

(١) الأوباش : الضعفاء .
(٢) قواده .　　(٣) النأى : البعد
(٤) المجانب : الداخل فى الحمى .　　(٥) لازب : لاصق

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[١] ، فجمعوا له أدما كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدّما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى[٢] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا[٣] ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته حوله : صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ،

---

(١) الأدم : الجلود .

(٢) ضوى : لجأ .

(٣) أي أبصر بهم من غيرهم .

فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشى : قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنا فى ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لانشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام — قالت : فعدد عليه أمور الإسلام — فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ؛ ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشى : فاقرأه على ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » . قالت : فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

رأى المهاجرين فى عيسى أمام النجاشى : قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا نفعل فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأخبرنه

أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد . قالت : ثم غــدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت : فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ؛ فقال : وإن نخــرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى — والشيوم[1] : الآمنون — من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم . ما أحب أن لى دبراً من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم — قال ابن هشام : ويقال دبرى من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر . بلسان الحبشة : الجبل — ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخــذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشى :قالت فوالله إنا لعلى ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حزنَّا حزنا قط كان أشد علينا منحزن حزناه عند ذلك ، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى ، فيأتى رجل لايعرف من حقنا ماكان النجاشى يعرف منه . قالت : وسار إليه النجاشى ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت . فقال الزبير بن العوام . أنا قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سناً . قالت فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشى بالظهور على عدوه ، والتمكين له فى

---

(١) يقول السهيلى فى الروض الأنف : يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة أو تكون مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته ؛ لأن الآمن مغمد عنه السيف ج ٢ ص ٩٢ .

بلاده . قالت : فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشى ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت : ورجع النجاشى ، وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصة تملك النجاشى على الحبشة

قتل أبى النجاشى وتملك عمه : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدرى ماقوله : ما أخذ الله منى الرّشوة حين رد على ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عم ، له من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثنى عشر رجلا ، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهراً ، فغدوا على أبى النجاشى فقتلوه ، وملكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا .

الحبشة تبيع النجاشى : ونشأ النجاشى مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه . فمشوا إلى عمه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خفناه على أنفسنا ؛ قال : ويلكم ! قتلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجه من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم ؛ فقذفه فى سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشى من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته . قالت : ففزعت الحبشة إلى ولده ، فإذا هو محمق ، ليس فى ولده خير ، فمرج على الحبشة أمرهم(١) .

تولية النجاشى الملك : فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلموا

(١) مرج الأمر : اختلط .

والله أن ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطلب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ؛ ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فملكوه .

حديث التاجر الذى اشتراه : فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه ، فقال: إما أن تعطونى مالى ، وإما أن أكلمه فى ذلك ؟ قالوا : لا نعطيك شيئا ، قال : إذن والله أكلمه ؛ قالوا : فدونك وإياه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم ، فأسلموا إلى غلامى وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سرت بغلامى أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعونى دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتعطنه دراهمه ، أو ليضعن غلامه يده فى يده ، فليذهبن به حيث شاء ؛ قالوا : بل نعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه ، وعدله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما مات النجاشى ، كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

إسلام النجاشى والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى: إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفنا ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفوا له ، فقال . يا معشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا . بلى ؛ قال . فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا . خير سيرة ؛ قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ؛ قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله ؛ فقال النجاشى ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم ، لم يزد على هذا شيئا ، وإنما يعنى ما كتب ، فرضوا وانصرفوا[1] . فبلغ ذلك النبى صلى الله

---

(١) وفيه من الفقه أنه لا ينبغى للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر وإن أكره ، ما أمكنته الحيلة ، وفى المعاريض مندوحة عن الكذب .

عليه وسلم ؛ فلما مات النجاشي صلى عليه ، واستغفر له (١) .

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردهما النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازوا(٢) قريشا ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي ، قال : حدثني مسعر بن كدام ، عن سعد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه .

حديث أم عبد الله بنت أبي حثمة عن إسلام عمر : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة ، قالت :

والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه — قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا — قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ،

---

(١) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة ، فصلى عليه .

(٢) عازوا : غلبوا .

آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجا . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم آكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجنا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فلا يُسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ؛ قالت : يأسا منه ، لما كان يُرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

سبب إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة ، رجل من قومه ، من بنى عدى بن كعب قد أسلم ، وكان أيضا يستخفى بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت(١) يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء ، الذى فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ؛ فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ؛ قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب

---

(١) وكان خباب تميميا بالنسب ، كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعى ، وكان قد وقع عليه سباء ، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها . وكان أبوها حليفا لعوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زهرة ، فهو زهرى بالحلف . وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد ابن خزيمة بن كعب بن زيد مناة بن تميم ، كان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٩٨

فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة[1] التى سمعت ؟ قالا له : ماسمعت شيئا ؛ قال : بلى والله لقــد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع مابدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ماهذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ؛ فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ؛ قال : لاتخافى ، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك ، طمعت فى إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر(٢) ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : « طه » . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم ؛ فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ؛ فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ؛ فقال حمزة ابن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه

---

(١) الهينمة : صوت الكلام الذى لا يفهم .

(٢) قال السهيلى عند الكلام على تطهير عمر لمس القرآن وقول أخته له : « لا يمسه إلا المطهرون » : والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك فى الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ولكنهم وإن كانوا الملائكة ، ففى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسه إلا طاهر ، اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض وإن كان الفرض فيه أبين لأنه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ـ راجع الروض جـ٢ ص ٩٨ ـ ٩٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ حجزته[1] ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه به جبذة شديدة ، وقال : ما جاء بك يابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عندالله؛ قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عمن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية ، أحبها وأسرّ بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزْوَرة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومى ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمراً فأشرب منها . قال : فخرجت فجئته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . قال : فقلت حين رأيته ، والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه ؛ فجئت من قِبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشى رويداً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبلَه ، ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبى فبكيت ودخلنى الإسلام ، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك ، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع[2] المسعى ، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف

---

(١) موضع شد الإزار .
(٢) يجزع : يقطع .

الزهرى ، ثم على دار الأخنس بن شريق ، حتى يدخل بيته . وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء[1] ، التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان . قال عمر رضى الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى ، نظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى إنما تبعته لأوذيه فنهمنى[2] ثم قال ماجاء بك يابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله قال : فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : قد هداك الله ياعمر ، ثم مسح صدرى ، ودعالى بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق ، والله أعلم أى ذلك كان .

ثبات عمر فى إسلامه : قال ابن اسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم أبى عمر قال : أى قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر[3] الجمحى . قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عمر : فغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت ياجميل أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر ، واتبعت أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، وهم فى أنديتهم حول الكعبة ، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا . قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنى قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس

---

(١) الرقطاء : الملونة .

(٢) نهمنى : زجرنى .

(٣) جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزلت فى أحد الأقوال « ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » ، وفيه قيل :

وكيف ثوائى بالمدينة بعـــد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله ، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب ، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم : وقلب المبرد هـذا الحديث ، وجعل المنشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه الزبير كما تقدم ، انظر الروض جـ ٢ ص ١٠١ .

على رءوسهم . قال : وطلح[1] ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا ؛ قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حلة حبرة[2] ، وقميص موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ؛ فقال : فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ! خلوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل ؛ الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يابنى ذلك ، العاص بن وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت ؛ قال : قلت : أبو جهل — وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة — قال : فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلا بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ؛ قال : فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

بعون الله وحسن توفيقه ـ انتهى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ويليه إن شاء الله الجزء الثانى وأوله خبر الصحيفة ـ أعان الله على تمامه .

---

(١) طلح : تعب وأعيا .   (٢) الحبرة : نوع من برود اليمن .

فهرست الجزء الأول من سيرة ابن هشام

